المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٨١٩

أدب ابن الجوزيّ

(أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي)

(المتوفى ٥٩٧هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

اعداد الطالب

أول خير عمر عيسى سراج

اشراف الأستاذ الدكتور

محمود حسن زيني

١٨١٩

١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

{رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

(سورة النمل : ١٩)

اللهم لك الحمد بما أنت أهل له ، وكما ينبغى لجلال وجهك وكريم إحسانك .

وأرى لزاماً علىَّ أن أعترف بالفضل لأهله ، وأن أشكر كل من مدَّ إلىَّ يد العون فى بحثى هذا .

فأتقدم إلى والدىَّ الكريمين – بارك الله فى عمرهما – بكل التقدير والعرفان ، فقد كان لوقفتهما معى بكل تفانٍ ودون كلل ، أكبر الأثر فى إنجاز هذا البحث .

وأتوجه بالشكر الجزيل كذلك إلى جامعتى (أم القرى) ، التى أتاحت لى الفرصة ، لأكمل دراستى فى رحابها ، وأخص بالشكر القائمين على كلية اللغة العربية ، وقسم الدراسات العليا العربية .

وأتقدم بعظيم الشكر إلى المشرف على هذه الرسالة ، أستاذى الدكتور محمود حسن زينى ، الذى رعى هذا البحث منذ أن كان فكرة ، حتى أصبح حقيقة ماثلة للأعين ، فجزاه الله كل خير .

وأشكر الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الذى أفادنى بآرائه وملاحظاته القيمة ، كما أعارنى كتاب "مؤلفات ابن الجوزى" لعبد الحميد العلوجى ، بعد أن فقدتُ الأمل فى العثور عليه .

واشكر الدكتور حاتم صالح الضامن ، من كلية الآداب بجامعة بغداد ، الذى بعث إلىَّ بـ "فهرست كتب ابن الجوزى" وكتاب "قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى" للدكتورة ناجية عبد الله إبراهيم ، وأرسل إلىَّ أيضًا صورة كاملة من نسخته الخاصة ، من كتاب "أخبار الظِرَاف والمتماجنين" لابن الجوزى (تحقيق محمد بحر العلوم) ، وصوَّر لى كذلك بعض أعداد مجلة المورد العراقية .

واللسان يعجز عن شكر هذا العالم الجليل ، الذى أسبغ علىَّ بكريم خلقه ، ولا أجد ما أكافئه عليه سوى أن أبتهل إلى المولى القدير - عز وجل - بأن يجزيه خير الجزاء .

وأذكر بكل التقدير موقف المستشرق الألمانى "ستيفان ليدر STEFAN LEDER" الذى درس كتاب "ذم الهوى" لابن الجوزى لنيل درجة الدكتوراه .

فقد بعثتُ إليه خطابًا فى مقر عمله فى جامعة فرانكفورت بألمانيا ، بعد أن أرسل إلىَّ عنوانه مشكورًا الدكتور محمد مصطفى هدارة من جامعة الإسكندرية ، فأرسل إلىَّ هذا المستشرق على الفور رسالته تلك ، بعد أن نشرها فى كتاب .

وأشكر الأستاذ خليل أحمد الأنصارى ، الذى بذل جهدًا طيبًا فى ترجمة فصول من هذا الكتاب إلى العربية ، ولم

تمنعه أعماله الكثيرة وضيق وقته من السهر لأيام كثيرة ، من أجل إتمام الترجمة ، يحدوه إلى ذلك حبه للعلم ، فجزاه الله كل خير .

وأشكر أساتذتي في قسم الدراسات العليا العربية ، الذين لم يبخلوا عليَّ بالنصح والتوجيه ، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور محمود الطناحي ، وأستاذي الدكتور إبراهيم الحاردلو .

وأشكر أيضًا إخواني وزملائي ، الذين أعانوني كثيرًا في إنجاز هذا البحث ، سواء بجلب الكتب أو بإبداء الرأي ... وخاصة الإخوة : يوسف عبد الله الأنصاري ، وصالح سعيد الزهراني ، وأحمد علي القرني .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى القائمين على مكتبات الحرم المكي الشريف ، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، على العون الذي لقيته منهم في أثناء جمع المادة العلمية .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين الفاضلين ، عضوي لجنة المناقشة ، لتكرمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وعلى بذلهما الوقت والجهد في تقويمها ، وأسأل الله أن ينفعني بتوجيهاتهما ، والله ولي التوفيق .

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلامضلَّ له ، ومن يضلل فلاهادى له ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

وبعد :

لايزال فى أدبنا العربى كنوز لم تمتد إليها أيدى الباحثين حتى اليوم ، ومن ذلك التراث الأدبى الأصيل ، الذى خلَّفه علماء السلف رحمهم الله فى مصنفاتهم الدينية والعلمية ، وهو ماحاول الشيخ أبو الحسن الندوى إبرازه فى كتابه "مختارات من أدب العرب" .

وحين رغبت فى اختيار موضوع لنيل درجة الماجستير لم يطل بى البحث ، فقد وجدتُ فى أحد أولئك الأعلام ضالتى ، ألا وهو أبو الفرج بن الجوزى . وكانت الحوافز الدافعة لى على دراسة أدبه مايلى :

أولا : منزلته الرفيعة فى مجال الوعظ ، بين أبناء عصره ، حتى قيل : إنه لم يُرَ مثله فى فصاحته ، وحسن تصرفه، وشدة تأثيره فى الناس .

ثانيا : كتابه "صيد الخاطر" الذى ظهرت فيه مقدرته

العالية فى التحليل والمناقشة ، وكذلك أسلوبه الأدبى الممتع .

ثالثا : العديد من كتبه الأدبية الأخرى ، التى كشفت عن شخصيته الأدبية الملتزمة ، مثل :"ذم الهوى" و"أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين" و"أخبار الظراف والمتماجنين" و"أخبار النساء" .

رابعا : وابن الجوزى دُرِسَ مفسرًا ومحدثًا ومؤرخًا... الخ، ولكن تراثه الأدبى بقى بعيدًا عن أيدى الباحثين ، باستثناء مقاماته الأدبية التى نال فى تحقيقها ودراستها الباحث على جميل مهنا درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر .

فرأيت من واجبى جمع ودراسة أدبه ، لذلك جعلت موضوع رسالتى "أدب ابن الجوزى" .

وقد اقتضت طبيعة هذه الرسالة أن أجعلها فى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ، أغفلتُ فيها المقدمات التاريخية والسياسية ، لأنها أشبعت بحثًا ، فاكتفيتُ بالإشارة إليها فقط .

وقمت فى التمهيد بتعريف موجز للحالة الأدبية فى العراق فى القرن السادس الهجرى .

وتناولتُ فى الباب الأول ترجمة ابن الجوزى ، فعرضتُ فى الفصل الأول لحياته ، حيث ذكرتُ اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ، وولادته ونشأته ، ومقومات شخصيته ، وأولاده ، ومحنته ، ووفاته .

وفى الفصل الثانى تحدثتُ عن ثقافته وآثاره العلمية ، فذكرتُ طلبه للعلم ، وكذلك شيوخه ، ومن تأثر بهم من

العلماء السابقين ، وتعرضتُ أيضاً لمذهبه ، ووظائفه ، ومكانته العلمية ، ورأى العلماء فيه ، وثقافته الأدبية ، ومصنفاته ، وتلامذته .

وبينتُ فى الفصل الثالث شخصية ابن الجوزى الأدبية ، حيث ذكرتُ جانباً من سيرته الذاتية ، وأجوبته النادرة ، وذوقه الأدبى ، وتأريخه للأدب ، ونظراته النقدية فى الأدب والاجتماع والفكر .

وجعلتُ الباب الثانى لشعره ، وكان الفصل الأول منه : شعر ابن الجوزى بين القدماء والمحدثين ، ذكرتُ فيه ماقيل عن نظمه للشعر ، وعن شاعريته ، وماوصل إلينا من شعره .

وفى الفصل الثانى قمتُ بوضع ديوان موثق ، لما جمعته من شعر ابن الجوزى ، وقد رتبتُه ترتيباً هجائياً .

وفى الفصل الثالث درستُ الخصائص الفنية العامة لشعر ابن الجوزى .

وتحدثتُ فى الباب الثالث عن فنونه النثرية وخصائصها ، فكان الفصل الأول فى نثره الوعظى ، وفيه تناولتُ مواعظه ، حيث ذكرتُ تفوقه فى هذا المجال ، وأوردتُ وصف ابن جبير لمجالسه الوعظية ، ثم تعرضت بالدراسة لمصنفاته الوعظية .

ودرستُ فى هذا الفصل أيضاً خطبه ، وقَصَصِه ، ومقاماته .

وجاء الفصل الثانى فى نثره التأليفى ، وتعرضتُ فيه لنثره العلمى ، وكذلك نثره التوجيهى ، وأفردتُ مبحثاً خاصاً فيه لدراسة كتاب "صيد الخاطر" .

وكان الفصل الثالث فى مصنفاته الأدبية ، ذكرتُ فيه مصادره الأدبية ، ثم تطرقتُ لما تضمنته هذه الكتب ، مثل

النصوص الشعرية والنثرية ، والعشق ، والفكاهة ، والنماذج البشرية .

وفى الخاتمة ذكرتُ أهم النتائج التى توصلتُ إليها .

وقد اقتضت أبواب الرسالة مِنّى الاعتماد على أكثر من منهج ، فكان منهجى قائمًا على التحقيق ، والاستقصاء ، والوصف ، والتحليل ، والنقد ، والموازنة ، والمناقشة .

أما مصادر الرسالة ومراجعها ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة ، وأبرزها مصنفات ابن الجوزى ، التى بلغت خمسين كتابًا ، مابين مخطوط ومطبوع . ومن المصادر التى اعتمدت عليها كثيرًا فى دراستى :

مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ، والذيل على الروضتين لأبى شامة المقدسى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى .

وأفدتُ كثيرًا من مقدمات محققى كتب ابن الجوزى ، وبخاصة مقدمة الشيخ على الطنطاوى لكتاب صيد الخاطر ، ومقدمات الدكتور مصطفى عبد الواحد لذم الهوى ، والتبصرة ، والوفا بأحوال المصطفى ، ومقدمة الأستاذ محمد بحر العلوم لكتاب أخبار الظراف والمتماجنين .

وقد رتبتُ مصادر الرسالة حسب الترتيب الهجائى ، للاسم الذى اشتهر به المؤلف . أما المراجع الحديثة فقد رتبتها حسب الاسم الأول للمؤلف ، مالم يكن مشتهرًا باسم آخر .

وقد واجهتنى خلال الدراسة بعض الصعوبات ، التى تمكنتُ بفضل الله من تجاوزها ، بعد جهد مضن ، ومنها كثرة مصنفات

ابن الجوزى ، وكثرة المصادر التى ترجمت له ، وتنوع إنتاج ابن الجوزى الأدبى ، مما أدى إلى اتساع نطاق البحث .

وبعد :

فقد حاولت من خلال هذه الرسالة ، تقديم جهد متواضع يضاف إلى ماسبقه من جهود فى نشر تراثنا الأدبى الخالد ، فإن كنت قد وفقت فيما صبوت إليه ، فبتوفيق الله أولاً وآخراً، وإن كان السعى قد قصر بى دون تحقيق الغاية ، فحسبى أننى حاولت مخلصاً ، وبذلت فى سبيل ذلك غاية جهدى .

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وأن يوفقنا لمرضاته إنه سميع مجيب .

أول خير عمر عيسى سراج

تمهيد

الحياة الأدبية في العراق
في القرن السادس الهجري

تمهيد

الحياة الأدبية في العراق

في القرن السادس الهجري

بالغ بعض المستشرقين في وصف أدب هذا القرن بخلو الابداع وغلبة الصنعة ، مما أدى به إلى الجمود والتأخر . (١)

في حين أن هذا القرن شهد وبخاصة في العراق ، حركة أدبية مزدهرة عمّت معظم مدنه مثل بغداد وواسط والبصرة وغيرها من المدن ، وشارك فيها أغلب فئات المجتمع . (٢)

وقد ساد العراق في تلك الفترة الاضطرابات والضعف السياسي ، (٣) ولكن وعلى الرغم من ذلك ، فإن بغداد ظلت :"موئل

---

(١) هـ . أ . جب : المدخل في الأدب العربي . ترجمة كاظم سعد الدين ص ١١٥-١١٦ ، نوري شاكر : حالة الشعر في القرن السادس الهجري (بحث نشر في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد . المجلد الثاني . العدد الحادي والعشرون ص ٤٥،٥١-٥٢) ، د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ١٦٨ .

(٢) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي (مقدمة المحقق محمد بهجة الأثري) ١/١٠٣ ، نوري شاكر :حالة الشعر في القرن السادس الهجري ص ٥٢.

(٣) انظر الحالة السياسية : ابن الجوزي : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ١٣-١٧ ، فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ١٩-٢١ ، د . حسن عيسى علي الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزي ص ٣٣-٣٥ ، علي جميل مهنا : ابن الجوزي ومقاماته الأدبية ص ٢-١٢ ، أحمد عطية الزهراني: ابن الجوزي بين التأويل والتفويض ص ١٠-١٤ ، مزهر عبد السوداني : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ١١-١٧ .
وقد بلغ عدد خلفاء بني العباس في هذا القرن سبعة وهم: المستظهر بالله (٤٧٠-٥١٢هـ) ، والمسترشد بالله (٤٨٥-٥٢٩هـ) ، والراشد بالله (٥٠٤-٥٣٢هـ) ، والمقتفي لأمر الله (٤٨٩-٥٥٥هـ) ، والمستنجد بالله (٥١٠-٥٦٦هـ) والمستضيء بالله (٥٣٦-٥٧٥هـ) ، والناصر لدين الله (٥٥٣-٦٢٢هـ) .

الحركة الأدبية ، وعُرف فيها في القرنين الخامس والسادس كُتَّاب وشعراء مجيدون" (١) .

وكان للخلفاء والوزراء أثر في إذكاء حركة الأدب ، مثل الخليفة المستضيء بالله ، وابنه الناصر لدين الله (٢) ، وسعى الآخر إلى رواج سوق المديح ، حيث "جعل للشعراء ديوانًا خاصًا في الدولة يُسمى "ديوان الشعراء" وسمى الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه "شعراء الديوان" أى ديوان الدولة العباسية" (٣) .

وكان الوزير عون الدين بن يحيى بن هبيرة (٤) (٤٩٩-٥٦٠هـ) يدني منه الشعراء ويصلهم بسخاء (٥) .

كذلك كانت تجرى في مجلس الوزير شرف الدين أبي الحسن الزينبي (٦) (٤٦٢ - ٥٣٨هـ) معارضات ومباريات بين كبار شعراء هذا العصر (٧) .

ويوقفنا كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد

---

(١) ابن الجوزي : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٢١ ، وانظر مزهر عبد السوداني : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٢٩ .

(٢) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ١/٣٣٠ ، وفيه ذكر اغداقه المال على الشاعر حيص بيص ، وانظر : د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٣٩ ، مزهر عبد السوداني : الشعر العراقي في القرن السادس الهجر ص ٨٩ .

(٣) ابن الساعي : نساء الخلفاء (مقدمة المحقق) ص ٩ ، وانظر د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٣٩ .

(٤) انظر في ترجمته : ابن الجوزي : المنتظم ١٠/٢١٤-٢١٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٢٣٠-٢٤٤ ، الزركلي : الأعلام ٨/١٧٥ .

(٥) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ١/٩٧-٩٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٢٣٥ - ٢٣٩ ، د. محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٣١ .

(٦) انظر في ترجمته : ابن الجوزي : المنتظم ١٠/١٠٩ ، الزركلي : الأعلام ٤/٢٩٦ .

(٧) الكتبي : فوات الوفيات ٢/٦٢٠-٦٢١ ، د. محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٣١ .

الأصبهاني (المتوفى ٥٩٧هـ) ـ الذي ملأ فراغ عصر كامل من عصور الأدب ـ في قسمه العراقي على عدد ضخم من الشعراء والأدباء (١) .

ففي مجال الشعر كان من أبرز شعراء هذا القرن : أبو محمد الحسن بن أحمد حِكِّينا (المتوفى ٥٢٨هـ) (٢) ، وسعد بن محمد المعروف بحيص بيص (المتوفى ٥٧٤هـ) (٣) ، ومحمد المولد المعروف بالأبله البغدادي (المتوفى ٥٧٩هـ) (٤) ، وأبو الفتح محمد بن عبيد الله المعروف بسبط بن التعاويذي (٥١٩ ـ ٥٨٣هـ) (٥) ،

---

(١) مقدمة المحقق ١/٨، ١٠٣ .

(٢) قال عنه العماد الأصبهاني :"ظريف الشعر مطبوعه ، لم يَجُد الزمان بمثله في رقة لفظه وسلاسته . وقد أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه . وله الأبيات النادرة المذهبة ، التي من حقها أن تكتب بماء الذهب" الخريدة ـ القسم العراقي ٢/٢٣٠ وانظر الزركلي : الأعلام ٢/١٨١ .

(٣) انظر ابن الجوزي : المنتظم ١٠/٢٨٨ . وأفرد له العماد في خريدته أكثر من (١٦٠) صفحة (القسم العراقي ١/٢٠٢-٣٦٦) ومما قاله عن شعره :"جزل الشعر فحله ، قد علا محله ، وعلا فضله ، وأطاعه وعر الكلام وسهله" ١/٢٠٢ ومن أبياته التي سارت في الناس واشتهرت قوله :

ملَكْنَا فكانَ العفو منّا سجيةً
فلمَّا ملَكْتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أبطَحُ
وحَلَّلْتُمْ قتلَ الأسارَى ، وطالما
غدوْنا علَى الأسْرَى نَعفُّ ونصفحُ
فَحَسْبُكُمْ هذا التَفَاوتُ بيْننَــا
وكلُّ إنَاءٍ بالَّذى فيه ينْضَــحُ

ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٣٦٥ ، ديوان الحيص بيص ٣/٤٠٤ .

(٤) انظر في ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١٨ ، الزركلي : الأعلام ٦/٥٠ .

(٥) قال عنه ابن خلكان :"كان أبو الفتح المذكور شاعر وقته ، ولم يكن فيه مثله ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ، ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ..." وفيات الأعيان ٤/٤٦٦ . وانظر : د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٥١-٣٥٥ وقال الأستاذ الزركلي عن ديوانه المطبوع :"اقتنيت مخطوطة منه ، فظهر لي أن ناشره الأستاذ مرجليوث تعمد حذف كثير من شعره ، وملأه أغلاطًا" . الأعلام ٦/٢٦٠ .

ومحمد بن علي المعروف بابن المعلم الواسطي (المتوفى ٥٩٢هـ) (١) .

وقد ظهرت بين شعراء هذا القرن تيارات متباينة ، كالتيار التقليدي (المحافظ) الذي ينزع إلى طريقة القدماء وتيار المجددين (المحدثين) ، وتيار ثالث وقف أصحابه بين التقليديين والمجددين ، وتيار رابع أجاز شعراؤه استعمال الكلمات العامية والسوقية ، وتيار خامس ظهر بين شعراء الصوفية ، الذين اتجهوا إلى الرمز في شعرهم (٢) .

واستخدم كثير من الشعراء لغة المنطقيين والفلاسفة والفلكيين والرياضيين والطبيعيين والنحاة في قصائدهم ، كما برعوا في توليد الأوزان الخفيفة ذات النغمات الإيقاعية التي تناسب في رقتها حياتهم وأخلاقهم (٣) .

أما الصنعة والاهتمام بضروب البديع "فلم تستبد بالشعر عامة ، وإن كان لها على بعض الشعراء سلطان ..." (٤) ، فمنهم من أجاد سبكها في شعره (٥) ، وآخرون اغرموا بفنون البديع ، وغالوا في استخدامها في شعرهم (٦) ، ومن أولئك أحمد بن محمد

---

(١) قال عنه ابن خلكان : "كان شاعرًا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع ، يكاد شعره يذوب في رقته ، وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره" . وفيات الأعيان ٥/٥ . وانظر الحديث عن هذا الشاعر في المبحث الخاص بثقافة ابن الجوزي الأدبية في الباب الأول .

(٢) نوري شاكر : حالة الشعر في القرن السادس الهجري ص ٤٨-٥٠ ، مزهر عبد السوداني : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٤٥، ٤٧، ٥٩-٦١ .

(٣) نوري شاكر : حالة الشعر في القرن السادس الهجري ص ٥٠ د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٢٨-٣٣٠ .

(٤) نوري شاكر : حالة الشعر في القرن السادس الهجري ص ٤٦

(٥) انظر العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ١/١٨٨ ، ٢/٣٧، ٤٧، ٢٥٠، ٢٦١ ، نوري شاكر حالة الشعر في القرن السادس الهجري ص ٤٦ .

(٦) المرجع السابق ص ٤٧ .

ابن الحسين الأرجاني (المتوفى ٥٤٤هـ) (١) .

وكان من بين شعراء هذا القرن من فتن بالتمارين الهندسية وبخاصة الألغاز والأحاجي (٢) ، مثل الحكيم النيلي الطبيب (المتوفى ٥٦٠هـ) (٣) .

أما في مجال النثر ، فقد ازدهر فن الخطابة والوعظ الديني ، وكثر الوعاظ وكان من أبرزهم محمد بن عبد الملك الفارقي (المتوفى ٥٦٤هـ) (٤) وأبو الفرج بن الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ) الذي يعد أكبر واعظ عرفته العراق في ذلك العصر (٥) . وأنشأ العديد من أدباء هذا العصر مقامات حاكوا فيها من سبقهم كالحريري (المتوفى ٥١٦هـ) (٦) وغيره ، ومنهم يحيى بن سعيد بن ماري النصراني (المتوفى ٥٨٩هـ) (٧) ، وابن الجوزي (٨) ، وأحمد بن أبي بكر بن أحمد الرازي (٩) .

وقد اشتغل بعض أدباء هذا القرن بكتابة الرسائل

---

(١) وبلغ من اهتمامه بالبديع أنه كان ينظم البيت فيقرأ معكوسا . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٤/١ ، وانظر ماقاله عنه ابن الجوزي في نظراته النقدية في الباب الأول .

(٢) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ١٧٧/١ ، ج(٤) م(٢) ص ٤٧٥، ٧٤٧-٧٤٨ .

(٣) المصدر السابق ج(٤) م(٢) ص ٤٩٨ ، د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٣٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٢٢٩/١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٦/٥ ، شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٠٦

(٥) ابن الجوزي : المصباح المضيء في خلافة المستضيء (مقدمة المحققة) ٣٠/١ ، د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٠٧ ، وانظر مواعظ ابن الجوزي في الباب الثالث .

(٦) د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٣٨ .

(٧) قال عنه سبط ابن الجوزي :"وله ستون مقامة تضاهي مقامات الحريري" مرآة الزمان ٢٤٦/٨ ، وانظر ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ٣٦٤/٥ ، الزركلي : الأعلام ١٤٧/٨ .

(٨) انظر مقامات ابن الجوزي في الباب الثالث .

(٩) د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٣٨ .

الديوانية ، ومن أهمهم : قوام الدين يحيى بن زبادة الواسطى (٥٢٢ – ٥٩٤هـ) (١) ، وأبو الفوارس نصر بن ناصر المدائنى (المتوفى ٦٠٥هـ) (٢) .

أما فى مجال الرسائل الشخصية أو الإخوانية ، فإن الأدباء أكثروا منها حتى امتلأت الخريدة برسائلهم ، التى عادة ماتدور حول معان محدودة ، إلا أنهم كانوا يتفننون فى تطويلها وتكديسها بالسجع والجناس وغير ذلك من فنون البديع، (٣) إلى درجة التعقيد ، كما فى رسائل أبى السمح سعيد بن سمرة (٤) .

وظهر فى هذا القرن كثير من العلماء (٥) الذين شاركوا فى دفع حركة الأدب فى العراق ، بما صنفوه فى مجالات الأدب واللغة والبلاغة والنقد ، ومنهم ابن الخشاب البغدادى (٦) (المتوفى ٥٦٧هـ) (٧) ، وابن الدهان سعيد بن المبارك

---

(١) قال عنه ابن خلكان :"وكان الغالب عليه فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب التسجيع ، وله رسائل بليغة " . وفيات الأعيان ٢٤٤/٦ ، وانظر د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٤١ .

(٢) ابن الساعى : الجامع المختصر ٢٧٨/٩-٢٧٩ .

(٣) د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٤٣٩-٤٤٠ .

(٤) قال عنه العماد فى خريدته :"نظم رسائل على حروف المعجم ، وكل كلمة منها فيها الحرف الذى بنى الرسالة عليه ..." القسم العراقى ٢٦٣/٢ ، وانظر د. شوقى ضيف: عصر الدول والإمارات ص ٤٤٠ .

(٥) انظر الحياة العلمية فى ذلك القرن : ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٢٣-٢٩ ، فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٢١-٢٣ ، د. حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٣٥-٣٧ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٩-٢٩ ، أحمد عطية الزهرانى : ابن الجوزى بين التأويل والتفويض ص ١٩-٢٤ ، مزهر عبد السودانى : الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى ص ٢٩-٤١ .

(٦) د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٢٩٢-٣٠٤ ، نورى شاكر : حالة الشعر فى القرن السادس الهجرى ص ٥٢ .

(٧) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ٢٣٨/١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠٢/٣-١٠٤ ، الزركلى : الأعلام ٦٧/٤ .

(المتوفى ٥٦٩هـ) [1] ، وشميم الحِلّي (المتوفى ٦٠١هـ) [2] ، وأبو البقاء العُكبري (٥٣٨ – ٦١٦هـ) [3] ، والقاسم بن القاسم الواسطي (٥٥٠ – ٦٢٦هـ) [4] ، وغيرهم .

---

(١) انظر في ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٨٢/٢-٣٨٥ ، الزركلي : الأعلام ١٠٠/٣ .

(٢) انظر في ترجمته : أبا شامة : الذيل على الروضتين ص ٥٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٣٩/٣-٣٤٠، الزركلي: الأعلام ٢٧٤/٤ .

(٣) انظر في ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠٠/٣-١٠١ ، الزركلي : الأعلام ٨٠/٤ .

(٤) انظر في ترجمته : الكتبي : فوات الوفيات ٢٥٨/٢-٢٦٢ ، الزركلي : الأعلام ١٨٠/٥ .

الباب الأول

ترجمة ابن الجوزى

الفصل الأول : حياته .

الفصل الثانى : ثقافته وآثاره العلمية .

الفصل الثالث : شخصيته الأدبية .

الفصل الأول

حيـــاتـــه

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه .

المبحث الثاني : ولادته ونشأته .

المبحث الثالث : مقومات شخصيته .

المبحث الرابع : أولاده .

المبحث الخامس : محنتـــه .

المبحث السادس : وفاتـــه .

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

ابن الجوزى عربى قرشى ، ينتهى نسبه إلى الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه (١) ، وقد حفظت لنا المصادر التى ترجمت لابن الجوزى سلسلة نسبه الممتد إلى عشرين اسما :

فهو (٢) : عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادَى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، القرشى التيمى البكرى البغدادى (٣) .

---

(١) ابن الجوزى : لفتة الكبد ص ٧٥ .

(٢) يختلف سبط ابن الجوزى مع أكثر المصادر التى ترجمت لابن الجوزى فى جزء من سلسلة نسبه ، فهو يقول إنه : "عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله بن حمَّادَى ... ابن النضر بن القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه" . مرآة الزمان ٤٨١/٨ .

(٣) انظر اسمه ونسبه فى المصادر والمراجع التالية : ابن الدبيثى : المختصر المحتاج إليه ص ٢٠٥-٢٠٦ ، ابن الساعى : الجامع المختصر ٦٥/٩-٦٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٠/٣ ، الغسانى : العسجد المسبوك ص ١١١-١١٢ ، زين الدين بن الوردى : تاريخ ابن الوردى ١١٨/٢ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ١٠١/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٣ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ٢٩١/٢-٢٩٢ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢١ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٢٩٧/٤ ، تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٨٩/٣ ، ناصر الدين ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٤/٦-١٧٥ ، السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٤٧٧-٤٧٨ ، الداودى : طبقات المفسرين ٢٧٠/١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٣٢٩/٤ ،

١٨١٩

ويبدو أن ابن الجوزى كان له اسم آخر ، فقد جاء فى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : أنه كان يسمى المبارك إلى سنة عشرين وخمسمائة (١) .

وكُنِّى ابن الجوزى بأبى الفرج (٢) ، وتفرد ابن جبير بوصفه بأبى الفضائل (٣) .

ولقب بجمال الدين (٤) ، وعُرف بابن الجوزى نسبة إلى جدِّه : جعفر الجوزى (٥) ، وقد اختلف المؤرخون فى مصدر هذه النسبة :

فيذكر سبط ابن الجوزى أن :"جعفر الجوزى منسوب إلى فرضة من فرض البصرة : يقال لها جوزة" (٦) .

أما الذهبى فيرى أن جدّه عُرف بالجوزى ، بجوزة كانت فى داره بواسط ، لم يكن بواسط جوزة سواها (٧) .

= القنوجى : التاج المكلل ص ٦٤ ، الخوانسارى : روضات الجنات ٣٥/٥ ، الكتانى : فهرس الفهارس ٣٠٨/١ ، الزركلى : الأعلام ٣١٦/٣ ، كحالة : معجم المؤلفين ١٥٧/٥ .

(١) ٤٠٠/١ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨١/٨ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٠٦ .

(٤) ذكرت محققة "المصباح المضىء فى خلافة المستضىء" أكثر من أربعة عشر لقبًا لابن الجوزى ، ومنها : الحافظ ، والإمام الأوحد ، وإمام الآفاق ، وشيخ الوقت ، وعالم العراق ...الخ ٣٦/١-٣٧ .

(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨١/٨ ، ولاصلة قربى بين ابن الجوزى وابن قيم الجوزية ، وقد جاء التشابه فى اللقب لأن أصغر أولاد ابن الجوزى محيى الدين يوسف ، بنى المدرسة الجوزية فى دمشق ، وإليها ينسب ابن قيم الجوزية ، لأن أباه كان قيِّمًا عليها .
انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ٢٣٤/١٤ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٢٥٩/٢ ، ابن الجوزى صيد الخاطر (مقدمة الشيخ على الطنطاوى) ص ٢٦-٢٧ .

(٦) مرآة الزمان ٤٨١/٨ . وقد أورد السبط بعد ذلك قول الجوهرى : بأن فرضة النهر ثلمته التى يسقى منها ، وفرضة البحر محط السفن . انظر الصحاح ١٠٩٧/٣ .

(٧) تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ .

ونقل ابن العماد الحنبلي عن ابن الجوزى : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز .(١)

وأورد ابن الفرات فى تاريخه ، حديثًا لأبى القاسم ولد ابن الجوزى عن نسبتهم ، فقال :

"نحن منسوبون إلى محلة بالبصرة تسمى الجوز ... ويقال إن نسبتنا إلى محلة ببغداد ، تسمى الجوزيين ، كانت قريبة من محلة التوبة ، بالجانب الغربى" .(٢)

ويبدو من كل ماتقدم ، أن هذه النسبة التصقت بابن الجوزى وأسرته ، نتيجة سكن سلفهم فى حيٍّ يسمى "محلة الجوز أو الجوزيين" سواءً كان فى البصرة ـ ولعل ذلك هو الأقرب ـ أو فى بغداد .

وعُرف ابن الجوزى أيضا بـ (الصَّفار) لأن أهله كانوا تجارًا فى النحاس ، فوُجِدتْ فى بعض سَمَاعاته : وكتب عبد الرحمن الصَّفار .(٣)

---

(١) شذرات الذهب ٣٣٠/٤ .

(٢) م(٤) ج(٢) ص ٢١٩-٢٢٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٢/٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨١/٨، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/١ .

المبحث الثانى

ولادته ونشأته

اختلف المؤرخون أيضًا فى سنة ولادة ابن الجوزى .

فقد ذكر المنذرى (١) أنه ولد تخمينًا سنة ثمان وخمسمائة ، وقد سار على هذا الرأى ابن خلكان (٢) .

وأورد ابن رجب (٣) رأيًا ثانيًا ، يتمثل فى ولادته سنة تسع.

أما الرأى الثالث ، فيتزعمه سبط ابن الجوزى ، الذى قال : إن جدَّه ولد بدرب حبيب (٤) فى سنة (٥١٠هـ) (٥) ، وهو ماذهب إليه ابن الدبيثى (٦) ، وأبو شامة (٧) ، وابن تغرى بردى (٨) ، وابن العماد الحنبلى (٩) .

ويبدو أن الرأى الراجح : أن يكون مولده بعد العشرة والخمسمائة : حيث وجد بخطه :"لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى فى سنة أربع عشرة ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر ثلاث سنين" (١٠) .

وقد عقَّب ابن رجب على النص السابق بقوله :"فعلى هذا يكون مولده سنة إحدى عشرة أو اثنتى عشرة" (١١) .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٩٢/٢ .
(٢) وفيات الأعيان ١٤٢/٣ .
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ .
(٤) درب حبيب محلة فى بغداد . انظر المصدر السابق .
(٥) مرآة الزمان ٤٨١/٨ .
(٦) المختصر المحتاج إليه ص ٢٠٦-٢٠٧ .
(٧) الذيل على الروضتين ص ٢١ .
(٨) النجوم الزاهرة ١٧٥/٦ .
(٩) شذرات الذهب ٣٢٩/٤ .
(١٠) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ ، وانظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٢/٣ .
(١١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ .

ولـم يتـح لابـن الجـوزى أن ينعم بحنـان الأبوين ، فبعد وفـاة والده أهملته أمه ، فلم تلتفت إليه ، كما عبَّر عن ذلك هـو نفسه فـى كتابه "صيد الخاطر" (١) إلا أن ذلك لم يؤثر عليه سلبًا ، كما حدث لغيره (٢) .

فقـد نشأ ابن الجوزى على الصلاح والعفاف ، بعد أن قيض اللـه له عمة صالحة (٣) ، تولت رعايته ، فلما ترعرع حملته إلى مسجد أبى الفضل محمد بن ناصر (٤) فلازمه وتلقى عنه العلم .

وقـد حكى ابـن الجـوزى عـن نفسه فى أكثر من موضع من كتابه "صيد الخاطر" (٥) أنه نشأ مترفًا ، وَرُبى فى النعيم .

ويبـدو أن اشتغال أهله بالتجارة (٦) قد وفر له حياة مرفهة ، فلم يُشغل بغير العلم منذ مستهل حياته .

ولـم يكن ابن الجوزى وحيد أبويه ، فقد نشأ بين اثنين مـن الإخوة ، كمـا جاء ذلك ـ عرضًا ـ فى الذيل على طبقات الحنابلة عند حديثه عن اسمه ، حيث قال :"سمانى وأخواى شيخنا ابن ناصر : عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرازق وإنما كنَّا نُعرف بالكنى" (٧) .

---

(١) طبعة على وناجى الطنطاوى ص ٢١٣ .
(٢) انظر فى هذا : محمد جاد البنا : ابن الجوزى يتحدث إليكم . جريدة الجزيرة ١٧ صفر ١٤٠٦هـ ص ٧ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨١/٨ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .
(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨١/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٣ .
(٥) طبعة الطنطاوى ص ٦٣، ٣٨٠ .
(٦) ابن الجوزى : لفتة الكبد ص ٥٦، ٥٧ .
(٧) ٤٠٠/١ .

ويفهم من ذلك أن ترتيبه كان الثانى بين أخويه بعد عبد الله وقبل عبد الرازق . وأشار سبطه إلى أخت له من الأم تدعى "فاطمة بنت الناثر" توفيت (٦٠٥هـ) (١) .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٤٠ .

المبحث الثالث

مقومات شخصيته

امتازت شخصية ابن الجوزى بتنوع القدرات والإمكانات ، ويمكننا أن نلمح ذلك فى الجوانب التالية من شخصيته :

(١) أخلاقه :

عُرف ابن الجوزى بالخُلق الرفيع ، منذ طفولته . فكان ورعًا وقورًا ، مُحبًا للهدوء والعزلة ، لايمازح أحدًا ، ولايأكل من جهة لايتيقن حِلَّها . وكان كثير التلاوة ، يختم القرآن فى كُلِّ سبعة أيام ، وكان يصوم النَّهار ويقوم الليل ، ولايكاد يفتر عن ذكر الله ، ولم يكن يخرج من بيته إلا إلى الجامع (١) .

(٢) صفاته :

رسم الموفق عبد اللطيف (٢) صورة دقيقة ، تنبض بالحياة ، لصفات وشمائل ابن الجوزى حيث قال :

"كان ابن الجوزى ، لطيف الصورة ، حلو الشمائل ، رخيم

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤١٠-٤١١،٤١٣ ، القنوجى : التاج المكلل ص ٦٤،٦٨ .

(٢) أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى (٥٥٧-٦٢٩هـ) ويعرف بابن اللباد ، وبابن نقطة ، كان ذا فنون ، وصاحب تصانيف كثيرة فى الطب والفلسفة والنحو واللغة والتاريخ والأدب .
انظر فى ترجمته : ابن العماد : شذرات الذهب ١٣٢/٥ ، الزركلى : الأعلام ٦١/٤ .

النغمة ، موزون الحركات والنغمات ، لذيد المفاكهة ....
وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه ، ومايفيد عقله قوة
وذهنه حِدَّة ، جُلّ غذائه الفراريج والمزاوير (١) ، ويعتاض عن
الفاكهة بالأشربة والمعجونات ، ولباسه أفضل لباس : الأبيض
الناعم المطيب .ونشأ يتيماً على العفاف ، والصلاح ، وله ذهن
وقّاد ، وجواب حاضر ، ومجون لطيفة ، ومداعبات حلوة ، لاينفك
من جارية حسناء " (٢) .

وقيل إن ابن الجوزى شرب حب البلاذر (٣) ، لأنه يقوى الحفظ
فسقطت لحيته (٤) ، فكانت قصيرة ، وكان يخضبها بالسواد .

والحق أن هذه الصورة - الملونة - لابن الجوزى ، بيَّنت
لنا ماحباه الله تعالى به من جمال الصورة ، وحلاوة الشمائل
ورخامة النغمة ...الخ ، وكل هذه الخمال أوقعت له القبول
والحُبَّ في قلوب الناس (٥) .

ومراعاة ابن الجوزى لصحته ، ومزاجه ، جعله يبدو شابّاً
إلى آخر عمره ، وقد عاش رحمه الله مايزيد عن الثمانين
عاماً (٦) .

وينبغى الا نسىء فهم مجون ابن الجوزى ، فالمقصود به

---

(١) المزورة : بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض - مولدة - وقيل هى مايطبخ خاليا من الأدهان . (الخفاجى : شفاء الغليل) ص ٢٤١ .
(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٣٤٦/٤-١٣٤٧ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .
(٣) تمرة شبيهة بنوى التمر .
(٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٣٤٧/٤ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٣/١ ، محمد على دقه : (هذا الكتاب) مقال عن أخبار الظراف والمتماجنين . مجلة الخفجى . العدد الثانى آيار (مايو) ١٩٨٦م ص ٤٥ .
(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٠/١ .
(٦) د. محمد حسن عبد الله : الحب فى التراث العربى ص ٧٤ .

هو ماكان له على المنبر من نكت لطاف ، ومعان ظراف ، ومزح مع سامعيه (١) .

وذكر سبط ابن الجوزى أن جدّه كان مغرما بـ "خاتون بنت عبد الله" أم ولده يوسف وقد ماتت بعده . وكان بين موتها وموته ، يوم وليلة (٢) .

غير أن داود الأنطاكى صاحب كتاب "تزيين الأسواق فى أخبار العشاق" يُبالغ كثيرًا فى تصوير ابن الجوزى فى صورة العاشق ، حيث أورد خبرًا مفاده : أنه تزوج امرأة تدعى "نسيم الصَّبا" وأقام معها مدة ، ثم وقعت بينهما وحشة ، ففارقها ، فاشتد كلفه بها ، وزاد غرامه ، فراسلها فأبت عليه ، وطال بينهما الأمر .

ثم إنها حضرت مجلس وعظه يومًا ، فلاحت منه نظرة ، فرآها وقد استترت بجاريتين ، فتنفس الصعداء ، وأنشد قول مجنون ليلى :

أيَا جَبَلَىْ نَعْمانَ (٣) باللَّهِ خلّيَا ... سَبيلَ الصَّبا يَخْلُصْ إلىَّ نَسيمُها (٤)

أجدْ بَرْدها أوتَشْفِ منِّى حرارةً ... على كبدٍ لم يبْق إلا صميمُها

فإنّ الصَّبا رِيحٌ إذا ماتنسَّمتْ ... علَى نفْسِ مَهْمومٍ (٥) تجلَّتْ همومُها (٦)

ثم يذكر الأنطاكى : أنها بعد أن سمعت ذلك ، أصابها

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٦ ، وانظر الفصل الثالث من هذا الباب .

(٢) مرآة الزمان ٥٠١/٨ ، ابن الجوزى : بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب (مقدمة المحقق) . مجلة المورد المجلد الثانى العدد الثالث ١٩٧٣م ص ٩١ .

(٣) جبلى نعمان : موضع من نجد به جبلان . ونَعمان الأراك واد بين مكة والطائف . (ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٩٣/٥-٢٩٤) .

(٤) فى الديوان : نسيم .

(٥) فى الديوان : محزون .

(٦) انظر الأبيات فى ديوان مجنون ليلى ص ٢٥٢ .

الحياء ، فقامت ذاهبة وقد داخلتها الرقة له ، فحكت ذلك لبعض النساء ، فمضين فأخبرنه ، فراسلها ، فأجابت فتزوج منها (١) .

ويبدو أن هذه القصة مفتعلة من أساسها ، إذ إنها من ناحية لم تذكر في المصادر التي ترجمت لحياة ابن الجوزي . وهي من ناحية أخرى تدعونا إلى التساؤل : كيف يصدر هذا التهالك ، وهذا التعريض الغزلي من ابن الجوزي الورع ؟ وأين ؟ في مجلس وعظه !!! وأمام جمع غفير من الناس جاءوا ليسمعوا وعظه !!! وهناك مايمنع حدوث هذه القصة في مجلس الوعظ ، إذ إن مجالس ابن الجوزي الوعظية كان يحضرها معظم فئات المجتمع ، وعلى رأسهم الخليفة ووالدته ، وكذلك حرم قصر الخلافة (٢) ، فلابد إذن أن يكون للنساء مكان مخصص يستطعن منه الاستماع إلى الشيخ ، من وراء ستر ، من غير أن يراهنّ الشيخ أو غيره ، وليس كما ورد في هذه القصة .

وهناك توافق عجيب بين اسم الزوجة "نسيم الصَّبا" (٣) وبين ماورد في الأبيات من نسيم الصَّبا ، وبين جبلَّى نعمان ، والجاريتين اللتين استترت بهما الزوجة ، وكذلك بدء القصة بامتناع الزوجة ، ثم عودة المياه إلى مجاريها ، وعودة الزوجين إلى عش الزوجية ، كل هذه الأمور ، يبدو فيها كأن صانع هذا الخبر – ولا أقول راويه – قد نسج الحوادث بشكل يوافق قول المجنون ، حتى بدا كأنه عمل فني ، فيه الكثير من عناصر القصة .

---

(١) تزيين الأسواق ١/١١١ .
(٢) محمد بن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٠٨ .
(٣) لم أجد في المصادر التي رجعت إليها أحداً يذكر أن ابن الجوزي كان له زوجة بهذا الاسم !!!

وقد أورد الخبر السابق ، الدكتور محمد حسن عبد الله في كتابه "الحب في التراث العربي" (١) ليدلل على ماذهب إليه في الحكم على شخصية ابن الجوزى ، فهو يرى وبناءً على وصف الموفق عبد اللطيف لابن الجوزى : أن هناك صراعًا معلنًا بين شخصية ابن الجوزى الفقيه ، وبين شخصية ابن الجوزى الأديب المتفنن ، الظريف ، المقبل على الحياة (٢) .

ويضيف أن هذا الصراع – نفسه – نجده في اتجاه مؤلفاته. فمؤلفاته الفقهية – وهي الأكثر – تترك في النفس إحساسًا بالجدية ، والاهتمام بالقضايا الدينية . والاتجاه الآخر يتسلل برفق بين حين وآخر ، وهو جانب حب الحياة ، والمداعبة ، والميل إلى الزينة ، والظرف ، وتذوق كل ماهو جميل ، ونجد ذلك في مؤلفاته : أخبار النساء ، والأذكياء ، والحمقى والمغفلين ، والقُصَّاص والمذكرين ، وذم الهوى (٣) .

ويظهر أن نظرة الدكتور محمد حسن عبد الله إلى العالم والفقيه ، فيها نوع من الجمود ، فما الذي يمنع أن يكون للفقيه تلك الاهتمامات الطريفة ، التي أشار إليها ؟!! التي تدخل في نطاق الفن والأدب ، ثم ما المانع أن تكون شخصية ابن الجوزى متصفة بالظرف والطرافة وحب الحياة والتمتع بكل مافيها من جمال ؟ طالما كان ذلك في حدود الأدب مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!!

وعلى ذلك فكل ماذكره الدكتور لايستدعي أن نرميه بوجود صراع معلن بين أطراف شخصيته ، التي تميزت بالعمق ،

---

(١) ص ٧٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٣-٧٤ .
(٣) المرجع نفسه ص ٧٤ .

وباتساع الأفق ، فلانجد فيها إفراطاً أو تفريطاً ، لاتعرف الغلو في الدين ، ولا الاستغراق في ملذات الدنيا .

(٣) مواهبه :

أنعم الله تعالى على ابن الجوزى ، بقدرات وإمكانات ، قلَّ أن تجتمع في شخصية رجل واحد ، فقد أُوتى ملكة الكتابة وأصالة الأسلوب فيها ، وملكة الكلام وبراعة المخاطبة للجماهير ، مع التبريز فيهما معاً (١) .

ووصفته بعض المصادر بأنه :"كان من أحسن الناس كلاماً ، وأتمهم نِظاماً ، وأعذبهم لساناً ، وأجودهم بَناناً (٢) " .

وقال عنه ابن الفرات :"كان مليح العبارة ، حلو المنطق ، حسن الإشارة ، لطيف الذهن ، سريع الجواب" (٣) .

وجمع ابن الجوزى أيضاً بين الشعر والنثر ، إلا أن ابن جبير بالغ في وصفه بالتمكن فيهما ، حيث قال :"مالك أزمة الكلام في النظم والنثر" (٤) .

وحُبب إلى ابن الجوزى استقصاء جميع الفنون ، فكان يكره التخصص الضيق والاشتغال بفن واحد من العلم ، لأنه يرى ذلك تفريطاً في العمر ، والمذهب السديد عنده : أن يأخذ الإنسان من كل علم طرفاً (٥) ، وهو ماينطبق مع تعريف ابن خلدون

---

(١) أنور الجندى : نوابغ الإسلام ص ٢٨٨ .
(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٢ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .
(٣) تاريخ ابن الفرات : م (٤) ج (٢) ص ٢١٥ .
(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٠٧ .
(٥) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٧١-٢٧٢.

للأدب : "الأخذ من كل علم بطرف"[1] .

وتميز ابن الجوزى باقترابه من الخاصة والعامة معًا ، فقد كان يملك القدرة على التحليق مع الفلاسفة والإرباء عليهم . ويملك فى الوقت نفسه النزول إلى العامة ومخالطتهم[2] .

(٤) رقة طبعه :

اتصف ابن الجوزى برقة الطبع ، وانقاد المشاعر العامرة التى كانت تجيش فى صدره[3] ، وقد أحسن الاستفادة من هاتين الخصلتين فى وعظه للناس ، فكان تأثيره فى النفوس قويًا[4] .

وقد بين ابن جبير شدة انفعال ابن الجوزى بما يقوله فى مجالسه ، فقال :"... ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ونزل عن المنبر دهشًا عجلاً ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحرِّ من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ..."[5] .

ووصف آخر تأثير ابن الجوزى فى سامعيه ، فقال :"وكان إذا وعظ اختلس القلوب ، وتشققت النفوس دون الجيوب"[6] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٣ .
(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة المحقق الشيخ محمد الغزالى) ص ٣-٤ .
(٣) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الغزالى) ص ٥.
(٤) المصدر السابق ، ابن الجوزى : القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. قاسم السامرائى) ص ٤٩ .
(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٠٩-٢١٠ .
(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٣/١ .

المبحث الرابع

أولاده

كان لابن الجوزى أكثر من عشرة أولاد ، فهو يذكر فى أحد كتبه أنه رزق بعشرة :"فإنِّى لمَّا عرفتُ شرف النكاح وطلب الأولاد ختمت ختمة ، وسألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد فرزقنيهم ، فكانوا : خمسة ذكور وخمس إناث . فمات من الإناث اثنتان ، ومن الذكور أربعة ، فلم يبق من الذكور سوى ولدى أبى القاسم"(١) .

ولكن الراجح أنه رزق بعد انتهائه من تصنيف كتابه هذا ـ وهو رسالة صغيرة وجهها لابنه الباقى ـ بأكثر من ولد .

فبعض المصادر تذكر أن ابنه يوسف والملقب بمحيى الدين والصاحب ، ولد سنة ثمانين وخمسمائة ، أى قبل وفاة ابن الجوزى بسبعة عشر عامًا ، وعاش بعد أبيه طويلاً حتى مات قتيلاً فى وقعة التتار سنة (٦٥٦هـ)(٣) ، وهذا يؤكد أنه ولد بعد تصنيف أبيه لتلك الرسالة .

وذكر السبط لابن الجوزى ستًا من الإناث ، حيث قال "كانت لجدِّى عدة بنات منهن : والدتى رابعة ، وشرف النساء وزينب ، وجوهرة ، وست العلماء الكبرى ، وست العلماء الصغرى ، وكلهن سمعن الحديث من جدِّى"(٤) .

---

(١) ذكر سبط ابن الجوزى أن جدَّه كان له من الذكور ثلاثة (مرآة الزمان ٥٠٢/٨) والصواب ماقاله ابن الجوزى ، ولعل السبط أهمل ذكر من مات من أولاد جدِّه صغيرًا .

(٢) لفتة الكبد ص ٢١-٢٢ .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٢/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠/١٣ .

(٤) مرآة الزمان ٥٠٣/٨ .

وفى هذا النص إشارة إلى أنه رزق أيضًا بابنة بعد تلك الرسالة ، وبذلك يكون مجموع أولاد ابن الجوزى اثنى عشر ولدًا .

وأكبر أولاده اسمه : عبد العزيز وكنيته أبو بكر : تفقه على مذهب الإمام أحمدبن حنبل (١) رحمه الله وسمع من جماعة من شيوخ أبيه ، سافر إلى الموصل ووعظ الناس فيها ، حتى حصل له القبول التام ، فيقال إن قومًا حسدوه ، فدسُّوا له السُمَّ فمات فى الموصل فى حياة والده سنة أربع وخمسين وخمسمائة (٢) .

وأما الثانى فاسمه علىّ وكنيته أبو القاسم ، وهو الذى كتب له والده الرسالة - السابقة - ينصحه فيها بعد أن رأى منه توانٍ عن الجدّ فى طلب العلم ، وسماها :"لفتة الكبد فى نصيحة الولد" (٣) ، واختار له ابنة الوزير يحيى بن هبيرة (٤) لتكون زوجًا له (٥) .

غير أن أبا القاسم هذا كان عاقًّا لأبيه ، غير مهتم به. ولما اُمتحن ابن الجوزى فى آخر حياته ، وأُجبر على الرحيل إلى واسط صار إلبًا عليه مع المعادين ، وتحايل على كتبه

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى ، أبو عبد الله (١٦٤-٢٤١هـ) أحد الأئمة الأربعة ، وإمام المذهب الحنبلى ، صنف ابن الجوزى فى سيرته كتابًا جامعًا سماه: "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٦ .

(٣) انظر ص ٢٢ من الكتاب .

(٤) أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة (٤٩٩ - ٥٦٠هـ) وزر للمقتفى ، ثم للمستنجد ، وكان عالمًا متواضعًا ، محبًا لأهل العلم ، أخذ عنه ابن الجوزى .
انظر ترجمته فى : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٩٣-١٩٥ ، المنتظم ١٠/٢١٤-٢١٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٢٣٠-٢٤٤ ، الزركلى : الأعلام ٨/١٧٥ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ١٠/٢٥٧ .

حتى أخذ منها ما أراد ، وباعها ولابثمن المداد ، توفى سنة ثلاثين وستمائة وله ثمانون عاما (١) .

أما يوسف وكنيته أبو محمد ، فهو أصغر أولاد ابن الجوزى - كما مرَّ بنا - نشأ على الأخلاق الحميدة والصلاح ، وسمع الحديث الكثير والفقه . وقد وعظ بعد وفاة أبيه ،ودرّس وصنّف ، وولى الحِسْبَة ، والسفارة ، قُتل مع الخليفة المستعصم بالله ومعه أولاده الثلاثة ، عندما دخل "هولاكو" بغداد سنة ٦٥٦هـ (٢) .

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٢/٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٢٥٨/٢-٢٦١ .

المبحث الخامس

محنته

كان ابن الجوزى أحد العلماء الذين واجهوا المحن ، وقاسوا الظلم ، فى سبيل الحق الذى انتهجوه طريقاً لهم ، حيث امتحن فى أواخر حياته ، وهو شيخ يقارب الثمانين من عمره ، وقصة امتحانه تبدأ خيوطها عندما حضر مجلساً عقده الوزير عبيد الله بن يونس الحنبلى (المتوفى ٥٩٣هـ)(١) للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى (٥٤٨ ـ ٦١١هـ)(٢) بعد أن كبس داره وأخرج كتبه ، وكان فيها كتب فى الزندقة وعبادة النجوم ورأى الأوائل ، فاستدعى الوزير الفقهاء والعلماء ـ ومن بينهم ابن الجوزى ـ ليشيروا عليه فى شأنه ، ثم قرر حرق كتبه ، وتسليم مدرسة جدّ الركن الى ابن الجوزى .

فلما ولى الوزارة محمد بن على بن أحمد بن المبارك ، المعروف بابن القصاب (٥٢٠ ـ ٥٩٢هـ)(٣) ـ الرافضى ـ قبض على ابن يونس ، وتتبع أصحابه ، فانتهز الركن عبد السلام الفرصة ، وقال للوزير :"أين أنت عن ابن الجوزى ؟ فإنه ناصبى ، ومن أولاد أبى بكر الصديق ، فهو من أكبر أصحاب

---

(١) انظر فى ترجمته : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٢/١ ـ ٣٩٥ ، الزركلى : الأعلام ١٩٨/٤ .

(٢) انظر فى ترجمته : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٧١/٢-٧٣ ، الزركلى : الأعلام ٦/٤ .

(٣) انظر فى ترجمته : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٥٠/٨ ، أبا شامة : الذيل على الروضتين ص ٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٣٩/٦ ، الزركلى : الأعلام ٢٧٩/٦ .

ابن يونس ، وأعطاه مدرسة جدِّى ، وأحرقت كتبى بمشورته " فكتب الوزير إلى الخليفة الناصر لدين الله (٥٥٣ - ٦٢٢هـ) - وكان له ميل إلى الشيعة (١) ، ولم يكن يحب ابن الجوزى - فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام .

فجاء الركن إلى دار ابن الجوزى ، وأغلظ عليه ، وختم على كتبه وداره ، وشتت عياله ، فلما كان أول الليل ، حمله فى سفينة ، وليس على ابن الجوزى سوى غِلَالة (٢) بلاسراويل ، وتخفيفة على رأسه ، فأحدر إلى واسط ، وكان ناظرها شيعيًا ، فقال له الركن :"مكنِّى من عدوِّ لأرميه فى المطمورة (٣) " فزجره قائلاً :"يازنديق أرميه بقولك ؟ هات خط الخليفة (٤) ، والله لو كان من أهل مذهبى لبذلت روحى ومالى فى خدمته " !!!

ثم جمع الركن أهل واسط ، وادعى على ابن الجوزى أنه تصرف فى وقف المدرسة ، واقتطع من مالها ، فأنكر ابن الجوزى ذلك ، ثم عاد الركن إلى بغداد تاركًا ابن الجوزى يقاسى الظلم .

بقى ابن الجوزى محبوسًا بواسط، فى دار بدرب يقال له : الديوان ، وقد وضع على بابها بواب ، وفى هذه الدار أقام خمس سنين يخدم نفسه بنفسه ، فيغسل ثوبه ، ويطبخ ، ويستقى الماء من البئر ، ولايتمكن من الخروج إلى الحمام (٥) أو غيره ،

---

(١) قال عنه جمال الدين بن واصل فى كتابه "مفرج الكروب" ١٦٦/٤ :"وكان الناصر لدين الله يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية وهو خلاف ماكان عليه آباؤه " .

(٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب . (الجوهرى : الصحاح ١٧٨٣/٥) .

(٣) المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام ، أى يخبأ . (الجوهرى : الصحاح ٧٢٦/٢) .

(٤) أى أمر الخليفة .

(٥) أى المكان المخصص للاستحمام .

إلا أن بعض الناس كانوا يدخلون عليه ، ويستمعون منه . وكان في أثناء نفيه في واسط يرسل أشعارًا كثيرة إلى بغداد .

وبلغ من شدة محنة ابن الجوزي ماذكره ابن رجب : أنه بقي خمسة أيام في السفينة ، لم يأكل فيها طعامًا ، حتى وصل إلى واسط .(١)

نهاية المحنة :

في سنة خمس وتسعين وخمسمائة أُفرج عن ابن الجوزي وقدم إلى بغداد ، حيث استقبله أهلها بفرح عارم .

وكان السبب في الإفراج عن ابن الجوزي أن ولده محيي الدين يوسف أصبح واعظًا بارزًا فاستطاع أن يتوصل إلى أم الخليفة الناصر لدين الله ، وكانت تتعصب لابن الجوزي ، فتشفعت فيه عند ابنها ، حتى أمر بإعادته إلى بغداد .(٢)

وأعجب مافي هذه المحنة التي حلت بابن الجوزي ، بغير جرم ارتكبه أنه قابل كل ألوان الظلم والسجن ، بصبر يعجز عنه كثير من الشباب ، على الرغم من مقاربته للثمانين من عمره .

ولم تمنعه هذه المحنة من أداء رسالته التي أوقف حياته من أجلها ، فكان يلتقي بطلبة العلم ـ يسمع منهم ،

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٧/١ .

(٢) انظر محنة ابن الجوزي بالتفصيل فيما يلي : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٤٣٨/٨-٤٤٠ ، أبو شامة الذيل على الروضتين ص ٥٥-٥٦ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٥/١-٤٢٧ .

ويعلّمهم ، ويملي عليهم - مع قيامه بتدبير أمور حياته بنفسه .

وبلغ من همته العالية أنه قرأ بواسط القرآن الكريم بالعشر على ابن الباقلاني (١) ، ومعه ولده يوسف (٢) .

---

(١) هكذا ذكر ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٣٤٦/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٧٧/٢١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/١ .

المبحث السادس

وفـــاتــــه

لبى ابن الجوزى نداء ربه فى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ، فى الثانى عشر من شهر رمضان ، سنة سبع وتسعين وخمسمائة (١) .

وقد تحدث سبطه عن الأيام الأخيرة التى سبقت موته ، فقال : "جلس جدّى يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى (٢) ، وكنت حاضرًا فأنشد :

اللَّهَ أسألُ أنْ يطوِّلَ مُدَّتى   وأنالَ بالإنْعَامِ مافِى نِيَّتِى

فنزل من على المنبر ، فمرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين العشاء والمغرب فى داره (٣) " .

وما أن سُمع الخبر حتى اجتمع أهل بغداد ، وأغلقت الأسواق ، وجاء أهل المحال فحملوا جنازته بعد وقت السحر إلى تحت التربة ، مكان جلوسه للوعظ ، فصلى عليه ابنه أبو القاسم اتفاقا ، لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه ، ثم ذهبوا إلى جامع المنصور ، الذى ضاق بالناس ، فصلّوا عليه ، وكان يوما مشهودا .

ولم يصل إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد بن حنبل إلى

---

(١) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج إليه ص ٢٠٧ ، ابن الساعى : الجامع المختصر ٦٧/٩ .

(٢) معروف الكرخى (المتوفى ٢٠٠هـ) ، صنف ابن الجوزى فى سيرته كتابًا سماه : "مناقب معروف الكرخى وأخباره" نشر فى مجلة المورد العراقية - العدد الرابع المجلد التاسع ص ٦٠٩-٦٨٠ .
وانظر فى ترجمته أيضا : ابن الجوزى : صفة الصفوة ٣١٨/٢-٣٢٤ ، الزركلى : الأعلام ٢٦٩/٧ .

(٣) مرآة الزمان ٤٩٩/٨-٥٠٠ .

وقت صلاة الجمعة ، وكان الوقت صيفًا ، فأفطر خلق كثير ممن شيعه ، وحزن الناس عليه ، وبكوه كثيرًا .

وكان ابن الجوزي قد أوصى أن يكتب على قبره :

يا كثيرَ العفْو عمَّنْ ... كَثُرَ الذَّنْبُ لديه
جَاءَكَ المذْنِبُ يرْجو الصَّـ ... ـفْحَ عنْ جُرْمِ يدَيْه
أنَا ضيْفٌ وجزاءُ الـ ... ـضّيْفِ إحْسانٌ إليه (١)

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٥٠٠-٥٠٢ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٨ .
وقد سجل الشعرُ حزن الناس لفقد ابن الجوزي ، فمما قاله القادري العلوي في رثائه :

لِعُلاَ أبِي الفَرَجِ الَّذِى بَعْدَ التُقى ... والعِلْم يومَ حواهُ هذا المجْمعُ
خبرٌ عليه الشرْعُ أصبحَ والِهًا ... ذا مُقْلةٍ حَرّا عليه تدْمَعُ
مَنْ لِلفتاوى المشْكِلاتِ وحَلِّها ؟ ... مَنْ ذا لخرْقِ الشرْعِ يومًا يرْقَعُ؟
مَنْ لِلمَنابرِ أنْ يقومَ خطيبَها ؟ ... ولردِّ مسألةٍ يقولُ فيُسْمِعُ ؟
مَنْ للجدالِ إذا الشِّفاهُ تقلّصتْ ؟ ... وتأخرَ القومَ الهِزَبْرُ المصْقعُ؟
مَنْ للدّياجى قائمًا ديجورُها ؟ ... يَتْلو الكِتابَ بمُقْلةٍ لاتهْجَعُ ؟
أجَمالُ دِينِ محمدٍ ، ماتَ التقى ... والعِلْمُ بعدك، واسْتحمَّ المَجْمَعُ
يَاقبْرَه جَادتْكَ كلُّ غمامةٍ ... هطّالةٍ ، ركَّانةٍ ، لاتقْلِعُ

انظر الأبيات : ابن رَجب : الذيلُ على طبَقات الحنابلة ١/٤٢٩-٤٣٠ ، القنوجي : التاج المكلل ص ٧٣ ، وجاء في مرآة الزمان ٨/٥٠٠-٥٠١ أن القائل اسمه : الناصر العلوي الموسوي مع إضافات غير موجودة عند ابن رجب ، وكذلك العكس .

الفصل الثانى

ثقافته وآثاره العلمية

المبحث الأول : طلبه للعلم .

المبحث الثانى : شيوخه .

المبحث الثالث : تأثره بمن سبقه من العلماء .

المبحث الرابع : مذهبه .

المبحث الخامس : وظائفه .

المبحث السادس : مكانة ابن الجوزى العلمية ورأى العلماء فيه .

المبحث السابع : ثقافته الأدبية .

المبحث الثامن : مصنفاته .

المبحث التاسع : تلامذته .

المبحث الأول

طلبه للعلم

حُبِبَ إلى ابن الجوزى العلم منذ طفولته المبكرة ، فتشاغل به ، ولم تقتصر همته على فنٍ بعينه ، بل رام استقصاءه (١) ، رغم أن أهله كانوا تجارًا ، ولم يشتغل أحد منهم بالعلم (٢) .

وقد ساعدته ظروف عصره على الاهتمام به ، إذ كانت الصبغة الغالبة فى الحياة العامة فى بغداد ، الالتفات إلى العلوم ، وبخاصة مايتصل بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف (٣) .

وقد كان ابن الجوزى مُجِدًّا فى طلب العلم ، محتملاً فى سبيله الشدائد (٤) ، وعين همته لاترى إلا لذة تحصيله ، فتفوق على كثير من معاصريه (٥) .

ومما أعانه على ذلك ماحباه الله – عز وجل – به من نضج مبكر وعقل يزيد على عقل الشيوخ (٦) ، بالإضافة إلى تنظيم أوقاته (٧) ، والعزوف عن اللهو ، وعن إضاعة الوقت فيما لايفيد .

وقد بلغ من شَغَفِ ابن الجوزى بالعلم والمعرفة ، أنه أنفق كل إرثه الذى خلَّفه له والده فى شراء الكتب (٨) ، وذكر

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٦٢ .
(٢) ابن الجوزى : لفتة الكبد ص ٧٥-٧٦ .
(٣) ابن الجوزى : نزهة الأعين النواظر (مقدمة المحقق محمد عبد الكريم كاظم الراضى) ص ٢٣-٢٤ .
(٤) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢١٣ .
(٥) ابن الجوزى : مشيخة ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص ٨ .
(٦) ابن الجوزى : لفتة الكبد ص ٣٤-٣٧ .
(٧) ابن الجوزى : مشيخة ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص ٨ .
(٨) ابن الجوز ى: لفتة الكبد ص ٥٦ .

كذلك أنه طالع أكثر من عشرين ألف مجلد ، وهو لايزال طالباً.(١)

وكانت بغداد فى عصره تزخر بالعلماء الذين احتضنوه ، لذا لم يكن فى حاجة إلى الارتحال عن بغداد فى طلب العلم ،(٢) قال ابن الجوزى عن ذلك لولده أبى القاسم :"وماذُلّ ابوك فى طلب العلم قط ، ولاخرج يطوف فى البلدان كغيره من الوعاظ"(٣) .

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى)ص ٣٧٥-٣٧٦ .
(٢) ابن الجوزى : أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٥٣ .
(٣) لفتة الكبد ص ٥٦-٥٧ .
ولم يرحل ابن الجوزى عن بغداد سوى مرتين وكلاهما للحج الأولى كانت مع زوجته وأطفاله سنة (٥٤١هـ) انظر كتابه المنتظم ١٢٠/١٠ ، والرحلة الثانية سنة (٥٥٣هـ) المنتظم ١٨٢/١٠ ، وانظر وصفه لرحلة الحج فى كتابه صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٤٨-١٤٩ .

المبحث الثانى

شيـــوخـــه

تتلمذ ابن الجوزى على أكابر علماء عصره وأفاضلهم ، فأخذ عنهم معظم ثقافات ذلك العصر . وكان من مشايخه : الفقهاء ، والمحدِّثون ، والأدباء ، والوعاظ ، والمناظرون والقراء ، والرواة ، واللغويون ، والشعراء ، وأئمة أهل المذهب ، وعلماء الأصول والفرائض ، وغيرهم (١) .

وكان ابن الجوزى يقبل على شيوخه بهمة عالية ، ولم يكن يكتفى منهم بالقراءة والسماع ، فى المساجد والجوامع والمدارس فقط (٢) ، بل كان يذهب إلى منازلهم طلبًا للعلم .

وقد صنف ابن الجوزى فى مشيخته (٣) ، كتابًا ذكر فيه أكابر شيوخه وبلغ عددهم ستة وثمانين شيخا (٤) ، وثلاث نساء .

واستهل ابن الجوزى مشيخته بالحديث عن بداياته فى طلب العلم على يد شيوخه فقال :"حملنى شيخنا ابن ناصر إلى الاشياخ فى الصغر ، وأسمعنى العوالى ، وأثبت سماعاتى كلها بخطه ، وأخذ لى إجازات منهم ، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتى تجويد العدد لاتكثير العدد . ولمّا رأيت من أصحابى من

---

(١) ابن الجوزى : المصباح المضىء (مقدمة المحققة) ٢٣/١ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٢١٢/١٠ .
(٣) المشيخة فى اصطلاح المحدثين :"هى التى تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف ، وأخذ عنهم أو أجازوه ، وإن لم يلقهم" . ابن الجوزى : مشيخة ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص ٣٩-٤٠ .
(٤) قال ابن رجب فى الذيل على طبقات الحنابلة (٤٠١/١) إنهم : سبعة وثمانين شيخا .

يؤثر الاطلاع على كبار مشياخي ، ذكرتُ عن كل واحد منهم حديثاً " .(١)

وقد جعل ابن الجوزي رقماً مسلسلاً لشيوخه الذين روى عنهم ، ويبدأ بذكر اسم ونسب الشيخ ، وأحياناً يضبط تاريخ سماعه منه ، وغالباً مايذكر اليوم والسنة ، ثم يذكر الحديث بالإسناد المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يذكر إخراج الشيخين (البخاري ومسلم) للحديث أو انفراد أحدهما بإخراجه ، ويبين كيفية وقوع الحديث له عاليا .(٢)

ولم يذكر ابن الجوزي كلَّ شيوخه في مشيخته ، بل اكتفى بذكر أبرزهم ، يقول عن الشيخ السادس والثمانين :"هذا آخر المشايخ الأكابر . وقد سمعتُ من جماعة غيرهم ، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم " .(٣)

وقد قرأ ابن الجوزي القرآن الكريم على أبي بكر محمد ابن الحسن بن علي المزرفي (٤٣٩ - ٥٢٧هـ)(٤) وسمع الحديث عن أبي الفضل محمد بن ناصر السُلامي (٤٦٧ - ٥٥٠هـ)(٥) وأخذ الفقه عن أبي الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني (٤٥٥ - ٥٢٧هـ)(٦) ،

---

(١) مشيخة ابن الجوزي ص ٥٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/١ .

(٢) ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي (مقدمة المحقق) ص ٤٠-٤١ ، والحديث العالي " هو ماقلّ رجال اسناده . انظر المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٨ .

(٤) ابن الداودي : طبقات المفسرين ص ٢٧١ ، وانظر في ترجمته : ابن الجوزي : المشيخة ص ٥٩-٦١ ، المنتظم ٣٣/١٠-٣٤ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٣-٢٩ ، وانظر في ترجمته : ابن الجوزي : المشيخة ص ١٢٦-١٢٩ ، المنتظم ١٦٢/١٠-١٦٣ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٥٣٠-٥٣١ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٣-٢٩ ، وانظر في ترجمته : ابن الجوزي : المشيخة ص ٧٩-٨١ ، المنتظم ٣٢/١٠ .

وقرأ الوعظ على الشريف أبى القاسم على بن يعلى العلوى الهروى (المتوفى ٥٢٧هـ) (١) وأخذ اللغة والأدب عن أبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى (٤٦٥ - ٥٤٠هـ) (٢) .

وسمع أيضاً عن أبى الحسن على بن عبد الواحد الدينورى (المتوفى ٥٢١هـ) (٣) وأبى السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلى العباسى (٤٤١ - ٥٢١هـ) (٤) وأبى منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزار (المتوفى ٥٣٥هـ) (٥) وأبى البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطى (٤٦٢ - ٥٣٨هـ) (٦) وأبى محمد عبد الله بن على المقرىء (٤٦١ - ٥٤١هـ) (٧) وأبى الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصارى (المتوفى ٥٤١هـ) (٨) وغيرهم كثير .

وأخذ ابن الجوزى العلم عن ثلاث نساء - كما سبق - وهن فاطمة بنت محمد بن الحسين (توفيت ٥٢١هـ) (٩) ، وفاطمة بنت

---

(١) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ٢٩٢/٢ ، وانظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١١٤-١١٥ ، المنتظم ٣٢/١٠ .
(٢) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ٢٩٢/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣ ، وانظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٢٤-١٢٦ ، المنتظم ١١٨/١٠ .
(٣) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ٦٣-٦٥ ، المنتظم ٧/١٠ .
(٤) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ٦٥-٦٧ ، المنتظم ٧/١٠ .
(٥) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١١٦-١١٨ ، المنتظم ٩٠/١٠ .
(٦) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ٨٥-٨٦ ، المنتظم ١٠٨/١٠ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٥٢٩ .
(٧) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٢٩-١٣٢ ، المنتظم ١٢٢/١٠ .
(٨) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٥٠-١٥٢ ، المنتظم ١٢١/١٠ .
(٩) انظر فى ترجمتها : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٩٨-١٩٩ ، المنتظم ٧/١٠-٨ .

عبد الله الخبرى (توفيت ٥٣٤هـ) (١) ، وفخر النساء شهدة بنت أحمد الأبرى (توفيت ٥٧٤هـ) (٢) .

حديث ابن الجوزى عن شيوخه :

تحدث ابن الجوزى عن شيوخه ، فى العديد من كتبه معبرًا عن أثرهم العميق فى تكوين شخصيته ، وعرفانًا بدورهم الكبير تجاهه .

قال عن شيخه الأول أبى الفضل بن ناصر (٣) :"هو الذى جعله الله تعالى سببًا لإرشادى إلى العلم ، فإنه كان يجتهد معى ويحملنى إلى المشايخ ، وأسمعنى مسند الإمام أحمد بقراءته على ابن الحصين (٤) ، والأجزاء العوالى ، وأنا إذ ذاك لا أدرى ما العلم من الصغر ، وكان يثبت لى كل ما أسمعه ، وقرأت عليه ثلاثين سنة ، ولم أستفد من أحد كاستفادتى منه (٥) " .

وقال عن شيخه أبى البركات عبد الوهاب الأنماطى :"كان على قانون السلف ، لم يُسمع فى مجلسه غيبة ، ولاكان يطلب أجرًا على سماع الحديث ، وكنت إذا قرأت عليه احاديث

---

(١) انظر فى ترجمتها : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٩٩-٢٠١ ، المنتظم ٨٨/١٠ .

(٢) انظر فى ترجمتها : ابن الجوزى : المشيخة ص ٢٠١-٢٠٢ ، المنتظم ٢٨٨/١٠ .

(٣) ذكر ابن العماد فى شذرات الذهب ٣٣٠/٤ أن ابن ناصر خالٌ لابن الجوزى ، ولكنَّ ابن الجوزى لم يشر إلى ذلك أبدا !!

(٤) هبة الله بن محمد بن الحصين البغدادى (المتوفى ٥٢٥هـ) أول شيوخه فى المشيخة ص ٥٣-٥٤ ،وانظر المنتظم ٢٤/١٠ .

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٥٣١ ، وانظر المنتظم ١٦٣/١٠ ، لفتة الكبد ص ٣٥ .

الرقائق بكى واتصل بكاؤه (١) ، فكنت وأنا صغير السن حينئذ يعمل بكاؤه فى قلبى ، يبنى قواعد ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم فى النقل" (٢) .

وتحدث عن شيخه أبى منصور الجواليقى ، ومما قاله "كان طويل الصمت ، لايقول الشئ إلا بعد التحقيق والفكر الطويل ، وكثيراً ماكان يقول لاأدرى ... وقرأت عليه كتابه المُعَرَّب" (٣) .

ومن هذه النصوص يتضح لنا أثر شيوخ ابن الجوزى عليه بأخلاقهم وسلوكهم قبل علمهم ، وقد قال ابن الجوزى فى ذلك : "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة ، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم ، وكان أنفعهم لى فى صحبته العامل منهم بعلمه ، وإن كان غيره أعلم منه" (٤) .

---

(١) الرقائق هى مايرقق القلب .
(٢) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٤٠ ، وانظر المنتظم ١٠٨/١٠ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٥٢٩ .
(٣) المنتظم ١١٨/١٠ .
(٤) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٤٠ .

المبحث الثالث

تأثره بمن سبقه من العلماء

تأثر ابن الجوزى ببعض العلماء من خلال مصنفاتهم ، دون أن يتلقى عنهم العلم مباشرة .

ومن أبرز هؤلاء العلماء : ابن قتيبة (١) (٢١٣ - ٢٧٦هـ) حيث صنف ابن الجوزى كتاباً بعنوان "تلقيح فهوم الأثر" على وضع كتاب "المعارف" لابن قتيبة (٢) .

ولعل من أبرز مظاهر تأثر ابن الجوزى بابن قتيبة ، أنه استوحى كتابه "تقويم اللسان" فى شكله ومضمونه من كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة ، الذى أفرد فيه باباً كبيراً سماه "كتاب تقويم اللسان" اهتم فيه بالجوانب اللغوية التى تهم الكُتّاب (٣) .

ويشبه ابن الجوزى ابن قتيبة ، فى كونه لم يجد بأساً فى اقتحام مجالىّ الفكاهة والعشق ، ونجد أصداء مقدمة ابن قتيبة فى كتابه "عيون الأخبار" فى مقدمات بعض كتب ابن الجوزى .

فابن قتيبة فى مقدمته يدافع عن نفسه ، ممن يعتقد أنهم ينكرون عليه تطرقه لمجال الفكاهة والعشق ، وكل مايمكن أن يكون مبتذلاً عند المتزمتين فيقول :"وهذه عيون الأخبار

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، أبو محمد ، أحد أئمة العلم والأدب . انظر فى ترجمته : ابن الجوزى المنتظم ١٠٢/٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٢/٣-٤٤ ، الزركلى : الأعلام ١٣٧/٤ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤١/٣ .
(٣) أدب الكاتب ص ٢٣٨-٣٣٢ .

نظمتها لمُغفل التأدب تبصرة ، ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس وَمُسوسِهم مؤدباً ، وللملوك مستراحاً من كدّ الجِدّ والتعب" (١) . ويحث القارئ على استخلاص جوهر الكتاب بقوله: "جمعتُ لك منها ماجمعتُ فى هذا الكتاب ، لتأخذ نفسك بأحسنها، وتقوّمها بثِقافها ، وتخلصهامن مساوئ الأخلاق" (٢) ويضيف : "هذا إذا كانت الغريزة مواتية ، والطبيعة قابلة ، والحس منقاداً" (٣) ويبرر ابن قتيبة إيراده للنوادر المضحكة بقوله :"ولأروح بذلك عن القارئ من كدّ الجِدّ ، واتعاب الحق ، فإن الأذن مجّاجة وللنفس حمضة ..." (٤) .

ويعلل ابن قتيبة إيراده لقصص العشق وتصريحه بذكر العورات فيقول :"ولم أترخص لك فى إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هُجّيراكَ على كل حال ،وديدنك فى كل مقال ، بل الترخص منّى فيه عند حكاية تحكيها ، أو رواية ترويها ، تنقّصها الكناية ، ويُذهب بحلاوتها التعريض ، وأحببت أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجيّة ، والرغبة بها عن لِبْسَةِ الرياء والتصنع" (٥) .

فإذا انتقلنا إلى ابن الجوزى نجده يقول فى مقدمة "أخبار الظراف والمتماجنين" :"فلما كانت النفس تَملّ من الجِدّ ، لم يكن بأس بإطلاقها فى مزح ترتاح به" (٦) ، ويأتى بعد ذلك بالأدلة على مزاح الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته

---

(١) عيون الأخبار ١/ى .
(٢) المصدر السابق ١/ك .
(٣) المصدر السابق ١/ك .
(٤) المصدر السابق ١/ل .
(٥) المصدر السابق ١/م .
(٦) ص ١ .

والسلف الصالح (١) .

ويقول أيضاً فى مقدمة "أخبار الحمقى والمغفلين" :

"آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة أشياء :

الأول : أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ماوُهب له مما حرموه ، فحثه ذلك على الشكر ...

والثانى : أن ذكر المغفلين يحث المتيقظ على اتقاء أسباب الغفلة ، إذاكان ذلك داخلاً تحت الكسب وعامله فيه الرياضة ...

والثالث : أن يرَّوح الإنسان قلبه بالنظر فى سير هؤلاء المبخوسين حظوظاً يوم القسمة ، فإن النفس قد تملُّ من الدؤوب فى الجِدّ ، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو" (٢) .

ويقدم ابن الجوزى لكتابه "ذم الهوى" بقوله : "واعلم أنى قد نزلت لأجلك فى هذا الكتاب عن يفاع الوقار ، إلى حضيض الترخص فيما أورد ، اجتذاباً لسلامتك ، واجتلاباً لعافيتك ، وقد مددتُ فيه النَّفَس بعض المدّ ، لأن مثلك مفتقر إلى مايلهيه من الأسمار ، عن الفكر فيما هو بصدده من الأخطار" (٣) .

ومن الأمثلة السابقة نجد أن مقدمات الرجلين فيها تشابه كبير حتى فى الألفاظ "الترويح ، الجِدّ ، النفْس ، الترخص" . وانظر إلى قول ابن قتيبة السابق :"هذا إذا كانت الغريزة مواتية ، والطبيعة قابلة ، والحِسُّ منقاد" ، وكذلك قول ابن الجوزى :"إن ذكر المغفلين يحث المتيقظ على اتقاء

---

(١) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٠-٢٧ .
(٢) ص ١٠-١١ .
(٣) ص ١ .

أسباب الغفلة ، إذا كان داخلاً تحت الكسب ، وعامله فيه الرياضة " .

ألا تلاحظ أن المعنى يكاد يكون واحدا ؟!

ثم إن التشابه بين الشيخين ، يتعدى الألفاظ ، حيث يلاحظ من الأمثلة السابقة اهتمامهما بالجانب التهذيبى والتعليمى فيما يكتبانه للناس .

ومن كل ماسبق يظهر لنا تأثر ابن الجوزى الواضح بشخصية ابن قتيبة ، ومصنفاته .

وممن تأثر به ابن الجوزى ، أبو نعيم أحمد بن عبيد الله الأصبهانى (المتوفى ٤٣٠هـ)(١) صاحب كتاب "حلية الأولياء" الذى عُنى فيه بأخبار الزهاد والصوفية ، حيث صنف ابن الجوزى مختصرًا للحلية ، إلا أنه تحرج من استخدام كلمة التصوف(٢) ، فسمى كتابه "صفة الصفوة"(٣) .

وتأثر ابن الجوزى بآراء ومؤلفات أبى الوفا على بن عقيل البغدادى (٤٣٠ – ٥١٣هـ)(٤) تأثرًا كبيرًا(٥) ، ونقل عنه كثيرًا ، وبخاصة فى كتابه "تلبيس إبليس" فى نقد مسالك الصوفية واتجاهاتهم ، وقد عقّب عليه مرة بقوله :"هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فقد كان ناقدًا مجيدًا متلمحًا

---

(١) انظر فى ترجمته : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٠/٥ ، الزركلى : الأعلام ١٥٧/١ .
(٢) ابن الجوزى : المشيخة (مقدمة المحقق) ص ٢٣-٢٤ .
(٣) انظر : نقد ابن الجوزى المنهجى لكتاب "حلية الأولياء" فى مقدمة صفة الصفوة ٢٠/١-٣١ .
(٤) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٥٢٦-٥٢٧ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١٤٢/١-١٦٥ .
(٥) ابن الجوزى : المشيخة (مقدمة المحقق) ص ٢٣ ، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٥/١ ، وانظر أيضا المبحث السادس من هذا الفصل .

فقيها " . (١)

وصرح ابن رجب بأن ابن الجوزى أفاد من ابن عقيل فى مجال الوعظ ، حيث قال :"ومن معانى كلامه يستمد أبو الفرج ابن الجوزى فى الوعظ" . (٢)

وتأثر ابن الجوزى أيضًا بأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) (٣) حيث صنف كتابه "أطباق الذهب" ونحا فيه نحو الزمخشرى فى كتابه "أطواق الذهب" . (٤)

ويحتمل أيضًا أن يكون ابن الجوزى قد أفاد من مقامات الزمخشرى الوعظية ، فى إنشاء مقاماته . (٥)

ويصعب تتبع كل من تأثر بهم ابن الجوزى ، لأنه كان إذا أعجبه مصنف صنف مثله (٦) ، لذلك اكتفيت هنا بذكر من وضح تأثيره على ابن الجوزى ومصنفاته .

---

(١) تلبيس إبليس ص ٤٥٢ ، وانظر ابن الجوزى : المشيخة (مقدمة المحقق) ص ٢٣ .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١٥٣/١ .
(٣) انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٦٨/٥-١٧٣ ، الزركلى : الأعلام ١٧٨/٧ .
(٤) محمد باقر علوان : المستدرك على مؤلفات ابن الجوزى . مجلة المورد – المجلد الأول – العدد الأول والثانى ص ١٨٣ ، د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١ .
(٥) د. شوقى ضيف : المقامة ص ٧٧ ، عصر الدول والإمارات ص ٤٣٨ ، وانظر الحديث عن مقامات ابن الجوزى فى الباب الثالث .
(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٥/١ .

المبحث الرابع

مذهبه

كان ابن الجوزى حنبلى المذهب . وقد بين سبب اختياره له دون سواه من المذاهب فى الكتاب الذى وضعه فى "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" (١) رحمه الله ، وفيه وضح اقتناعه التام بهذا المذهب .

وكان شديد التمسك بمذهبه (٢) ، معتزًا به ، كما جاء فى قوله : "مذهبنا مذهب أحمد ،ومن كان يطاوله ؟" (٣) .

إلا أن هذا التمسك ، وهذا الاعتزاز لايصل عنده إلى حد التعصب الذى لايليق بالعلماء (٤) : كما عبر عن ذلك بقوله : "رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم يعملون عمل العوام ، فإذا صلى الحنبلى فى مسجد شافعى ، ولم يجهر غضبت الشافعية، وإذا صلى شافعى فى مسجد حنبلى ، غضبت الحنابلة ، وهذه مسألة اجتهادية ، والعصبية فيها مجرد الهوى ، يمنع منه العلم" (٥) .

واتباع ابن الجوزى للمذهب الحنبلى ، لم يفقده استقلال شخصيته العلمية (٦) ، فهو يخالف صاحبه الإمام ، إذا وجد دليلاً يستدعى ذلك ، كما فى قوله :"أرى أن التداوى مندوب إليه ،

---

(١) ص ٤٩٦-٤٩٧ .
(٢) ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٤٣
(٣) رؤوس القوارير ص ١٤ .
(٤) ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٤٣
(٥) كتاب "السر المصون" لابن الجوزى ، نقلا عن : ابن مفلح : الفروع ٢/١٦-١٧ .
(٦) ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٤٤

وقد ذهب صاحب مذهبي إلى أن ترك التداوي أفضل ، ومنعني الدليل من اتباعه في هذا . فإن الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له دواءً فتداووا" (١) .

وقد كان لشخصية ابن الجوزي أثر كبير في إظهار المذهب الحنبلي على المذاهب الأخرى ، وتمتعه بحظوة كبيرة في بغداد حيث استطاع إمالة الخليفة المستضيء بالله (٥٣٦ - ٥٧٥هـ) إلى أهل مذهبه . يقول ابن الجوزي عن ذلك :"فتأثر أهل المذهب من ذلك ، وجعل الناس يقولون لي : هذا بسببك فإنه ما ارتفع هذا المذهب عند السلطان ، حتى مال إلى الحنابلة إلا بسماع كلامك ، فشكرت الله تعالى على ذلك" (٢) .

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوي) ص ٩٩ ، والحديث في الصحيحين مع اختلاف في بعض الألفاظ . انظر فتح الباري ١٣٤/١٠ ، كتاب الطب ، مسلم ١٧٢٩/٤ كتاب السلام .

(٢) المنتظم ٢٨٣/١٠-٢٨٤ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٩/١ .

المبحث الخامس

وظـــائفـــه

عمل ابن الجوزى فى العديد من المجالات : فكان له نشاط كبير فى مجال التدريس ، بدأه صغيرًا حينما عمل مُعيدًا عند شيخه أبى حكيم النهروانى بمدرسته بباب الأزج (١). وكان هذا الشيخ يُدرِّس بمدرسة أخرى ، فلما مات فى سنة (٥٥٦هـ) خلفه ابن الجوزى على المدرستين (٢). وعمل أيضًا فى مدارس أخرى ، حتى بلغت خمسًا (٣) ، منها المدرسة التى بناها بدرب دينار ، وأسس فيها مكتبة كبيرة ، أوقف عليها كتبه (٤).

ونظرًا لتفوق ابن الجوزى فى الوعظ ، فقد أُذن له عام (٥٥٥هـ) بالجلوس للوعظ فى جامع قصر الخلافة (٥). وأُذن له فى عام (٥٦٨هـ) أن يعظ فى باب بدر بحضرة الخليفة المستضئ بالله (٦) ، وأسندت "الحسبة" إليه عام (٥٧١هـ) (٧). يدلنا على ذلك قوله للناس :"إن أمير المؤمنين قد بلغه كثرة الرفض ، وقد خرج توقيعه بتقوية يدى فى إزالة البدع ، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبرونى حتى أنقض داره ، وأخلده

(١) انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المشيخة ص ١٨٤-١٨٦ ، المنتظم ١٠/٢٠١-٢٠٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ١٠/٢٠١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٤ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٩ ، وانظر تولية ابن الجوزى على مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى فى قصة محنته .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ١٠/٢٥٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤١٣ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ١٠/١٩٤ .
(٦) المصدر السابق ١٠/٢٥٢ .
(٧) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. محمد لطفى الصباغ) ص ١٧ .

الحبس ، فإن كان من الوعاظ حذرته إلى المثال ، فانكفّ الناس" .(١)

ولعل هذا يفسر لنا ماكان يقوم به ابن الجوزى فى مجالسه الوعظية ، من محاربة الفساد ، والقضاء على البدع عمليًا ، مثل جزه لنواصى الفتيان المنحرفين ، وقطع سوالفهم الطويلة بيديه .(٣)

وكان لابن الجوزى وجهة نظر سديدة ، تكمن فى وجوب اشتغال العالم ، وسعيه للكسب ، بما يوفر له مايحتاجه من متطلبات الحياة ، بصورة تحفظ له ماء وجهه . ومما قاله فى ذلك :"فالأولى للعالم أن يجتهد فى طلب الغنى ، ويبالغ فى الكسب ، وإن ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب العلم ، فإنه يصون بعَرَضِهِ عِرْضه " .(٤)

وأعطى ابن الجوزى لهذا الموضوع مايستحقه من الدراسة فى كتابه "صيد الخاطر" مؤكدًا أن العالِمَ بغناه عمن سواه ، يحفظ نفسه وعلمه من الذُلّ والمهانة .(٥)

لهذا مارس ابن الجوزى أعمالاً ـ خاصة ـ بجانب الوعظ والتدريس والتصنيف إذ يبدو أنه كان يعمل بالتجارة ،(٦) يدلنا على ذلك قوله :"ولقد حضر عندى رجل شيخ ابن ثمانين سنة ،

---

(١) المنتظم ٢٥٩/١٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٧/١ .
(٢) محمد بن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٠٨ .
(٣) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د.الصباغ) ص ٣٧١ ، لفتة الكبد ص ٣٧ .
(٤) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٩٢ .
(٥) المصدر السابق ص ١٥٨،١٩٢-١٩٣ .
(٦) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. الصباغ) ص ١٥ .

فاشتريت منه دكانًا ، وعقدتُ معه العقد ..." (١) .

وقد عرفنا – من قبل – أنه ينتمي إلى أسرة كانت تعمل (٢) بالتجارة ، فيحتمل أن يكون قد انتقل إليه منها حُبُّ التجارة ، بجانب ما أنعم الله عليه من حُبِّ العلم .

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٠٩ .
(٢) انظر الفصل الأول .

المبحث السادس

مكانة ابن الجوزى العلمية ورأى العلماء فيه

كان من ثمرة اشتغال ابن الجوزى بالعلم ، ومشاركته فى معظم فنونه ، أن عُدَّ من الشخصيات الموسوعية (١) .

وقد حظى ابن الجوزى بشهرة واسعة ، واحتل مكاناً مرموقاً فى مجتمعه ، وأسهب العلماء والمؤرخون فى الثناء عليه :

وصفه ابن البزورى بأنه كان أوحد زمانه ، وأن الزمان لن يسمح بمثله (٢) .

وقال عنه ابن خلكان :"كان علاّمة عصره وإمام وقته فى الحديث ، وصناعة الوعظ" (٣) .

وقال ناصح الدين الحنبلى :"اجتمع فيه من العلوم مالم يجتمع فى غيره" (٤) .

وقال عنه الذهبى :"كان مبرزًا فى التفسير ، وفى الوعظ وفى التاريخ ، ومتوسطًا فى المذهب ، وفى الحديث له اطلاع تام على متونه" (٥) .

وتحدث الموفق عبد اللطيف عنه ، فقال :"كان فى التفسير من الأعيان ، وفى الحديث من الحفاظ ، وفى التاريخ

---

(١) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ١٤ .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٣/١ .
(٣) وفيات الأعيان ١٤٠/٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٨٩/٣ .
(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١١/١ .
(٥) السيوطى : طبقات المفسرين ص ٦١ .

من المتوسعين ، ولديه فقه كاف . وأما السجع الوعظى ، فله فيه ملكة قوية "(١) .

فعن جهوده فى التفسير ، يقول ابن الجوزى :"وفى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى(٢) انتهى تفسيرى للقرآن فى المجلس على المنبر ، فإنى كنت أذكر فى كل مجلس منه آيات ، من أول الختمة على الترتيب إلى أن تم فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ماعرفت أن واعظًا فسر القرآن كله فى مجلس الوعظ ، منذ نزل القرآن ، فالحمد لله "(٣) .

ووصف قوة حفظه للحديث ، فقال :"ولايكاد يذكر لى حديث إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ، أو حسن ، أو محال"(٤) .

وتحدث ابن كثير عن اهتمام ابن الجوزى بالتاريخ ، فقال بعد أن أقر بأن كتاب "المنتظم" لابن الجوزى كان مصدره فى كثير من الحوادث والتراجم :"ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخا"(٥) .

أما الوعظ(٦) ، فقد كان لابن الجوزى فيه اليد الطولى ، فبزّ الأقران ، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن مجالسه الوعظية ، كانت تكتظ بأعداد هائلة من الناس وفى مقدمتهم الخليفة ، والوزراء ، والعلماء ، والفقهاء ، والأعيان(٧) .

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .
(٢) سنة (٥٧٠هـ) .
(٣) المنتظم ٢٥١/١٠ .
(٤) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د.الصباغ) ص ٣٧٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٠/١ .
(٥) البداية والنهاية ٢٨/١٣ .
(٦) انظر تفوق ابن الجوزى فى الوعظ فى الباب الثالث .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم ٢٥٩،١٠٤،٣١/١٠ ، محمد بن جبير: رحلة ابن جبير ص ٢٠٨ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٩/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٨٩/٣ ، السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٤٧٨ .

ثم إن هذه المكانة العلمية الرفيعة ، التى نالها ابن الجوزى ، جعلت الخلفاء يدنونه منهم (١) .

بيد أنه كان محبا للعزلة (٢) ، كما كان يكره مخالطة العلماء للحكام والسلاطين (٣) .

لكنَّ ذلك ، لم يمنعه من الاتصال بالخليفة المستضىء بالله (٤) ، الذى أظهر العدل ، ورفع الضرائب ، ورد المظالم ، وقويت فى عهده شوكة الحنابلة (٥) ، فقوى اتصاله به ، وصنف له كتاباً سماه :"المصباح المضىء فى خلافة المستضىء" ، ولما خُطب له بمصر عام (٥٦٧هـ) وانقطع أثر العبيديين (الفاطميين) ، صنف له ابن الجوزى كتاباً آخر سماه "النصر على مصر" (٦) .

مآخذ العلماء على ابن الجوزى :

يقول يزيد بن محمد المهلبّى :

ومَنْ ذَا الَّذِى تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا
كفَى المَرْءُ نُبْلاً أنْ تُعدَّ مَعَايِبُهُ (٧)

وابن الجوزى مثل غيره من الناس ، كانت له أخطاء وزلات ولكنَّ العلماء اهتموا ببيانها لكونه عالماً يأخذ الناس عنه

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٩٢-٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٢ ، مشيخة ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص ٨ .
(٣) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) الفصول ٢٠٦،٢٦٩،٢٩٣ .
(٤) انظر حديث ابن الجوزى عن خلافته : المنتظم ١٠/٢٣٢-٢٣٥
(٥) ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ١٦
(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٤ .
(٧) البغدادى : خزانة الأدب ٧/٥٧٣ .

فذكروا من زلاته مايلى :

(١) ميله إلى التأويل فى بعض كلامه .

وقد بين ابن رجب أن العلماء اشتد انكارهم عليه لأنه كان مضطربًا فى قضية التأويل (١) ، رغم سعة اطلاعه على الأحاديث إذ لم يكن خبيرًا بحل شبهة المتكلمين ، وبيان فسادها .

وبين ابن رجب أن ابن الجوزى كان معظمًا لأبى الوفا بن عقيل ، متأثرًا به ، وكان ابن عقيل بارعًا فى علم الكلام ، ولكنه كان قليل الخبرة فى الحديث والآثار ، لهذا اضطرب فى هذا الباب ، وتلونت فيه آراؤه ، وتبعه ابن الجوزى فى ذلك. (٢)

(٢) كثرة أغلاطه فى تصانيفه .

ويرجع السبب فى ذلك ، إلى اكثاره من التصنيف ، حتى إنه كان يصنف الكتاب ولايراجعه ، ليشتغل بغيره ، وربما كتب عدة تصانيف فى وقت واحد . وكان ينقل من التصانيف ، من غير أن يكون متقنًا لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث (٣) ، لهذا نُقل عنه أنه قال :"أنا مرتب ، ولست بمصنف" (٤) .

وبين الشيخ موفق الدين المقدسى (٥٤١ ـ ٦١٥هـ) (٥) ، بأنه لم يرض تصانيف ابن الجوزى فى السُّنة ، ولاطريقته فيها (٦) .

---

(١) انظر بتوسع موقفه من هذه القضية : أحمد الزهرانى : ابن الجوزى بين التأويل والتفويض ص ٤٧-٩٩ .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١ ، ابن الجوزى : نواسخ القرآن (مقدمة المحقق) ص ٤٢-٤٣ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) انظر فى ترجمته : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢-١٤٩ ، الزركلى : الأعلام ٦٧/٤ . وقد أشار ابن رجب إلى أنه روى عن ابن الجوزى ، الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٥/١ .
(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٥/١ .

وقد بالغ ياقوت الحموى كثيرًا ، حينما قال :"وأنا لا أعتمد على ماتفرد به ابن الجوزى ، لأنه عندى كثير التخليط" (١) .

إذ يبدو لى أثر الأهواء فى وصفه هذا ، بخاصة وقد عرفنا من قبل أن ابن كثير وصف ابن الجوزى بالتاريخ لبروزه فيه .

(٣) اعجاب ابن الجوزى بنفسه .

ودليلهم فى ذلك مايوجد فى كلامه من الثناء ، والتعاظم وكثرة الدعاوى (٢) .

وذكر ابن كثير أيضا ، أن ابن الجوزى كان فيه إباء ، وترفع ، وإعجاب ، وسمو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر فى نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله :

لو كانَ هذا العِلْمُ شخصًا ناطِقًا
وسألتُهُ هلْ زارَ مِثلِيَ ؟ قال : لا (٣)

ومن أقواله فى وصف نفسه وعلمه ، قوله :"خلقتُ ولى همة عالية تطلب الغايات" (٤) . وقوله أيضا :"مانلته من معرفة العلم لايقاوم" (٥) .

ولكننا فى المقابل نجد له أقوالاً تشير إلى تواضعه ، وأنه إنما يتحدث عن نفسه ، من منطلق شكره لله تعالى ، والتحدث بنعمه - عز وجل - عليه ، فهو يقول :

"فإن أكثر الإنعام على ، لم يكن بكسبى ، وإنما هو من

---

(١) معجم الأدباء ٢٠٤/٦ .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١ .
(٣) البداية والنهاية ٢٩/١٣ .
(٤) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٢٦ .
(٥) المصدر السابق ص ٢١٢ .

تدبير اللطيف بي" (١).

ويقول أيضا :"وإنما أحدث بهذه النعم شكرًا لا عُجْبًا ، لأنه إنما يعجب من يرى عمله . وأنا إنما أرى فضل المنعم وقلة شكري" (٢).

وعلى ذلك ، فلم يكن ابن الجوزي دائم الإعجاب بنفسه ، كما يمكن أن يكون لهذا الإعجاب أسباب أدت إليه (٣).

(٤) واتهمه ابن الأثير بالتدليس (٤)، بسبب اتهام ابن الجوزي لأبي سعيد السمعاني (المتوفى ٥٦٣هـ) بالكذب في كتابه "المنتظم" (٥).

وكان ابن الأثير متحاملاً عليه حين قال :"كان كثير الوقيعة في الناس ، لاسيما العلماء المخالفين لمذهبه ، والموافقين له" (٦).

يدلنا على ذلك قوله التالي الذي ناقض به كلامه السابق "فابن الجوزي لم يبق على أحد إلا مكسري الحنابلة" (٧).

فمرة هو ضد مخالفيه وموافقيه معا ، ومرة أخرى ضد مخالفيه فقط !!

---

(١) لفتة الكبد ص ٣٣ .
(٢) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٧٣ .
(٣) انظر الخصائص الفنية العامة لشعر ابن الجوزي في الباب الثاني .
(٤) اللباب في تهذيب الأنساب ١٢/١ ، وانظر رد المحقق د. مصطفى عبد الواحد على ابن الأثير في الحاشية . والتدليس في الإسناد : هو أن يحدث الراوي عن الشيخ الأكبر ولعله مارآه وإنما سمعه ممن هو دونه ، أو ممن سمعه منه ونحو ذلك ، وفعله جماعة من الثقات . (الفيروز آبادي : القاموس المحيط ٢٢٤/٢) .
(٥) ٢٢٤/١٠ .
(٦) الكامل ١٧١/١٢ ، ابن الجوزي : المشيخة (مقدمة المحقق) ص ٢٧-٢٨ .
(٧) الكامل ٣٣٣/١١ .

(٥) مواقفه المتعارضة.(١)

وقع ابن الجوزى فى العديد من المواقف المزدوجة ، فأدى به ذلك إلى مناقضة نفسه . فهو ينتقد المتصوفة ، والمتساهلين فى الحديث ، كما فى "تلبيس إبليس"(٢) ومقدمة "صفة الصفوة"(٣) و"كتاب الموضوعات"(٤) ثم يتساهل فى إيراد الأحاديث الضعيفة ، فى مؤلفات أخرى ، مثل "المدهش" و"ذم الهوى" .

ونجده فى بعض كتبه يورد أخبارًا وقصصًا باطلة ، عن الصوفية وغيرهم ، كما جاء فى "كتاب القصاص والمذكرين"(٥) و"صيد الخاطر"(٦) وغيرهما(٧) .

---

(١) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. الصباغ) ص ٤١-٤٢ .
(٢) ص ١٤٠-١٤٤،١٨٥-٤٤٦ .
(٣) ١/٢٠-٣٠ .
(٤) ١/٣٥-٥٤ .
(٥) (تحقيق د. الصباغ) ص ٢٤٠-٢٤٣ .
(٦) (طبعة الطنطاوى) ص ١٢٣،١٧٣،١٨١،٢٦١ .
(٧) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. الصباغ) ص ٤٢-٤٣ .

المبحث السابع

ثقافته الأدبية

كان ابن الجوزى محبًا للأدب[1] واسع الاطلاع فيه[2] ، وقد حباه الله - عز وجل - بحافظة قوية مكنته من حفظ الكثير من الشعر[3] .

قال عنه الشيخ على الطنطاوى فى مقدمته لكتاب "صيد الخاطر" :"وهو كثير المحفوظ من الشعر ، كثير الاستشهاد به يسوق خلال فصوله شوارد الشواهد ، ويقيّد نوافر الأوابد"[4] .

وهناك حادثة رواها ابن خلكان ، تشير بوضوح إلى أن حافظة ابن الجوزى ، لم تستوعب شعر السابقين فحسب ، بل ومعاصريه أيضا ، حيث قال :"وحُكى عن ابن المعلم[5] المذكور أنه قال : كنت ببغداد ، فاجتزت يومًا بالموضع الذى يجلس فيه أبو الفرج بن الجوزى للوعظ ، فرأيت الخلق مزدحمين ، فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال : هذا ابن الجوزى الواعظ جالس ، ولم أكن علمت بجلوسه ، فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه ، وهو يعظ حتى قال مستشهدًا على بعض إشاراته : ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول :

يَزْدَادُ فِى مَسْمَعِى تِكْرَارُ ذِكْرِكُمْ
طِيبًا ، وَيَحْسُنُ فِى عَيْنِى تَكَرُّرُهُ

---

(١) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٢ .
(٢) د. حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٤٩،٥ .
(٣) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .
(٤) ص ٤١ .
(٥) سبق الحديث عنه فى التمهيد .

فعجبت من اتفاق حضورى واستشهاده بهذا البيت من شعرى ولم يعلم بحضورى ، لاهو ولاغيره من الحاضرين" (١) .

والحق أن كثيرا من مصنفات ابن الجوزى ، وبخاصة الوعظية - التى أكثر فيها من الاستشهاد بالشواهد الشعرية والنثرية - خير شاهد على اطلاعه الواسع فى هذا المجال (٢) .

---

(١) وفيات الأعيان ٨/٥ .
(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .

المبحث الثامن

مصنفاته

يعد ابن الجوزى أحد العلماء المكثرين من التصنيف فى كثير من العلوم والمعارف ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون فى عدد تصانيفه ، وبالغ بعضهم كثيرًا فى عددها .

قال ابن خلكان :"وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئًا كثيرًا ، والناس يغالون فى ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التى كتبها ، وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة ، فكان ماخصّ كل يوم تسع كراريس ، وهذا شىء عظيم لايكاد يقبله العقل .

ويقال :"إنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شىء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يُغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكفت وفضل منها" (١) .

وقال شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) (٢) :"وله مصنفات فى أمور كثيرة ، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك مالم أره" (٣) .

وقال الذهبى :"ماعلمت أحدًا من العلماء ، صنف ماصنف هذا الرجل" (٤) .

---

(١) وفيات الأعيان ١٤١/٣ .
(٢) انظر فى ترجمته : ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٥/١٤-١٤١ ، الزركلى : الأعلام ١٤٤/١ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٥/١ .
(٤) تذكرة الحفاظ ١٣٤٤/٤ .

وقال ابن كثير :"جمع المصنفات الكبار والصغار ، نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة "(١) .

وذكر ابن العماد الحنبلى - بالأرقام - أنه كان يكتب فى اليوم أربع كراريس ، فيرتفع له كل سنة من كتابته مابين خمسين إلى ستين مجلدا(٢) .

فإذا ما انتقلنا إلى ابن الجوزى ، وتتبعناماقاله عن عدد مصنفاته ، نجد تفاوتاً كبيراً ، فى الأعداد التى ذكرها !! ففى كتابه :"الفتة الكبد" ذكر أنه صنف مائة كتاب(٣) ، وبين فى كتاب آخر : أن مصنفاته بلغت مائة وخمسين مصنفاً فى كل فن(٤) ، وذكر فى كتابه "دفع شبهة التشبيه" أن كتبه بلغت مائتين وخمسين مصنفا(٥) .

ومع ذلك ، فإن هذا التفاوت الواضح فى أقوال ابن الجوزى يمكن التوفيق بينه ، حيث يظهر أن هناك فاصلاً زمنياً كبيرا يفصل بين أقواله الثلاثة ، مما نجم عنه تلك الفروق الكبيرة فى عدد المصنفات . والقول الأول مذكور فى كتابه "الفتة الكبد" الذى صنف قبل سنة (٥٨٠هـ) على الأرجح(٦) ، وابن الجوزى توفى سنة (٥٩٧هـ) ، وطوال عمره المديد كان يتشاغل بالعلم والتصنيف .

وقد ذكر ابن الجوزى أنه بدأ فى التصنيف وهو لايزال طفلاً ، حيث قال :"كتبت الحديث ولى إحدى عشرة سنة "(٧) .

---

(١) البداية والنهاية ٢٨/١٣ .
(٢) شذرات الذهب ٣٣٠/٤ .
(٣) ص ٦٤ .
(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٩/١ .
(٥) ص ٥ .
(٦) انظر ماقيل فى المبحث الخاص بأولاد ابن الجوزى فى الفصل الأول .
(٧) المنتظم ١٨٢/٧ .

وجاء أيضا فى "الذيل على طبقات الحنابلة" قوله :
"أول ماصنفت وألفت – ولى من العمر ثلاث عشرة سنة – ..." (١) .

وكان من أخلاق ابن الجوزى ، أنه لايضيع من زمانه شيئًا دون أن يستفيد منه ، حتى وصل به الأمر إلى التأفف من استقبال الزوار – البطالين – الذين لاشغل لهم إلا الزيارات، فجعل من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد (الورق) وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر (٢) .

ولكن ومع كل ذلك ، فإن المبالغة قد أحاطت بعدد مصنفات ابن الجوزى ، وهذا سبطه ينقل عنه فى آخر عمره قوله: "كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلدة" (٣) .

وظهرت حديثًا دراسات متخصصة عن مصنفات ابن الجوزى ، أهمها كتاب "مؤلفات ابن الجوزى" (٤) للباحث العراقى عبد الحميد العلوجى ، أحصى فيه مصنفات ابن الجوزى ، سواءً المطبوع منها أو المخطوط ، أو الذى يعتقد أنه مفقود ، معتمدًا فى ذلك على مصادر عربية وأجنبية .

وقد بلغت مصنفات ابن الجوزى ، التى ذكرها الأستاذ العلوجى (٣٨٤) كتابا (٥) ، وهى على النحو التالى :

(١) (٢٧) كتابًا فى القرآن وعلومه .

(٢) (٤٢) كتابًا فى الحديث ورجاله وعلومه .

(٣) (٥٤) كتابًا فى المذاهب ، والأصول ، والفقه ، والعقائد

---

(١) ٤١٦/١ .
(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٠٦-٢٠٧، عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٤١-٤٢، خلدون الأحدب : سوانح وتأملات فى قيمة الزمن ص ٣٢-٣٣ .
(٣) مرآة الزمان ٤٨٢/٨ .
(٤) نشر فى بغداد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(٥) ص ٢٢٢-٢٣٩ .

(٤) (١٤٣) كتاباً فى الوعظ ، والأخلاق ، والرياضات .

(٥) (١٠) كتب فى الطب .(١)

(٦) (١٦) كتاباً فى الشعر واللغة .

(٧) (٩٢) كتاباً فى التاريخ والجغرافية ، والسير ، والحكايات . (وتشمل كتب التراجم العامة والخاصة) .

وقد استدرك عليه الأستاذ محمد باقر علوان (من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية) ببحث قيم أسماه "المستدرك على مؤلفات ابن الجوزى"(٢) ذكر فيه أحد عشر مصنفاً - معظمها فى الوعظ - لم يذكرها الأستاذ العلوجى لأنه عثر على مصادر وفهارس جديدة ، لم تتح للأستاذ العلوجى ، وقام أيضاً بتصحيح أسماء بعض الكتب التى طبعت ، أو التى لاتزال مخطوطة .

ونشرت الباحثة العراقية ناجية عبد الله إبراهيم فهرست كتب ابن الجوزى ، (٣) وفيه بعض الإضافات التى تنشر لأول مرة .

ثم عادت مرة أخرى ، ونشرت كتاباً جامعاً ، بعنوان "قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى"(٤) .

وبلغ ما أضافته من كتب جديدة - ومن بينها ماجاء فى

---

(١) انظر : فواز الفواز : عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزى والطب . مجلة الطالب التى يصدرها صندوق الطلاب السعوديين ببريطانيا - العدد الثانى - السنة الخامسة ص ٢٢ .

(٢) نشر فى مجلة المورد العراقية - المجلد الأول - العدد الأول والثانى ص ١٨١-١٩٠ .

(٣) نشرته فى مجلة المجمع العلمى العراقى - الجزء الثانى من المجلد الحادى والثلاثين .

(٤) نشر فى بغداد عام ١٩٨٧م .

المستدرك والفهرست ـ لم يذكرها الأستاذ العلوجي : ٥٦ كتاباً (١) في العقيدة والحديث والوعظ والأدب وغير ذلك .

وبذلك يصبح مجموع مصنفات ابن الجوزي (٤٤٠) كتابا تقريباً (٢) .

مصنفات ابن الجوزي في الأدب واللغة :

ذكر الأستاذ العلوجي ستة عشر كتاباً لابن الجوزي في الشعر واللغة ، غير أنه لم يُدخل فيها : صيد الخاطر ، ومقامات ابن الجوزي (٣) ، وكذلك أخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار النساء ، والأذكياء ، وذم الهوى ، والحمقى والمغفلين (٤) .

(١) د . ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ص ١٩-٣٠ .

(٢) ذكرت د . ناجية أن بعض الإضافات الجديدة ، سبق أن أشار إليها العلوجي بمسميات أخرى ، انظر المرجع السابق ص ٢٢،٢٤-٢٧،٢٩ .

(٣) جاء الكتابان في باب الوعظ والأخلاق والرياضات ص ٢٣٠،٢٣٢ .

(٤) جاءت هذه الكتب في باب التراجم العامة ص ٢٣٥-٢٣٦ . وقد طبع كتاب "أخبار النساء" منسوباً لابن قيم الجوزية وهذا غير صحيح ، إذ الكتاب لابن الجوزي كما بينت ذلك بعض المصادر التي تحدثت عن مصنفاته :
الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٣٤٣/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢١ ، ابن الداودي : طبقات المفسرين ص ٢٧٢ .
ثم إن الكتاب يعبر عن أسلوب ابن الجوزي ، الذي نجده في أخباراته العديدة . وقد ذكر عدد من الباحثين المعاصرين ـ بالإضافة إلى العلوجي ـ أن الكتاب نُسب خطأً إلى ابن قيم الجوزية :
الزركلي : الأعلام ٣١٧/٣ (الحاشية) .
د . محمد سعد الشويعر : الحصري وكتابه زهر الآداب ص ١٨٤
د . محمد حسن عبد الله : الحب في التراث العربي ص ٥٠،٧٤ .
ابن الجوزي : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوي) ص ٢٦-٢٧ ، وانظر أخبار النساء (مقدمة المحقق) ص ٨ . =

أمـا مـاذكره فـى بـاب الـشعـر والـلـغـة ، فيشتمل على الكتب التـالـيـة :(١)

(١) أحكـام الأشعـار بـأحكـام الإشعـار(٢)

(٢) الإقبـال(٣)

(٣) تـذكـرة الأريـب فـى الـلـغـة(٤)

(٤) تـقـويـم الـلـسـان(٥)

(٥) تـقـويـم الـلـغـة(٦)

(٦) غـلـطـات الـعـوام(٧)

(٧) مـا قـلـتـه مـن الأشعـار(٨)

= ولـعـل الـسـبـب فـى نـسـبـة الـكـتـاب إلـى ابـن قـيـم الـجـوزيـة ، هـو تـشـابـه الأسـمـاء . كـذلـك يـبـدو أن الـكـتـاب اخـتـصـر فـلانـجـد فـيـه تـلـك الـمـقـدمـة الـتـى عـوّدنـا عـلـيـهـا ابـن الـجـوزى فـى مـؤلـفـاتـه يـذكـر فـيـهـا غـرضـه مـن الـكـتـاب ثـم يـسـتـشـهـد عـلـى أقـوالـه بـدلـيـل مـن الـقـرآن والـسُّـنـة وأقـوال الـسـلـف ، كـمـا لانـجـد الـثـبـت الـذى يـضـعـه ابـن الـجـوزى عـادة لـمـوضـوعـات كـتـبـه فـى الـمـقـدمـة . فـلـعـل لابـن قـيـم الـجـوزيـة مـسـاهـمـة فـى اخـتـصـاره ، لـذا نُـسـب إلـيـه ! وقـد حـقـق هـذا الـكـتـاب د. نـزار رضـا ، الـذى كـان يـبـث فـى شـرحـه لـلـكـتـاب وتـرجـمـتـه لأعـلامـه ، سـمـومـًا قـاتـلـة وآراءً مـنـحـرفـة ، فـقـد تـجـرأ عـلـى رسـل الـلـه عـلـيـهـم الـسـلام ، وعـلـى صـحـابـة رسـول الـلـه صـلـى الـلـه عـلـيـه وسـلـم . انـظـر ص ١٠، ٤٢، ٧٠، ٨٢، ١٠٢، ١٢٢، ١٥٠ .

(١) الـعـلـوجـى : مـؤلـفـات ابـن الـجـوزى ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) وضـعـه الـعـلـوجـى ضـمـن آثـاره الـضـائـعـة أو الـتـى فـى حـكـمـهـا ص ٢١٢ .

(٣) وضـعـه ضـمـن آثـاره الـضـائـعـة أو الـتـى فـى حـكـمـهـا ص ٢١٢ .

(٤) لـم يـوضـح الـعـلـوجـى مـا إذا كـان مـخـطـوطـًا أو مـفـقـودًا ص ٥٠، ٦٢، ٢٣٤ .

(٥) نـشـر الـكـتـاب بـتـحـقـيـق د. عـبـد الـعـزيـز مـطـر ١٩٦٦م .

(٦) ذكـر الـعـلـوجـى أنـه مـخـطـوط وتـوجـد عـدة نـسـخ مـنـه فـى : الـمـكـتـبـة الـبـودلـيـة ٢: ٣٨٣ رقـم ٢ . وفـى بـرلـيـن بـرقـم ٦٥٢٨. وفـى الاسـكـوريـال (فـهـرس دانـبـور ولـيـفـى بـروفـنـصـال) ٥٤٢ ، وفـى خـزانـة لالـه لـى بـاسـتـانـبـول بـرقـم ٣٥٧٣ . انـظـر ص ٨٥ .

(٧) ذكـر الـعـلـوجـى عـن وجـود نـسـخـة مـخـطـوطـة بـهـذا الاسـم فـى : مـكـتـبـة يـحـيـى أفـنـدى بـاسـتـانـبـول ٤٣٩ رقـم ٢٧ . انـظـر ص ٨٥-٨٦ .

(٨) وضـعـه الـعـلـوجـى ضـمـن آثـاره الـضـائـعـة أو الـتـى فـى حـكـمـهـا ص ٢١٧ .

(٨) المألوف دون الغريب (١)

(٩) مايلحن فيه العامة (٢)

(١٠) المختار من الأشعار (٣)

(١١) مختصر تقويم اللسان (٤)

(١٢) مشكل الصحاح (٥)

(١٣) المقعد المقيم (٦)

(١٤) ملح الأعاريب (٧)

(١٥) نزهة الأريب (٨)

(١٦) نزهة أهل الأدب (٩)

---

(١) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها ص ٢١٨ .

(٢) ذكر العلوجي أنه مخطوط وتوجد نسخة منه في مكتبة جامعة برنستن بالولايات المتحدة برقم ٢٧٤٥ . انظر ص ١٥٦ . وتوجد صورة من هذا المخطوط في مركز إحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم ٣١٤/١ مجاميع . انظر فهرس اللغة العربية بمركز إحياء التراث الاسلامي ٤١٣/١ .

(٣) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها . انظر ص ٢١٨ .

(٤) ذكر العلوجي أنه مخطوط وتوجد نسخة منه في مكتبة سبهسالار . انظر ص ١٦١ .

(٥) وهو حواش على صحاح الجوهري . انظر د.خليل بنيان الحسون : مع ابن الجوزي في كتابه "تقويم اللسان" ، ونشر في : دراسات عربية وإسلامية – العدد الثاني – السنة الثانية ، ص ١٤٣ . وقد وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها . انظر مؤلفات ابن الجوزي ص ٢١٩ .

(٦) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها ص ٢١٩ .

(٧) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها . انظر ص ٢١٩ .

(٨) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها ص ٢٢١ .

(٩) وضعه العلوجي ضمن آثاره الضائعة أو التي في حكمها انظر ص ٢٢١ .

وأضافت الدكتورة ناجية كتابين جديدن لابن الجوزى فى مجال الأدب وهما :

(١) شقيف الأدب (١)

(٢) شرح قصيدة طوق الحمامة لابن عبدون (٢)

وكان الأستاذ محمد باقر علوان قد ذكر كتاباً جديداً فى الأدب نسبه إلى ابن الجوزى بعنوان : "رى الظما فيمن قال شعرا من الإما" وأشار إلى وجود نسخته المخطوطة فى تونس (٣). ولكنّ الدكتورة ناجية عقّبت عليه ، حيث أوضحت أن هذا الكتاب ليس من كتب ابن الجوزى ، وإنما هو نسخة من كتاب "الإماء الشواعر" لأبى الفرج الأصفهانى (٢٨٤ – ٣٥٦هـ) (٤) وذكرتَ بأن هذه المخطوطة قد درسها الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير معهد المخطوطات فى الكويت ، ثم بين أنها ليست لابن الجوزى (٥).

وبعد . فإن مصنفات ابن الجوزى ، لو أتيح لها أن ترى النور ، لتكشفت لنا حقائق كثيرة ، تغيب عنا الآن ، لأن معظم هذه المصنفات التى تقارب (٤٤٠ كتابا) لايزال مخطوطاً أو مفقوداً ، ينتظر إقدام الباحثين المخلصين ، لنفض غبار

---

(١) فهرست كتب ابن الجوزى ص ٢٣ ، قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٢٢ ، دون الإشارة ما إذا كان مخطوطاً أو مفقوداً .

(٢) قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٢٤ . وهى القصيدة التى أنشأها الوزير عبد المجيد بن عبد الله ابن عبدون اليابرنى (المتوفى ٥٢٩هـ) يندب فيها بنى الأفطس فى الأندلس عند زوال دولتهم سنة (٤٨٥هـ) . وقد شرحت هذه القصيدة عدة مرات ، وترجمت إلى الفرنسية والإسبانية . انظر المرجع السابق ، الزركلى : الأعلام ١٤٩/٤ .

(٣) المستدرك على مؤلفات ابن الجوزى ص ١٨٣ .

(٤) انظر فى ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد ٣٩٨/١١-٤٠٠ ، الزركلى : الأعلام ٢٧٨/٤ .

(٥) قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٣٠ .

النسيان عنه ، وإخراجه للناس ، يحدوهم إلى ذلك تقديرهم ووفاؤهم لتراث هذا العالم العظيم .

ويبقى سؤال أخير : لماذا أكثر ابن الجوزى من التصنيف ؟

يلاحظ من حديث ابن الجوزى عن التصنيف ، أنه كان أثيرًا لديه ، حتى إنه ليُعدُّ مايصنفه ولدًا من أولاده كما جاء فى قوله : "فإن تصنيف العَالِم ولده المخلد"[(١)] .

وكانت له نظرة رائعة فى قيمة التصنيف ، سبق عمره فيها بقرون عديدة ، حيث قال :

"رأيت من الرأى القويم ، أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة ، لأنى أشافه فى عمرى عددًا من المتعلمين وأشافه بتصنيفى خَلقًا لايحصون ، ماخُلِقوا بعد"[(٢)] .

ومن يقرأ هذا الكلام ، يعتقد أن قائله مؤلف معاصر ، يعرف تمامًا كيف يستفيد من معطيات الحضارة الحديثة ، من وسائل الاعلام المختلفة ، وآلات الطباعة ، والتصوير ... الخ لنشر علمه . فكيف إذا علم بعد ذلك ، أنه من القرن السادس الهجرى ؟!!

رحم الله ابن الجوزى ، وأسكنه فسيح جناته .

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٧ .

المبحث التاسع

تلامذته

إن مثل ابن الجوزى ، فى غزارة علمه ، وإحاطته بمعظم ثقافات عصره ، حرىٌّ بأن يلتف حوله عدد كبير من طلبة العلم ليأخذوا عنه (١) .

وتلاميذ ابن الجوزى من الكثرة ، بحيث يصعب حصرهم ، حتى إنَّ ابن رجب يصف من أخذ عنه الحديث وغيره من العلوم بقوله : إنهم "خلق لايحصون كثرة من الأئمة ، والحفاظ ، والفقهاء ، وغيرهم" (٢) . لذا اكتفيت بالإشارة إلى بعضهم .

أبرز تلاميذ ابن الجوزى :

وقد سمع عن الشيخ ابن الجوزى جماعة من العلماء ومنهم: طلحة بن مظفر العلثى (المتوفى٥٩٣هـ) (٣) ، وهبة الله بن عبد الله السامرى ثم البغدادى (المتوفى ٥٩٨هـ) (٤) ، ومحمد بن عثمان بن العكبرى (المتوفى ٥٩٩هـ) (٥) ، وعبد الغنى بن عبد الواحد الجمياعيلى المقدسى الحافظ (المتوفى ٦٠٠هـ) (٦) ، وعبد المنعم بن على بن نصر الحرَّانى (المتوفى ٦٠١هـ) الفقيه

---

(١) ابن الجوزى : كتاب أحكام النساء (مقدمة المحقق) ص ٥٩
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٥/١ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٠/١-٣٩١ .
(٤) المصدر السابق ٤٣٣/١-٤٣٤ .
(٥) المصدر السابق ٤٣٥/١ .
(٦) المصدر السابق ٥/١ .

الواعظ ، وعبد الحليم بن محمد بن أبى القاسم بن الخضر بن[(١)] محمد بن تيمية (المتوفى ٦٠٣هـ) ، وعبد الرحمن بن عيسى[(٢)] البغدادى ، أبو الفرج البزورى (المتوفى ٦٠٤هـ) ، وأبو عبد[(٣)] الله فخر الدين محمد بن خضر بن تيمية (المتوفى ٦٢٢هـ) شيخ حرَّان وخطيبها ، ومحمد بن أحمد بن عمر القطيعى (المتوفى ٦٣٤هـ) صاحب "درة الإكليل فى تتمة التذييل" ، ومحمد بن سعيد بن يحيى ، أبو عبد الله الدبيثى (المتوفى ٦٣٧هـ) صاحب "الذيل على تاريخ السمعانى" ، وأبو الفرج نجيب الدين عبد اللطيف الحرَّانى (المتوفى ٦٧٢هـ) مسند الديار المصرية وهو خاتمة أصحابه بالسماع .

بالإضافة إلى ولده محيى الدين يوسف (المتوفى ٦٥٦هـ) وسبطه أبى المظفر شمس الدين قزوغلى (المتوفى ٦٥٤هـ)[(٤)] .

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٦-٣٧ .
(٢) المصدر السابق ٢/٣٩-٤٠ .
(٣) المصدر السابق ٢/٤١-٤٢ .
(٤) المصدر السابق ١/٤٢٥ ، ابن الجوزى : مناقب الإمام أحمد بن حنبل (المقدمة) ص ز ، ابن الدبيثى : المختصر المحتاج إليه ص ٢٠٧-٢٠٨ ، ابن الداودى : طبقات المفسرين ص ٢٧١ .

الفصل الثالث

شخصيته الأدبية

المبحث الأول : سيرته الذاتية

المبحث الثانى : أجوبته النادرة

المبحث الثالث : ذوقه الأدبى

المبحث الرابع : تأريخه للأدب

المبحث الخامس : نظراته النقدية

المبحث الأول

سيرته الذاتية

إن الحديث عن السيرة أو الترجمة الذاتية (١)، في أدبنا العربي قديمه وحديثه ، يكشف لنا جانبًا عامرًا بالحياة ، نابضًا بالقوة ، كما في سير العديد من رجالات هذه الأمة (٢).

وابن الجوزي أحد علمائنا الذين كتبوا عن أحوال أنفسهم (٣). وقد ذكر الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتابًا له بعنوان "سيرة ابن الجوزي" (٤)، ولكنه ليس بين أيدينا ، لذا يصعب القول : بأن ابن الجوزي كتب سيرته كاملة (٥).

---

(١) فرق الباحثون بين بعض المصطلحات في هذا الفن ، فهناك المذكرات التي تركز أساسًا على الشخصيات والأحداث ، أما اليوميات فتركز على القدرة اللحظية في متابعة المواقف ، وأما السيرة أو الترجمة الذاتية – ولافرق بينهما غالبًا – فهي عبارة عن سرد متماسك منطقي لحياة الكاتب ، مع التركيز على التأملات والانطباعات ذات الأبعاد المختلفة ، انظر : د. نبيل راغب : دليل الناقد الأدبي ص ١٢٢ ، د. يحيى إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ص ٣١ .
وعلى ذلك فيمكن أن نعد ماقاله ابن الجوزي عن نفسه ، من السيرة الذاتية ، إذا ماتجاوزنا عدم وجود سرد متماسك لحياته .

(٢) د. إحسان عباس : فن السيرة ص ١٢٠٠٣-١٥١ ، د. يحيى إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ص ٣٠-٤٢ .

(٣) انظر بروكلمان : ماصنف علماء العرب في أحوال أنفسهم دراسة باللغة العربية نشرت في المنتقى من دراسات المستشرقين ١/١٤ .

(٤) ذكر الأستاذ العلوجي عن وجود نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ، في رامفور ١:٦٥٥ (٣٥) . انظر مؤلفات ابن الجوزي ص ١٢٥ .

(٥) هنالك احتمال أن يكون كتاب "سيرة ابن الجوزي" في غير مجال السيرة الذاتية ، إذ إن الأستاذ العلوجي ذكر كتابًا آخر بعنوان : "عيون الحكايات في سيرة سيد البريات" ، وختم الحديث عنه بقوله :"وذكره بروكلمن في الذيل بعنوان "سيرة ابن الجوزي" .
مؤلفات ابن الجوزي ص ١٢٤-١٢٥ .
فلعل المراد بسيرة ابن الجوزي ، هو ماكتبه ابن الجوزي في سيرة سيد البريات !!

وإذا استثنينا هذا الكتاب، نجد أنه تحدث عن بعض مراحل حياته، بصورة متقطعة فى كتبه التالية: صيد الخاطر، ولفتة الكبد، والقصاص والمذكرين، والمنتظم، بالإضافة إلى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى.

وقد تحدث فى هذه الكتب عن جانب من طفولته، وطلبه للعلم، ثم تفوقه فى مجال الوعظ، وإقبال الناس على مجالسه، وتحدث كذلك عن مصنفاته الكثيرة.

وكان ابن الجوزى يعقِّب على حديثه عن نفسه، وتجاربه فى الحياة، بنصائح تربوية مفيدة، وتأملات قيمة،(١) كما فى لفتة الكبد، وصيد الخاطر.

كذلك لايخلو حديثه عن تفوقه فى العلوم، من رغبة فى الإعلام بمكانته، وعلو منزلته، وتفوقه على أقرانه، وبخاصة فى مجال الوعظ.

فعن أصولهم يقول ابن الجوزى لابنه: "يابنى، واعلم(٢) أننا من أولاد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وأبونا القاسم ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه، وأخباره موثقة فى كتاب "صفة الصفوة" ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رزق همة فى طلب العلم غيرى"(٣).

---

(١) د. شوقى ضيف: الترجمة الشخصية ص ٤٧، محمد جاد البنّا: ابن الجوزى يتحدث إليكم. جريدة الجزيرة، العدد (٤٧٨١) ص ٧.

(٢) هنا خلل فى سلسلة نسب ابن الجوزى، انظر الفصل الأول، وأما جدّه قاسمه: القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (٣٧ - ١٠٧هـ) أحد الفقهاء السبعة فى المدينة، ومن سادات التابعين. انظر فى ترجمته: ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/٨٨-٩٠، الزركلى: الأعلام ١٨١/٥.

(٣) لفتة الكبد ص ٧٥-٧٦.

وقال عن تاريخ مولده :"لا أحقق مولدي ، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة (١) ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين" (٢) .

وتحدث عن والديه بصورة مقتضبة ، وبالتحديد عن وفاة أبيه ، وتخلي أمه عنه ، ومانتج عن ذلك فقال :"فإن أبي مات وأنا لا أعقل به ، والأم لم تلتفت إليّ . فرُكز في طبعي حبُّ العلم" (٣) .

وقال أيضًا :"واعلم يابنيّ ، أن أبي كان موسرًا وخلّف الوفًا من المال ، فلما بلغتُ دفعوا لي عشرين دينارًا ودارين، وقالوا لي : هذه التركة كلها ، فأخذت الدنانير واشتريت بها كُتبًا من كتب العلم ، وبعتُ الدارين وأنفقتُ ثمنها في طلب العلم ، ولم يبق لي شيء من المال" (٤) .

وقال عن همته في طلب العلم وتحصيل الدروس :"فإنّي أذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب (٥) ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار ، قد رزقتُ عقلًا وافرًا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أنّي لعبت في طريق مع الصبيان قطّ ، ولاضحكتُ ضحكًا خارجًا .

حتى إنّي كنتُ ولي سبع سنين أو نحوها ، أحضرُ رحبة (٦) الجامع ، فلا أتخير حلْقة مشعَّبة (٧) ، بل أطلب المُحَدِّث فيتحدث

---

(١) وخمسمائة .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ ، وانظر الفصل الأول .
(٣) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوي) ص ٢١٣ .
(٤) لفتة الكبد ص ٥٦ .
(٥) الكُتّاب .
(٦) ساحة الجامع .
(٧) يقصد أنه لايتخير الحلْقات التي يتحدث فيها الشيخ عن مواضيع متعددة ، لأنه كان يريد أخذ كل موضوع على حدة ليتقنه .

بالسير ، فأحفظ جميع ماأسمعه ، وأذهب إلى البيت فأكتبه...

ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ، ويتفرجون على الجسر ، وأنا فى زمن الصغر آخذ جزءًا (١) وأقعد حجزة من الناس (٢) إلى جانب الرَّقة (٣) فأتشاغل بالعلم ...

ولقد كنتُ أدور على المشايخ لسماع الحديث ، فينقطع نَفَسى من العَدْو لئلا أُسْبَق ، وكنتُ أصبح وليس لى مأكل ، وأمسى وليس لى مأكل ..." (٤) .

وقال ابن الجوزى عن ولعه بالكتب :".. وإنِّى أُخبر عن حالى ، ماأشبع من مطالعة الكتب . وإذا رأيتُ كتابًا لم أره فكأننى وقعت على كنز . ولقد نظرتُ فى ثبت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية (٥) ، فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد . وفى ثبت كتب أبى حنيفة (٦) وكتب الحميدى (٧) ، وكتب شيخنا

---

(١) الجزء يقصد به غالبًا الكتاب الصغير الحجم ، أو القطعة منه ، التى تقارب جزء القرآن الكريم ، وتسمى الأجزاء الحديثية .

(٢) أى بعيدًا عن الناس .

(٣) الرَّقة : هى كل أرض إلى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها أيام المد ، وبها سميت المدينة المشهورة على الفرات بين حلب ودير الزور .

(٤) لفتة الكبد ص ٣٣-٣٤،٣٦،٣٨ وانظر ماقاله عن هذه المرحلة فى كتابه صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢١٣.

(٥) هى المدرسة المنسوبة إلى الوزير نظام الملك .

(٦) أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفى (٨٠ - ١٥٠هـ) أحد الأئمة الأربعة ، وإمام المذهب الحنفى ، انظر فى ترجمته : ابن أبى الوفاء : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ١/٢٦-٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/١٠٧-١٠٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢/١٢-١٥ ، الزركلى : الأعلام ٨/٣٦ .

(٧) محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الأزدى الحميدى (٤٢٠ - ٤٨٨هـ) محدث ومؤرخ أندلسى الأصل ، وكان تلميذًا لابن حزم ، رحل إلى المشرق ، ومات فى بغداد . انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٢٨٢-٢٨٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٩٢ ، الزركلى : الأعلام ٦/٣٢٧-٣٢٨ .

عبد الوهاب (١)، وابن ناصر (٢)، وكُتب أبي محمد بن الخشاب (٣)، وكانت أحمالاً، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه. ولو قلتُ: انى طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد فى الطلب. فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم، مالايعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزرى ما الناس فيه، وأحتقرُ هِمم الطلاب. ولله الحمد" (٤).

ونظراً لإدراك ابن الجوزى لقيمة الوقت – وبخاصة لطالب العلم – نجده يتخذ التدابير المناسبة مع من وصفهم بالبطّالين، الذين لاهمَّ لهم إلا التردد على الناس وتعطيلهم عن أعمالهم. يقول فى ذلك:

"أعوذ بالله من صحبة البطّالين. لقد رأيتُ خلقاً كثيراً يجرون معى فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس ويجرون فيه أحاديث الناس ومالايعنى، ويتخلله غيبة. وهذا شىء يفعله فى زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزوِّر وتشوق إليه واستوحش من الوحدة، وخصوصاً فى أيام التهانى والأعياد،

---

(١) هو عبد الوهاب الأنماطى. انظر شيوخ ابن الجوزى فى الفصل الثانى.

(٢) هو محمد بن ناصر السلامى. انظر شيوخ ابن الجوزى فى الفصل الثانى.

(٣) عبد الله بن أحمد بن الخشاب (٤٩٢ – ٥٦٧هـ) كان على اطلاع بعلوم الدين، كما كان أعلم معاصريه بالعربية، أوقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته. انظر فى ترجمته: ابن الجوزى: المنتظم ١٠/٢٣٨-٢٣٩، ابن رجب الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣١٦-٣٢٣، الزركلى: الأعلام ٤/٦٧. وانظر التمهيد.

(٤) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٣٧٥-٣٧٦.
وانظر حديثه عن طموحه وهمته العالية ص ٢١٦-٢١٧.

فتراهم يمشى بعضهم إلى بعض ، ولايقتصرون على الهناء والسلام بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان .

فلما رأيتُ أن الزمان أشرف شىء ، والواجب انتهابه بفعل الخير ، كرهتُ ذلك وبقيتُ معهم بين أمرين :

إن أنكرتُ عليهم وقعتْ وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرتُ أدافع باللقاء جهدى ، فإذا غُلِبْتُ قصرتُ فى الكلام لأتعجل الفراق . ثم أعددتُ أعمالاً لاتمنع من المحادثة ، لأوقات لقائهم لئلا يمضى الزمان فارغاً .

فجعلتُ من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد وبَرْى الأقلام (١) ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لابدّ منها ، ولاتحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم ، لئلا يضيع شىء من وقتى" (٢) .

ولم يقتصر حديث ابن الجوزى عن نفسه على الجانب العلمى فحسب ، بل تناول جوانب أخرى ، ومنها حديثه عن زهده وكذا علاقته بالحُكام :

"كنتُ فى بداية الصبوة قد ألهمتُ سلوك طريق الزهاد ، بإدامة الصوم والصلاة ، وحُبِّبَتْ إلىَّ الخلوة . فكنتُ أجد قلباً طيباً . وكانت عين بصيرتى قوية الحِدَّة ، تتأسف على لحظة تمضى فى غير طاعة ، وتبادر الوقت فى اغتنام الطاعات ، ولى نوع أنس وحلاوة مناجاة . فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامى ، فأمالنى إليه فمال الطبع . ففقدتُ تلك الحلاوة ، ثم استمالنى آخر ، فكنتُ أتقى مخالطته ومطاعمه ،

---

(١) أى الورق .

(٢) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٠٦-٢٠٧.

لخوف الشبهات ، وكانت حالى قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح ، فعُدِم ماكنتُ أجد ، وصارت المخالطة توجب ظلمة القلب إلى أن عُدِمَ النور كله ، فكان حنينى إلى ماضاع منى يوجب انزعاج أهل المجلس ، فيتوبون ويصلحون . وأخرج مفلسًا فيما بينى وبين حالى . وكثر ضجيجى من مرضى ، وعجزتُ عن طب نفسى ، فلجأت إلى قبور الصالحين ، وتوسلتُ فى ملاحى ، فاجتذبنى لطف مولاى بى إلى الخلوة على كراهة منّى ، وردّ قلبى علىَّ بعد نفوره منِّى ، وأرانى عيب ماكنتُ أؤثره ، فأفقت من مرض غفلتى !

وقلتُ فى مناجاة خلوتى : سيدى كيف أقدر على شكرك ؟ وبأىّ لسان أنطق بمدحك ؟ إذ لم تؤاخذنى على غفلتى ، ونبهتنى من رقدتى ، وأصلحتَ حالى على كره من طبعى ، فما أربحنى فيما سُلِبَ منِّى إذا كانت ثمرته اللجوء إليك ، وما أوفر جمعى إذ ثمرته إقبالى على الخلوة بك ، وما أغنانى إذ أفقرتنى إليك ، وما آنسنى إذ أوحشتنى من خلقك ، آه على زمان ضاع فى غير خدمتك ! أسفًا لوقتٍ مضَى فى غير طاعتك ! قد كنتُ إذا انتبهت وقت الفجر لايؤلمنى نومى طول الليل ، وإذا انسلخ عنِّى النّهار لايوجعنى ضياع ذلك اليوم ، وماعلمتُ أن عدم الإحساس لقوة المرض . فالآن قد هبَّت نسائم العافية ، فأحسستُ بالألم فاستدللتُ على الصحة . فياعظيم الإنعام تمم لى العافية ، آه من شُكرٍ لم يُعلم قدر عربدته إلا فى وقت الإفاقة ! لقد فتقتُ مايصعب رتْقه ، فوآأسفًا على بضاعةٍ ضاعت ، وعلى ملّاح تعب فى موج الشمال مُصَاعِدًا مدةً ثم غلبه النومُ فَرُدَّ إلى

مكانه الأول" (١).

وتحدث ابن الجوزى عن موقف حصل له مع رجل اشترى منه دكانًا ، فقال :

"ولقد حضر عندى رجل شيخ ابن ثمانين سنة ، فاشتريتُ منه دكانًا وعقدتُ معه العقد ، فلما افترقنا غدر بعد أيام ، فطلبتُ منه الحضور عند الحاكم فأبَى ، فأحضرتُه فحلف اليمين الغموس أنه مابعته ، فقلتُ ماتدور عليه السَّنة (٢) ، وأخذ يبرطل (٣) لمن يحول بينى وبينه من الظَّلمة ، فرأيتُ من العَوام من قد غلبتْ عليه العادات ، فلايلتفت معها إلى قول فقيه ، يقول : هذا ماقبض الثمن فكيف يصح البيع ؟ وآخر يقول : كيف يجوز لك أن تأخذ دكانه بغير رضاه ؟ وآخر يقول : يجب عليك أن تقيله البيع . فلما لم أُقِلْه أخذ هو وأقاربه يأخذون عِرْضى ، ورأى أنه يحامى عن ملكه ، ثم سعى بى إلى السلطان سعاية يحرِّض فيها من الكذب ماأدهشنى ، وبرطل مالاً لخلق من الظَّلمة ، فبالغوا وسعوا ، إلا أن الله تعالى نجَّانى من شرهم ، ثم إنى أقمتُ البيِّنة عند الحاكم ، فقال بعض أرباب الدنيا للحاكم: لاتحكم له .

فوقف عن الحكم بعد ثبوت البيِّنة عنده ، فرأيتُ من هذا الحاكم ومن حاكم آخر أعلى منه من تركِ إنفاذ الحق حفظًا لرياستهم ، ماهوَّن عندى مافعله ذلك الشيخ حفظًا لماله ، لجهله وعلم هؤلاء ، فتجلى لى من الأمر أن العادات غَلبت على

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٩٢-٩٣ ، وانظر لفتة الكبد ص ٣٦ .

(٢) أى لن يعيش .

(٣) المراد يرشو .

الناس ، وأن الشرع أُعرض عنه ، وإن وقعت موافقة للشرع فكما اتفق أو لأجل العادة ، فإن الانسان لو ضُرب بالسياط ماأفطر فى رمضان . عادة قد استمرت ، ويأخذ أعراض الناس وأموالهم عادة . فكم رأيتُ هذا الشيخ يصلى ويحافظ على الصلاة ، ثم لما خاف فوت غرضه ترك الشرع جانبًا . وكم قد رأيتُ أولئك الحكام يتعبدون ويطلبون العلم ، غير أنهم لما خافوا على رياستهم أن تزول تركوا جانب الدين .

ثم إن الله تعالى نصرنى عليه وتقدم إلى الحاكم بإنفاذ ماثبت عنده ، ودارت السَّنة فمات الشيخ على قلٍّ (١) فنسأله عز وجل التوفيق للإنقياد لشرعه ومخالفة أهوائنا " (٢) .

وتحدث ابن الجوزى كثيرًا عن مجالسه الوعظية وإقبال الناس عليها ، ومن ذلك قوله :

"وسألنى أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلسًا للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس عشر ربيع الأول (٣) ، فانقلبت بغداد وعبرَ أهلها عبورًا زاد على نصف شعبان زيادة كثيرة ، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتُها (٤) بعد المغرب ، فتلقانى أهلها بالشموع الكثيرة ،وصحبنى منها خلق عظيم . فلما خرجتُ من باب البصرة رأيت أهل الحربية (٥) قد أقبلوا بشموع لايمكن إحصاؤها فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة ،فحرزت بألف شمعة ،فما رأيت البرِّية إلا مملوءة ضوءًا ،وخرج أهل المحال،والرجال والنساء والصبيان ينظرون . وكان الزحام فى البرِّية كالزحام فى

---

(١) أى على قلة وحاجة .
(٢) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٠٩-٢١٠ .
(٣) من سنة تسع وستين وخمسمائة .
(٤)،(٥) من أحياء بغداد .

سوق الثلاثاء (١) ، فدخلت الحربية وقد امتلأ الشارع واكتريت الرواشين من وقت الضحى ، فلو قيل : إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسَعوا فى الصحراء ، بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين فى المجلس كانوا ثلاثمائة ألف (٢) ، ما أبعد القائل" (٣).

ونظراً لتفوق ابن الجوزى فى مجال الوعظ ، وتأثيره الشديد على الناس ، قوّى الخليفة المستضىء بالله يده لمحاربة الرَفْض ، الذى كان متفشياً آنذاك . يقول ابن الجوزى عن ذلك :

"وكان الرَفْض فى هذه الأيام قد كثر ، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين : إن لم تقوَّ يد ابن الجوزى لم تُطق على دفع البدع . فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدى ، فأخبرتُ الناس ذلك على المنبر ، وقلتُ : إن أمير المؤمنين قد بلغه كثرة الرفض ، وقد خرج توقيعه بتقوية يدى فى إزالة البدع ، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة ، فأخبرونى حتى أنقض داره ، وأُخلده الحبس ، فإن كان من الوعاظ حذرته إلى المثال . فانكف الناس" (٤).

وأُسندت إلى ابن الجوزى مهمة الإشراف والتدريس فى العديد من المدارس ، يقول عن إحداها :

"وفى الخميس الخامس والعشرين من شعبان (٥) ، سُلمت إلىّ

---

(١) من أحياء بغداد .
(٢) انظر الحديث عن عدد حضور مجالس ابن الجوزى فى المبحث الخاص بمواعظه فى الباب الثالث .
(٣) المنتظم ٢٤٣/١٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٥/١ .
(٤) المنتظم ٢٥٩/١٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٧/١ ، وانظر المبحث الخاص بوظائف ابن الجوزى فى الفصل الثانى .
(٥) من سنة سبعين وخمسمائة .

المدرسة التى كانت داراً لنظام الدين أبى نصر بن جهير (١) ، وكانت قد وصلتْ ملكيتها إلى الجهة المسماة بنفشة (٢) ، فجعلتها مدرسة وسلمتها إلى أبى جعفر بن الصباغ (٣) ، فبقى معه المفتاح أياماً ثم استعادت منه المفتاح ، وسلمته إلىّ من غير طلب كان منّى ، وكُتب فى كتاب الوقف أنها وقف على أصحاب أحمد . وتقدم إلىَّ يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها ، فحضر قاضى القضاة ، وحاجب الباب ، وفقهاء بغداد ، وخُلِعتَ علىّ خلعة ، وخرج الدعاة بين يدىّ والخدم . ووقف أهل بغداد من باب النوبى إلى باب المدرسة ، كما يكون فى العيد وأكثر . وكان على باب المدرسة ألوف ، والزحام على الباب . فلما جلستُ لإلقاء الدرس عُرِض كتاب الوقف على قاضى القضاة ، وهو حاضر مع الجماعة ، فقُرِئ عليهم ، وحكم به وأنفذه ، وذكرتُ بعد ذلك الدرس ، فألقيتُ يومئذ دروساً كثيرة من الأصول والفروع ، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله ، ودخل على قلوب أهل المذاهب غم عظيم (٤) " .

وقال ابن الجوزى عن قدراته فى مجال الخطب والمواعظ :

---

(١) محمد بن محمد بن جهير الثعلبى (٣٩٨ - ٤٨٣هـ) وزير اشتهر بالحزم وأصالة الرأى ، ولى الوزارة للقائم العباسى ثم للمقتدر .
انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ٥٤/٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٢٧/٥-١٣٤ ، الزركلى : الأعلام ٢٢/٧ .

(٢) بنفشة بنت عبد الله الرومية ، مولاة المستضىء بالله ، كانت صالحة محبة لفعل الخير ، توفيت سنة (٥٩٨هـ) .
انظر الحديث عنها : ابن الجوزى : المنتظم ١٢٤/١٠، ٢٥٠، ٢٧١ ، ابن الساعى : نساء الخلفاء ص ١١١-١١٥، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ١٩٥/٨، ٣٢٦، ٣٣١ .

(٣) لم أجد ترجمته .

(٤) المنتظم ٢٥٢/١٠-٢٥٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٦/١ .

"ولقد أقدرني الله على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ . وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشر آية ، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال" (١) .

وتطرق ابن الجوزي إلى النتائج الباهرة التي حققها في مجال الوعظ ، فقال :

"وإني مازلت أعظ الناس ، وأحرضهم على التوبة ، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب (٢) ، أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف . وقد جمعت في آلات الوعظ كُتباً لم أُسبق إلى مثلها ..." (٣) .

ومن النماذج السابقة ، يظهر لنا أهمية سيرة ابن الجوزي ، التي عبرت عن شخصية صاحبها الفذ ، الذي واجه الصعاب بإيمان وعزم شديد ، حتى صار عَلماً يُشار إليه بالبَنان .

وزاد من أهمية هذه السيرة ، ماجاء فيها من آراء وتأملات مفيدة ، وكذلك أسلوبها الممتع .

ولعل من المستحسن الإشارة هنا ، إلى أمر يتصل بموضوع هذا المبحث ، وهو اهتمام ابن الجوزي بكتابة سير عظماء الأمة الاسلامية . فقد أفرد للعديد منهم كُتباً مستقلة ، وعلى رأس هذه الكتب : سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، التي أسماها "الوفا بأحوال المصطفى " وكذلك سير بعض

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٧٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٠/١ .
(٢) يريد به كتاب القصاص والمذكرين .
(٣) المصدر السابق (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٧١ .

الصحابة والتابعين والعباد .(١)

وفى كتابه "صفة الصفوة" ترجم لكثير من النسّاك والزهاد رجالاً ونساء . واتبع فى تبويبه طريقة البلدان فبدأ بمن فى المدينة فمكة فبغداد وهكذا .(٢)

وترجم فى كتابه "المنتظم"(٣) لمشاهير الرجال والنساء ، حسب وفيات كل سنة حتى عام (٥٧٤هـ) . وقد كان هدف ابن الجوزى فى معظم السير التى صنفها - واعتمد فيها على الإسناد - وعظ الناس . فهو مثلاً يترجم لكثير من النساء فى "صفة الصفوة" لغاية وعظية عبَّر عنها بقوله : إن "ذكر العابدات مع قصور الأنوثية ، يوثب المُقَصِّر من الذكور .."(٤) .

وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى بروز الغرض الوعظى فيما صنفه ابن الجوزى وغيره من المصنفين فى سير الزهاد والنُسّاك ، فقال :"وقد أصبح هذا النوع من السير ، مجموعة من "المناقب والأقوال" يتأدب بها المتأدبون ، ويستغلها الواعظون فى استمالة القلوب إلى الخير"(٥) .

كذلك تميزت هذه السير بالقيمة الأدبية ، لقدرتها على التأثير والإيحاء ، الذى نفتقده فى سائر أدب الوعظ ، كالخطبة والقصيدة وغير ذلك .(٦)

---

(١) انظر عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ، التراجم الخاصة ص ٢٣٦-٢٣٧ .
(٢) لجنة من الأدباء : التراجم والسير ص ٦٦ .
(٣) وهو فى عشر مجلدات ، طبع منها حتى الآن ستة أجزاء ، من الخامس إلى العاشر .
(٤) ٣١/١ .
(٥) فن السيرة ص ١٨ .
(٦) المرجع السابق ص ١٩ .

المبحث الثانى

أجوبته النادرة

وُصِف ابن الجوزى بتوقد الذهن ، وحضور الجواب ، مع كثرة المحفوظ ، وسعة العلم ، وكان شأنه فى ذلك عجيبا (١) .

وقد لاحظ ابن جبير هذا الجانب عند وصفه لمجالس ابن الجوزى ، فقال : "وفى أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتطير إليه الرقاع ، فيجاوب أسرع من طرفة عين" (٢) .

وقال عنه ابن الفرات :"وكان له على المنبر نكت لطاف ومعانٍ ظراف ، على طريقة البغداديين لايكاد يفهمها غيرهم ، كان يتخالع فيها ويتمازح" (٣) .

وقد حفظت لنا العديد من المصادر ، جانبًا من أجوبته النادرة :

"فمن أحسن مايُحكى عنه ، أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السُّنة والشيعة ، فى المفاضلة بين أبى بكر وعلىّ رضى الله عنهما ، فرضى الكلُّ بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاما شخصًا سأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه ، فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته (٤) ، ونزل فى الحال حتى

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ ، ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ على الطنطاوى) ص ١٦ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٠٨ .

(٣) تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٦ .

(٤) يلاحظ هنا ذكاء ابن الجوزى ، فالضمير فى (ابنته وتحته) يحتمل عودته على أبى بكر وعلىّ رضى الله عنهما معا .
وقد سئل ابن الجوزى عن هذه المسألة عدة مرات ، فكان فى كل مرة يجيب ببديهة . ومن ذلك قوله للسائل الذى سأله عن الأفضل :
=

لايراجع فى ذلك ، فقالت السُّنة : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضى الله عنها تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الشيعة : هو علىّ لأن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحته . وهذا من لطائف الأجوبة . ولو حمل بعد الفكر التام وإمعان النظر ، كان فى غاية الحسن ، فضلاً عن البديهة " (١) .

"وسأله رجل يوماً : أيّما أفضل أسبِّح ، أم أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور" (٢) .

و "قال له قائل : مانمت البارحة من شوقى إلى المجلس فقال : نعم لأنك تريد أن تتفرج ، وإنما ينبغى أن لاتنام الليلة لأجل ماسمعت" (٣) .

"وسأله إنسان ، فقال : مالنا نرى الكوز الجديد ، إذا

= "اقعد ، فأنت أفضل من كل أحد" يريد من الفضول . انظر الذهبى : سير أعلام النبلاء ٣٧١/٢١ .
وسئل مرة عن أفضل الناس ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب بقوله :

لاتسألونِى إلاّ عنْ أواخرِهِمْ
فأوّلُ الركْبِ مَاعِنْدِى له خبرُ

فهنا صرف ابن الجوزى السائل بلطف . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ١٦٦/٤-١٦٧ ، ديوان شعر ابن الجوزى فى الباب الثانى .
ولعل الأمثلة السابقة خير ردٍّ لما قاله الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، من أن ابن الجوزى أراد بأجوبته هذه التهرب من الجواب الصحيح ، لإرضاء أهل السُّنة والشيعة ، بينما كان عليه أن يبين الحق ، ويلوم الناس على اشتغالهم بهذه المسألة التى لاتقدم ولاتؤخر ونسى الأستاذ أن ابن الجوزى قد أفلح فى كبح جماح الفتنة التى كانت ستقع فى بغداد لو لم يتصرف حيالها بذكاء نادر . انظر : المجددون فى الإسلام ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤١/٣-١٤٢ .
(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٩٠/٨-٤٩١ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٣٧١/٢١ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٨٩/٨ ، أبو شامة : تراجم رجال القرنين ص ٢٢ .

صُبَّ فيه الماء نَقَّص ويخرج منه موت ؟ فما معنى ذلك ؟ فقال له: ياولدى ذلك موت شكواه ، فإنه يشكو إلى برد الماء مالاقاه من حرِّ النَّار .

فقال السائل : مالنا نراه إذا ملأناه لايبرد ، فإذا نقص برد ؟

فقال الشيخ : حتى تعلم ، بأن الهوى لايدخل إلا على ناقص" .(١)

"وقيل له : إن فلانًا وصّى عند موته ، فقال : يامفرِّطين ماتطينون سطوحكم إلافى كانون" .(٢)

"وسأله سائل : أيجوز أن أُفسح لنفسى فى مباح الملاهى ؟ فقال : عند نفسك من الغفلة مايكفيها ، فلاتشغلها بالملاهى ملاهى" .(٣)

وقال ابن الجوزى مرة فى أحد مجالسه :"ماخلق الله تعالى نبيًّا فى الخير ، إلا وله مقابل فى الشر ، خلق الله تعالى آدم عليه السلام واللّعين إبليس ، والخليل عليه السلام واللّعين نمرود ، وموسى عليه السلام واللّعين فرعون ، ومحمد صلى الله عليه وسلم واللّعين أبا جهل ، وهكذا أبدا . فقام إليه إنسان ، فقال : بالله أنت من يحاذيك ؟ فقال : لاحدْ . وهذه كلمة بغدادية معناها أن الذى يحاذينى ليس بشىء" .(٤)

---

(١) ابن الفرات :تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٧-٢١٨ .
(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٩٠/٨ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٢/١ .
وكانون الأول وكانون الآخر ، شهران فى قلب الشتاء ، بلغة أهل الروم . (الجوهرى : الصحاح) ٢١٨٩/٦ .
وابن الجوزى يريد بكلامه هذا من يفعل الشىء بعد فوات أوانه .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٢/١ .
(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٨ .

وتكلم ابن الجوزى فى بعض مجالسه عن فضائله ، حتى انتهى المجلس ، فقام إليه رجل قائلاً :

"أنت ياسيدى اليوم كرخى خالص ، فقال له : صدقت ، ولكن بلاغبار .

والبغداديون إذا رأوا شيئًا على جهته غير مصنّع قالوا: هذا كرخى بغباره "(١) .

"وكتب إليه رجل فى رقعة : والله ماأستطيع أن أراك ، فقال : أعمش وشمس كيف يراها ؟ ثم قال : إذا خلوتُ فى البيت غرستُ الدُّرَّ فى أرض القراطيس ، وإذا جلستُ للناس دفعت بدرياق العلم سمومّ الهوى ، أحميكم عن طعام البدع ، وتأبون إلا التخليط ، والطبيب مبغوض"(٢) .

وقال ابن الجوزى فى قول فرعون : { وَهَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي }(٣) : "ويحه : افتخر بنهر ماأجراه ، ماأجرأه"(٤) .

"وقرىء بين يديه يومًا { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ }(٥) فقال : والله هذا توقيع بخراب البيوت"(٦) .

وروى سبط ابن الجوزى عن جدّه فقال :"قال يومًا فى مجلس وعظه : الدنيا نهر طالوت فاعبروها ولاتعمروها .

فقام سائل فقال : كيف أصنع وحبها مطبوع فى طباعي من

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٦-٢١٧، والكرخ مدينة فى العراق . انظر : ابن الجوزى : مناقب معروف الكرخى .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٤/١ .
(٣) سورة الزخرف : ٥١
(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٢/١ .
(٥) سورة الرحمن : ٢٦
(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٢/١ .

يوم { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ }(١) فقال جدّى { إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ }(٢) يعنى قطرة من القطرات"(٣) .

وقال فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"أعمار أمّتى مابين السّتين إلى السبعين"(٤) :

"إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة ، قيل حثو المطى"(٥) .

وقال لصاحب انقطع عنه مدة ثم عاد : "أنت فى أوسع العذر من التأخر لثقتى بك ، وفى أضيقه من شوقى إليك"(٦) .

وأنشد ابن الجوزى فى أحد مجالسه الوعظية ، فقال :

مِنْ كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ اجْتَنِى قَدَحًا
وَكُلُّ نَاطِقَةٍ فِى الكَوْنِ تُطْرِبُنِى

فقام إليه أحد الحاضرين ، وقصد العبث به : ياشيخ فإن كان الناطق حمارًا ؟ فقال له ابن الجوزى : أقول له ياحمار أسكت(٧) .

"ومن لطيف أجوبته أن إنسانًا قال له : كيف يُنسب قتل الحسين بن على رضى الله عنه إلى يزيد بن معاوية ، والحسين بكربلاء ويزيد بدمشق ؟

---

(١) سورة آل عمران : ١٤
(٢) سورة البقرة : ٢٤٩
(٣) مرآة الزمان ٤٨٩/٨ .
(٤) أخرج هذا الحديث الترمذى فى سننه وقال عنه :"هذا حديث غريب حسن" أبواب الدعوات ٢١٣/٥-٢١٤ . وانظر الحديث ايضًا فى سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ١٤١٥/٢ .
(٥) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ص ٢٢ .
(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٩١/٨ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١ .
(٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٨ ، الخوانسارى : روضات الجنات ٣٨/٥ ، وانظر ديوان شعر ابن الجوزى فى الباب الثانى .

فأنشد :

سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلمٍ

مِنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أبْعَدْتِ مرْمَاكِ" (١)

"وسأله إنسان عن الحسين الحلاج (٢) ، فقال : مايَسأل عن الحلاج إلاحائك" (٣) .

"وقال له قائل : مافيك عيب إلا أنك حنبلي ، فأنشد :

وعَيَّرَنِي الوَاشُونَ أنِّي أحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا (٤)

ثم قال : أهذا عيبي ، ولاعيب في وجهٍ نُقط محنه بالخال

وأنشد :

ولاعَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ" (٥)

"وتكلم يومًا على المنبر فلحن ، فأراد بعض أهل المجلس أن ينبهه على ذلك ، فقال له : اسكت ، فلو ركب سيبويه حمارًا لقال "تش" .

ومعنى ذلك أنه كان يخاطب الحمار بما يفهم ، أي اخاطبكم بما تفهمون" (٦) .

---

(١) ابن الفرات : تاريخ الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٧ ، والبيت للشريف الرضي انظر ديوانه ٥٩٣/٢ . وذى سلم واد في الحجاز . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٢٤٠/٣ .

(٢) قتل سنة (٣٠٩هـ) ولابن الجوزى كتاب في ذمه ، انظر د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزى ص ٢٣ ، وانظر ماقيل بشأنه في : ابن الجوزى : المنتظم ١٦٠/٦-١٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٢/١١-١٤٤ ، الزركلى : الأعلام ٢٦٠/٢ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٨ . هنا صرف ابن الجوزى ذهن السائل من شخص الحلاج إلى دلالة اسمه على الحلاجة .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي وأوله : وعيَّرها الواشون ... انظر : السكّرى : كتاب شرح أشعار الهذليين ٧٠/١ ، نورة الشملان : أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره ص ٤١ .

(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٤/١ ، والبيت للنابغة الذبياني ، انظر ديوانه ص ٦٠ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م(٤) ج(٢) ص ٢١٨ .

ومن أجوبة ابن الجوزى الطريفة ماروواه سبطه عنه ، حيث قال :

"وسمعت جماعة من أهل بغداد ، تحكى أن نصرًا (١) اشترى مملوكًا بألف دينار ، وجهزه إلى الترك ، وكان جدِّى قد صنّف كتاب المغفلين ، فكتب نصرًا فيه (٢) ، وبلغ نصرًا فعاتبه ، وقال: أنا من جملة المحبين والمبغضين ، وأنت تلحقنى بالمغفلين !

فقال له جدِّى : بلغنى كذا وكذا ، وكيف يعود إليك المملوك ، وقد صار ببلاده ومعه ألف دينار ؟

فقال نصر فإن عاد ؟ قال جدِّى أمحو اسمك وأكتب اسمه" (٣) .

وقال سبط ابن الجوزى أيضًا :"قرأ قارىء بين يديه ، وكان حسن الصوت فأطرب الجماعة ، ثم قرأ بعده آخر مزعج الصوت فبغَّض الجماعة .

قال جدِّى : كان لبعضهم جاريتان مغنِّيتان ، إحداهما تغنى طيبًا والأخرى مزعجًا ، فكان إذا غنَّت الطيبة الصوت يمزق ثيابه ، وإذا غنَّت القبيحة الصوت يقعد يخيط ماتمزق" (٤) .

وبعد ، فهذه الأجوبة والتصرفات الذكية لابن الجوزى ، التى كان يقولها ارتجالاً دون إمعان فكر ، تدل على موهبة فذة ومقدرة عالية فى دنيا الأدب (٥) .

---

(١) هو نصر بن منصور بن الحسين الحرانى (٤٨٤ - ٥٥٣هـ) . انظر فى ترجمته : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٢٣٠/٨-٢٣١ .
(٢) لم يرد ذكر نصر هذا فى الكتاب المطبوع .
(٣) مرآة الزمان ٢٣١/٨ ، وانظر ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٤٨ .
(٤) مرآة الزمان ٤٩٠/٨ .
(٥) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .
وكان لابن الجوزى أجوبة بالشعر لم أذكرها خشية التكرار ، وهى موجودة فى ديوان شعره فى الباب الثانى انظر المقطوعة (١٤، ٢٢، ٥٩) .

المبحث الثالث

ذوقه الأدبي

إن تميز ابن الجوزى برهافة الحسّ (١) ، ورقة الشعور أكسب نتاجه الفكرى ذوقًا أدبيًا عاليًا . لذا اقترنت الفائدة بالمتعة فى معظم كتاباته .

فابن الجوزى كان دائمًا يحرص على انتقاء أسماء مصنفاته ، بعناية بالغة ، لتكون معبرة عن المضمون بشكل مغر .

وقد أظهر فى هذا الجانب ذوقًا رفيعًا ، يدل على إدراكه لعمق الأثر الذى تتركه العناوين فى نفوس القراء (٢) .

فكان من بين أسماء مصنفاته فى مجال الوعظ والخطب : "أنس النفوس" (٣) و"صبا نجد" (٤) و"نسيم السحر" (٥) و"الأنس والمحبة" (٦)

---

(١) انظر مقومات شخصية ابن الجوزى فى الفصل الأول .

(٢) ابن الجوزى : المدهش (مقدمة المحقق) ص ١١ ، بستان الواعظين (مقدمة المحقق) ص ٢١ ، التذكرة فى الوعظ (مقدمة المحقق) ص ٦ .

(٣) توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ، فى دار الكتب الخديوية بالقاهرة ١:٣٨ .
انظر عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ٧٢ .

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى الاسكوريال (فهرست دارنبور وبروفنصال) ٣٨٩(١) ، وأخرى فى مكتبة بايزيد خان باستنبول برقم ١٧٦١ . انظر عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ١١٥ ، وتوجد بمركز إحياء التراث بجامعة أم القرى ، صورة من المخطوط برقم (٨٨١) أدب ، مصورة عن جامعة برنستن .

(٥) توجد نسخة مخطوطة منه فى جامع الفاتح باستانبول برقم ٥٢٩٥(١) . انظر العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ١٩٧ .

(٦) وضع الأستاذ العلوجى هذا الكتاب ضمن آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها . انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١٣ .

و "قلائد النحور" و "اللآلىء" و "رؤوس القوارير"(٢) و "الفتة الكبد"(١) وكتب أخرى .

وقد بين الشيخ على الطنطاوى دقة ابن الجوزى فى اختياره لاسم "صيد الخاطر" ليكون عنوانًا لكتابه فقال :

"وفى هذا الاسم توفيق عجيب : ذلك أن الخواطر لاتفتأ تمر على الذهن ، كأنها الطيور التى تجوز سماء الحقل ، تراها لحظة ثم تفتقدها ، فكأنك مارأيتها ، فإذا أنت اصطدتها وقيدتها ملكتها أبدا .

لذلك جعل المؤلف هذا الكتاب "قيدا لصيد الخاطر" فكان الاسم نفحة من نفحات العبقرية "(٣) .

وكان ابن الجوزى يكتب مقدمات كتبه بحسٍّ مرهف ، ويعمد فيها إلى التشويق ، فجاء الكثير منها فى قالب فنى جميل خال من التكلف ، يبعث على قراءة مابعد تلك المقدمات(٤) ، وبخاصة فى "صيد الخاطر"(٥) و "ذم الهوى"(٦) .

ومما قاله فى مقدمته لذم الهوى :"واعلم أنى قد نزلت لأجلك فى هذا الكتاب عن يفاع الوقار إلى حضيض الترخص فيما أُورد ، اجتذابًا لسلامتك ، واجتلابًا لعافيتك ، وقد مددتُ فيه النَّفَس بعض المد ، لأن مثلك مفتقر إلى مايلهيه من الأسمار ، عن الفكر فيما هو بصدده من الأخطار ، فليكن هذا الكتاب

---

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى مكتبة برلين برقم ٨٧٥٧ . وجاء عنوان الكتاب عند بروكلمن :"قلائد النهور" ، وقد صححه الأستاذ العلوجى . انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ١٣٣
(٢) انظر خطب ابن الجوزى فى الباب الثالث .
(٣) ابن الجوزى : صيد الخاطر (المقدمة) ص ٥ .
(٤) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٤٩ .
(٥) (طبعة الطنطاوى) ص ٤٣ .
(٦) ص ١ ، وانظر المبحث الخاص بتأثر ابن الجوزى بمن سبقه من العلماء فى الفصل الثانى .

سميرك ، واستعمال ما أمرك به فيه شغلك .." (١) .

ومن مقدمات ابن الجوزى الجميلة قوله فى أحد كتبه الوعظية :"... هذا كتاب رقّت عباراته ، ودقّت إشاراته ، نثرته عند الإملاء نثرًا من فنون ، فهو نصيب أكفٍّ لاتلتقط الدون ، جعلته طِرازًا على ثوب الوعظ ، وفمًّا لخاتم اللفظ ، يعمل فى القلب قبل السمع ، وإلى الله الرغبة فى النفع" (٢) .

وقال عن معاناته فى تأليف كتابه "صفة الصفوة" فى المقدمة :

"وقد طفت الأرض بفكرى شرقًا وغربًا ، واستخرجت كل مايصلح ذكره فى هذا الكتاب من جميع البقاع ، وربَّ بلدة عظيمة لم أر فيها من يصلح لكتابنا " (٣) .

ومع أن ابن الجوزى كان ناقلاً وجامعًا فى معظم مصنفاته الأدبية ، إلا أنه كان دقيقًا فى نقوله واختياراته ، التى نمّت عن ذوق رفيع (٤) .

ووضُحت فى تلك المصنفات لمساته الفنية ، فى تبويب الأخبار ، ووضعها فى موضعها المناسب (٥) .

وأظهر ابن الجوزى مقدرة ومهارة فى الاستشهاد بما

---

(١) ص ١ .

(٢) اللطف فى الوعظ ص ٣ ، وقريبًا من هذه المقدمة ، مقدمته لكتابه "الاعتبار فى المواعظ" .
انظر د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١ .

(٣) ٣٤/١ .

(٤) ابن الجوزى : ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٠ ، فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٥٠ ، د. حسن عيسى على الحكيم: كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٤٩، ٢٧٣ .

(٥) انظر أخبار الحمقى والمغفلين ، وأخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار النساء ، وأخبار الأذكياء .

يقتبسه من النصوص ، وقد بين ذلك الدكتور مروان قبانى محقق[1] كتاب "المدهش" وإن كان فى قوله الكثير من المبالغة ، حيث قال : "أما استشهاداته بالآيات ، والأحاديث ، والأشعار ، والأمثال ، فقد بلغ بها منزلة ، تظهر منها كأنما جُعلت ليستشهد بها ، لمناسبتها للمعانى المرادة فى الكلام[2] "[3] .

وقد تمثل ذوق ابن الجوزى وحسن اختياره فى نشره العلمى أيضًا ، ووضح ذلك جليًا فى مقدمة كتابه "صفة الصفوة" حيث قال :

"إنما أنقل عن القوم ، محاسن ما نُقل مما يليق بهذا الكتاب ، ولا أنقل كل ما نُقل ، إذ لكل شىء صناعة ، وصناعة العقل حسن الاختيار"[4] .

فلم يكن دأب ابن الجوزى مجرد النقل والجمع ، بل كان ينقل كل ما هو جدير بالنقل ، كما فى حديثه عن وفود القبائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

"وقد ذكر محمد بن سعد فى الطبقات سبعين وفدا ، فلم نطل ذكرهم ، وإنما ذكرنا من له حديث مستطرف"[5] .

وكذلك قوله عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم "ونحن نشير إلى غزواته إشارة لطيفة"[6] .

---

(١) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ٧/١ .
(٢) هذا الأمر يمكن قبوله ، لو اقتصر على الشعر والنثر ، أما الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة فإن إقحامها هنا مبالغة منكرة .
(٣) ص ١٢ .
(٤) ٣٨/١ وانظر ٢٦/١ .
(٥) الوفا بأحوال المصطفى ٧٥٨/٢ .
(٦) المصدر السابق ٦٧٣/٢ .

المبحث الرابع

تأريخه للأدب

لم يغفل ابن الجوزى الأدب فى كتابه "المنتظم" . فقد اهتم بالتأريخ للحياة الأدبية فى العصور التى تناولها .

إلا أنه "أهمل الحياة الأدبية والشعرية فى العصر الجاهلى ، وماقيل فى النبى صلى الله عليه وسلم من قصائد ، وبخاصة فى رثائه . ولعله تابع فى ذلك الطبرى فى تاريخه ، عدا بعض الأبيات التى قيلت فى بعض آبائه صلى الله عليه وسلم ، وعدا ترجمته لبعض شعراء عصر الرسالة والاستشهاد بنماذج من أشعارهم . ولكن استشهاداته الشعرية تزداد فى العصر الأموى ، وأكثرها تبرز اهتماماته بالشعر فى العصر العباسى" (١) .

وهو فى الغالب يعقِّب على ترجمة كل أديب يؤرخ له ، بذكر أبيات من شعره أو نصوص من نثره . يقول عن ذلك عند ترجمته لأبى الطيب المتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) :

"وقد ذكرت من منتخبها أبياتًا كعادتى عند ذكر كل شاعر" (٢) .

وأرخ ابن الجوزى فى كتابه هذا لإحدى القصائد الملحمية المطولة ، فى الأدب العربى ، حيث قال فى ترجمة محمد بن أحمد الأسوانى (المتوفى ٣٣٥هـ) :

"له قصيدة تضمّن فيها أخبار العالم ، فذكر قصص

---

(١) د . حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٤٩ .

(٢) المنتظم ٢٨/٧ .

الأنبيـاء ، نبيًا نبيًا . وسُئل قبل موته بنحو من سنتين ، كم بلغت قصيدتك إلى الآن ؟ فقال : ثلاثين ومائة ألف بيت ، وبقى الطب والفلسفة " (١) .

ولكنـه – علـى غير عادتـه – لـم يورد أبياتًا من هذه القصيـدة ، ولـو فعـل ذلـك لأتـاح لنـا معرفة قيمتها الفنية والتاريخية (٢) .

وتعـرض ابـن الجوزى للجانب الأدبى فى حياة خلفاء بنى العبـاس عنـد تأريخـه لهـم (٣) . فهـو يقـول عـن الراضى باللـه (٢٩٧ – ٣٢٩هـ) (٤) فـى كتابـه "المصبـاح المضىء فـى خلافـة المستضىء" (٥) : "إنه آخر خليفة له شعر مدون" .

ونظـرًا لعنايـة ابـن الجوزى بالأدب والأدباء ، وتدوينه للشعر الجيد ، فى كتابه "المنتظم" ، نجد بعضًا من المؤرخين يـأخذون عنـه (٦) ، وبخاصة ياقوت الحموى (٧) ، الذى صرح بأخذه منه فـى كتابـه "معجم الأدبـاء" (٨) . ومـن ذلـك قولـه فـى ترجمـة

---

(١) المنتظم ٦/٣٥٥ .

(٢) د. حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٧٣ .

(٣) انظر المنتظم ٦/٢٦٥-٢٧١ ، ٩/٨١-٨٣ ، المصباح المضىء ١/٥٩٩-٦٠٣ .

(٤) محمد أو أحمد بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله ، خليفة عباسى قيل: إنه آخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر .
انظر فـى ترجمتـه : ابـن كثيـر : البدايـة والنهاية ١١/١٩٦-١٩٨ ، الزركلى : الأعلام ٦/٧١ .

(٥) ١/٥٧٧ .

(٦) أفـرد د. حسـن الحـكيم فـى دراسته لكتاب المنتظم لابن الجوزى مبحثًا فى ذكر أثر ابـن الجـوزى فـى المؤرخيـن ص ٥٥٧-٥٧٧ .

(٧) انظر ماقالـه ياقوت الحموى عن ابن الجوزى فى الفصل الثانى عند ذكر مآخذ العلماء عليه .

(٨) انظر ١/٢٤٧-٢٤٨، ٣٦٠ ، ٢/١٩، ٦٦، ٨٢، ٢٧٤ ، ٥/٧٠ ، ٦/١٦٨، ٢٧٧، ٤٦٧ ، ٨/١٨٤، ٢٦٥-٢٦٧ . وانظر د. حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٥٥٣، ٥٥٧-٥٥٨ .

القاسم بن على الحريرى (المتوفى ٥١٦هـ) :

"... وذكر ابن الجوزى فى تاريخه مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن ابن الحريرى عَرض المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان (١) ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها مايشاكلها فأتمها خمسين مقامة (٢) " .

وجاء - عرضًا - فى كتب أخرى لابن الجوزى ترجمة لبعض الأدباء ، كما فى قوله فى "أخبار الأذكياء" : "الخالديان رجلان ، وهما أبو بكر محمد (٣) ، وأبو عثمان سعيد (٤) ابنا هاشم ، كانا أخوين واتفقا فى حسن الطبع ورقة الشعر وكثرة الأدب ، وكانا يشتركان فى الشعر وينفردان فقال فيهما أبو إسحاق الصابى (٥) :

أرَى الشَّاعِرَيْنِ الخَالِدَيْنِ سَيَّرَا ... قَصَائِدَ يَفْنَى الدَّهْرُ وَهْىَ تُخَلَّدُ
تَنازَعَ قَوْمٌ فِيهِمَا وتَنَاقَضُوا ... ومَرَّ جِدَالٌ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُ
فَطَائِفَةٌ قَالَتْ سَعِيدٌ مُقَدَّمٌ ... وطَائِفَةٌ قَالَتْ لَهُمْ : بَلْ مُحَمَّدُ
وصَارُوا إلىحُكْمِى فَأصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ ... ومَاقُلْتُ إلاَّ بالَّتِى هِىَ أرْشَدُ
هُمَا فِىاجْتِمَاعِ الفَضْلِ زَوْجٌ مُؤلَّفٌ ... ومَعْنَاهُمَامِنْ حَيْثُ ثُنِّيَتْ مُفْرَدُ (٦) "

---

(١) أنو شروان بن خالد بن محمد القاسانى ، كان وزيرًا للمسترشد .
انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ١٠/٧٧-٧٨ .

(٢) ٦/١٦٨ ، وانظر المنتظم ١٠/٧٧ .

(٣) توفى سنة ٣٨٠هـ . انظر : الزركلى : الأعلام ٧/١٢٩ .

(٤) توفى سنة ٣٧١هـ . انظر : الزركلى : الأعلام ٣/١٠٣ .

(٥) إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحرَّانى (٣١٣ - ٣٨٤هـ) من أئمة الكتابة والترسل، تقلد دواوين الرسائل فى عصره .
انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٥٢-٥٤، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣/٣٢٤ ، الزركلى : الأعلام ١/٧٨ .

(٦) (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٩١ ، وانظر فى ترجمتها أيضا : سليمان صائغ : تاريخ الموصل ٢/٦١-٦٣ .

وجاء فى كتاب "ذم الهوى" (١) : "أخبرنا أبو منصور القزار قال أنبأنا أبو بكر الخطيب (٢) قال : كان أبو الجوائز أديبًا شاعرًا ، حسن الشعر فى المديح والأوصاف والغزل ، وعَلّقتُ عنه أخبارًا وحكايات وأناشيد ، وسمعته يقول : ولدت فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة " (٣) .

ويمكن أن نعد حديث ابن الجوزى عن الشعراء العشاق – فى نفس الكتاب – من قبيل التأريخ لحياتهم وكذلك شعرهم (٤) .

وفى أثناء حديث ابن الجوزى عن رقة أهل بغداد ، تطرق إلى ماكانوا ينظمونه من الشعر ، والمسمى بـ "كان وكان" (٥) حيث قال :

"ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عَرف فضلهم ولطفهم . ومن تأمل لطافة العوام بها ، فى مجونهم وحديثهم وإشاراتهم التى لايفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد – حتى إن فيهم من يقول الشعر المسمى "كان وكان" فيأتى بمعان لايقدر عليها فحول الشعراء – تبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم " (٦) .

وأتى ابن الجوزى بنماذج من هذا الشعر ، فى كتابه "صيد الخاطر" حيث قال :

"... ومازال المتيقظون يأخذون الإشارة من هذا حتى

---

(١) انظر مصادر ابن الجوزى الأدبية فى الباب الثالث .
(٢) اسمه الحسن بن على الكاتب الواسطى ، كانت وفاته سنة (٤٦٠هـ) . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١١١ – ١١٣ ، الزركلى : الأعلام ٢/٢٠٢ .
(٣) ص ٦٣٣ .
(٤) انظر ص ٣٨٠-٤٤٧ ، وانظر النصوص الشعرية والنثرية فى مصنفات ابن الجوزى فى الباب الثالث .
(٥) انظر شعر ابن الجوزى فى الباب الثانى .
(٦) مناقب بغداد ص ٣٢-٣٣ .

كانوا يأخذونها من هذا الذى تقوله العامة ، ويلقبونه "بكان وكان" فرأيت بخط ابن عقيل عن بعض مشايخه الكبار (١) ، أنه سمع امرأة تنشد :

غَسلتْ لُهْ طولْ الليَّلْ   فَركتْ لهْ طولْ النَّهارْ
خرجْ يُعاينْ غيْرِى   زَلقْ وقعْ فِى الطِينْ
....

وقال ابن عقيل : وسمعتُ امرأة تقول من هذا "الكان وكان" كلمة بقيت فى قلقها (٢) مدة :

كَمْ كُنتْ باللَّهْ أقلْ لَكْ   لِذَا التَوانِى غَائِلَهْ
ولِلقبِيحْ خَمِيرهْ   تَبِينْ بَعْدَ قلِيلْ

قال ابن عقيل : فما أوقعه من تخجيل على إهمالنا لأمور غدًا تبين خمايرها بين يدى الله تعالى" (٣) .

---

(١) سبق الحديث عنه عند ذكر تأثر ابن الجوزى بمن سبقه من العلماء فى الفصل الثانى .
(٢) المراد القلق منها والتفكير فيها .
(٣) (طبعة الطنطاوى) ص ١٤٣-١٤٤ .

المبحث الخامس

نظراته النقدية

اشتملت بعض كتب ابن الجوزى على العديد من الآراء والنظرات ، فى مجالات الأدب والاجتماع والفكر .

ففى مجال الأدب كان ابن الجوزى يبدى رأيه فى نتاج من يترجم لهم من الأدباء فى كتابه "المنتظم" .

فعندما كان يستحسن شعر الشاعر كان يصفه بأنه : مطبوع (١) ومليح (٢) ، وحسن أو مستحسن (٣) ، وجيد (٤) ، ومرسل (٥) ، ولطيف (٦) ، ورائق (٧) ورقيق (٨) ، وموصوف (٩) .

وكان ابن الجوزى يصف الشعراء بما يتناسب مع غرضهم الشعرى (١٠) .

أما فى مجال النثر ، فكان يصف مايستحسنه بأنه : حسن أو مستحسن (١١) ، ومرسل (١٢) ، وجيد (١٣) ، وعجيب (١٤) .

---

(١) ١٨٦/٧، ٢٤١ ، ٨/٣٠٠ ، ١٥١/٩-١٥٢، ٢٢٩ ، ٢٠٧/١٠ .
(٢) ١١٩/٥ ، ٨٤/٦، ٢٨٣ ، ٥٩/٧، ١٨٥، ٢٢٥ ، ١٩/٨، ٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ٢٥٨ ، ٧/٩، ١٨٦ ، ١٥/١٠، ٨٠، ٢٤١ . وانظر أخبار النساء ص ٢٤٠ .
(٣) ١٦٥/٥ ، ١٢/٦، ٥٧، ٢٦٧، ٣٦٠ ، ٦٩/٧، ٩٣، ٢١٦، ٢٢١، ٢٨١ ، ٤/٨، ٣٢، ٩٤، ١٥٨، ٢٥٩، ٢٨٨ ، ٨١/٩، ٩٤ ، ٢١/١٠، ٨٠، ٨٢، ١٤٠، ٢٣١ . وانظر أخبار النساء ص ٢٣٣ .
(٤) ٢٤١/٧ ، ٣٠٨/٨، ٣٢٨ .
(٥) ٢٧٩/٧ ، ١٣٨/٨ ، ٢٢٩/٩ .
(٦) ٩٤/٨ ، ١٨٣/١٠، ٢٠٧ .
(٧) ٥١/٩، ١٧٧ .
(٨) ١٤١/١٠، ١٨٣ .
(٩) ٢٧٤/٧ .
(١٠) ٣٢٩/٨ ، ٢٤٨/٩ . وانظر د. حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٧٣ .
(١١) ١٩٨/٧ .
(١٢) ٢٤١/٧، ٢٧٥ .
(١٣) ٢٤١/١٠ .
(١٤) ٨٤/٦ ، ١٨٣/١٠ .

وعندما يبلغ إعجابه بالنص الذى بين يديه أقصاه ، فإنه يصفه بما يناسبه من العبارات ، كما فى قوله عن أبى فراس الحمدانى (٣٢٠ - ٣٥٧هـ) :"وله شعر فى نهاية الحسن" (١) .

وقوله عن شعر على بن الحسين الكاتب المعروف بابن مربعر (المتوفى ٤٦٥هـ) بأنه :"غاية فى الحسن" (٢) .

وأبدى ابن الجوزى رأيه فيما لايعجبه من الشعر ، كما فى قوله عن شعر فناخسرو الملقب بعضد الدولة البويهى (المتوفى ٣٧٢هـ) :"وليس شعره بالفائق" (٣) .

وابن الجوزى وإن كان لايعلل أحكامه ، ولايبين مواطن الجودة والضعف فى النص الذى ينقده ، فإن أحكامه تدل فى مجملها على ثقافة بالأدب (٤) ، وحِسٍّ فنِّى مكَّنه من تمييز الجيد من الردىء (٥) .

وقد عمد ابن الجوزى فى أحيان قليلة إلى بيان مزايا النص الشعرى ، وتحديد ملامحه ، كما فى قوله عن شعر أبى الفتح البستى (المتوفى ٤٠٠هـ) (٦) :"كان شاعرًا مجيدًا يقصد التطابق والتجانس فى شعره . وأبيات قصائده قليلة لأجل التجانس . وقد انتقيت من جميع ديوانه أبياتًا مستحسنة ،

---

(١) ٦٨/٧ . وقد ذكر ابن الجوزى أبا فراس فيمن مات سنة (٣٦٣هـ) وفيه نظر .
انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦١/٢ ، الزركلى : الأعلام ١٥٥/٢ .
(٢) المنتظم ٢٨١/٨ ، وقال مثل ذلك فى شعر الشريف الرضى ٢٨٠/٧ ، وانظر الثبات عند الممات ص ٣٨،٢٧ .
(٣) المنتظم ١١٦/٧ .
(٤) انظر ثقافته الأدبية فى الفصل الثانى .
(٥) د. حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٧٣-٢٧٤.
(٦) وضعه ابن الجوزى مع من مات سنة (٣٦٣هـ) وفيه نظر .
انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٧٨/٣ ، الزركلى : الأعلام ٣٢٦/٤ .

فرتبتها على حروف المعجم وهى :

دَعْنِى فلنْ أُخْلِقَ دِيبَاجتِى (١) ولسْتُ أبْدِى للورَى حَاجتِى
منْزِلتِى يَحْفظُها منْزِلِى وبَاجتِى تُكرِمُ دِيبَاجتِى (٢)

وقال عن شعر المتنبى :"وأشعاره فائقة الحسن ، محكمة المناعة" (٣) .

وقال فى ترجمة أحمد بن محمد الأرجانى (المتوفى ٥٤٤هـ) "وله الشعر المستحسن يتضمن المعانى الدقيقة" (٤) .

وتطرق ابن الجوزى إلى الأغراض الشعرية ، التى نظم فيها بعض الشعراء ، مثل الزهد والمديح (٥) ...

وقد اتصف ابن الجوزى بالموضوعية فى حكمه على الشعر ، وذلك مع أولئك الشعراء الذين جاء شعرهم فى أغراض سيئة فلم يمنعه ذلك من إنزال شعرهم المكانة التى يستحقها فنيا (٦) مع بيانه لسوء أغراضهم ، كما فى قوله فى ترجمة مهيار الديلمى (المتوفى ٤٢٨هـ) :"وفى شعره لطف إلا أنه يذكر الصحابة بما لايصلح" (٧) .

وقال عن الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر (المتوفى ٣٩١هـ) :

"ثم تشاغل بالشعر وتفرد بالسخف الذى يدل على خساسة

---

(١) أى أُبْلِى .
(٢) المنتظم ٧٢/٧ ، وانظر د. حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٧٣ .
(٣) المنتظم ٢٨/٧ .
(٤) المصدر السابق ١٣٩/١٠ .
(٥) المنتظم ١٠/٨ ، ٣٩،٣٢/٩ ، ٢٠٧،١٥/١٠ ، وانظر : د.حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٧٣ .
(٦) لكنه لم يفعل ذلك مع أبى العلاء المعرِّى . انظر المنتظم ١٨٤/٨-١٨٨ ، صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٣٩ ، تلبس إبليس ص ١٣٦ .
(٧) المنتظم ٩٤/٨ .

النّفْس ، فحمل الأموال به ، وصار ممن يُتقى لسانه ، وحَمل إليه صاحب مصر عن مديح مدحه به ألف مغربية ، وقد أفرد أبو الحسن الرضيّ (١) من شعره ماخلا عن السخف ، وهو شعر حسن" (٢) .

وقال عن على بن أفلح الكاتب (المتوفى ٣٣٥هـ) : "وله شعر مليح إلا أنه كان متجرئًا كثير الهجو" (٣) .

وقد بالغ ابن الجوزى فى وصف فضل الشاعرة (توفيت ٢٥٧هـ) حيث قال :

"ولم تكن امرأة أشعر منها ، فاشتراها محمد بن المفرج الرفجى فأهداها إلى المتوكل (٤) فلما أُدخلت عليه قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا يزعم من باعنى ومن اشترى ، فقال انشدينى من شعرك فقالت :

اسْتَقْبَلَ المَلِكُ إمَامُ الهُدَى ... عَامَ ثلاثٍ وثلاثِينَا (٥)
خِلافَةً أفْضَتْ إلى جَعْفَرٍ ... وهو ابنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِينَا
إنّا لنَرْجُو يا إمامَ الهُدَى ... أنْ تَمْلِكَ الأمْرَ ثمانِينَا
لاقدّسَ اللّهُ امرءًا لمْ يَقُلْ ... عِنْدَ دُعَائِى لكَ آمينَا

فقال المتوكل لعلى بن الجهم (٦) : قل بيتًا وطالبْ فضل

---

(١) هو الشريف الرضىّ ، الذى قام بجمع مختارات من شعر ابن الحجاج ، ورتبه على الحروف . انظر الزركلى : الأعلام ٩٩/٦ .
(٢) المنتظم ٢١٦/٧ .
(٣) المنتظم ٨٠/١٠ ، وانظر ٢٠٧/١٠ .
(٤) جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (٢٠٦ – ٢٤٧هـ) الخليفة العاشر من خلفاء بنى العباس . انظر ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٥٠/١-٣٥٦ ، الزركلى : الأعلام ١٢٧/٢ .
(٥) بعد المائتين .
(٦) على بن الجهم بن بدر السامى (المتوفى ٢٤٩هـ) أحد الشعراء المجيدين ، اختص بالمتوكل ، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان .
انظر فى ترجمته :ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٥٥/٣-٣٥٨ ، الزركلى : الأعلام ٢٦٩/٤-٢٧٠ .

الشاعرة أن تجيزه ، فقال عليٌّ : أجيزى يافضل :

لَاذَ بِهَا يَشْتَكِى إِلَيْهَا   فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَلَاذَا

فأطرقتْ هنيهة ثم قالت :

لَمْ يَزَلْ ضَارِعًا إِلَيْهَا   تَهْطِلُ أَجْفَانُهُ رَذَاذَا

فَعَاتَبُوه فَزَادَ عِشْقًا   فَمَاتَ وجْدًا فَكَانَ مَاذَا؟

فطرب ....". (١)

ومع وضوح شاعرية فضل فيما سبق من الأبيات ، فإن قول ابن الجوزى :"ولم تكن امرأة أشعر منها" يقتضى تفوقها على سائر بنات جنسها ، سواء فى عصرها أو قبله ! وهذا أمر لايمكن التسليم به .

ولعل أبا الفرج الأصفهانى كان أدق منه حيث قال عنها : "ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها" . (٢)

وكان لابن الجوزى تفسير طريف لبيت هدبة بن حشرم (٣) ، إذ قال :

"وعاب الناس قولَ هدبة بن خشرم حيث يقول :

فلاتَنْكِحِى إِنْ فرّقَ الدّهْرُ بَيْنَنَا
أغمَّ (٤) القَفَا والوَجْهِ ليْسَ بِأنْزَعَا (٥) (٦)

---

(١) المنتظم ٧/٥ .
(٢) الأغانى ١١٤/٢١ .
(٣) هدبة بن خشرم بن كرز من قضاعة (المتوفى ٥٠هـ) شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز ، كان راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة راوية لكعب بن زهير وأبيه ، وكان جميل بثينة راوية لهدبة ، وكثيِّر عزة راوية لجميل . قتل قصاصًا بعد أن قتل رجلًا .
انظر فى ترجمته : الأصفهانى : الأغانى ١٦٩/٢١-١٧٣ ، الزركلى : الأعلام ٧٨/٨ .
(٤) يبعث منظره على الحزن .
(٥) الأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته .
(٦) انظر هذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٩٤/٢ .

فهذا يأمرها بتزويج الأنزع القليل شعر القفا والوجه (١) .

ولاأرى فيه عيبًا أيضًا ، لأنه إنما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها فى غيره " (٢) .

وابن الجوزى "كاتب اجتماعى هادف يعرف للكلمة قدرها ، ويُدرك أسرار النفوس البشرية " (٣) .

وقد تصدى للأمراض الاجتماعية المتفشية فى عصره ، وانتقد مافيها من أوضاع خاطئة . ووقف من عصره موقف الإصلاح والثورة على الفساد ، مما أدى إلى كثرة خصومه (٤) .

يقول ابن الجوزى عن أحوال الناس فى المجتمع :

"نظرتُ إلى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل . فأما الجهال فانقسموا ، فمنهم سلطان قد رُبى فى الجهل ولبس الحرير وشرب الخمور وظلم الناس ، وله عُمّال على مثل حاله ، فهؤلاء بمعزل عن الخير بالجملة . ومنهم تجار همتهم الاكتساب وجمع الأموال ، وأكثرهم لايؤدى الزكاة ولايتحاشى من الربا ، فهؤلاء فى صور الناس . ومنهم أرباب معاش يطففون المكيال ويبخسون الميزان ويبخسون الناس ، ويتعاملون بالربا وفى الأسواق طول النهار لاهمة لهم إلا ماهم فيه ، فإذا جاء الليل وقعوا نيامًا كالسُكارى . فهمة أحدهم مايأكل ويلتذ به ، وليس عندهم من الصلاة خبر ، فإذا صلى أحدهم نقرها أو جمع

---

(١) لعل الصواب : بتزوج .
(٢) أخبار النساء ص ٨٥-٨٦ .
(٣) محمد جاد البنّا : ابن الجوزى يتحدث إليكم . جريدة الجزيرة العدد (٤٧٨١) ص ٧ .
(٤) ابن الجوزى : مناقب معروف الكرخى (مقدمة المحقق) ص ٦١٣ ، أحمد الزهرانى : ابن الجوزى بين التأويل والتفويض ص ١٥-١٦ ، د. عبد الرحمن صالح عبد الله : ابن الجوزى وتربية العقل ص ١٢-١٣،١٧ .

بينهما ، فهؤلاء فى عداد البهائم .... أما العلماء فالمبتدئون منهم ينقسمون إلى ذى نية خبيثة يقصد بالعلم المباهاة لا العمل ، ويميل إلى الفسق ظنًا أن العلم يدفع عنه وإنما هو حُجة عليه . وأما المتوسطون والمشهورون فأكثرهم يَغشى السلاطين ويسكت عن إنكار المنكر ، وقليل من العلماء من تسلم له نيته ويحسن قصده " (١) .

وقد أفاد ابن الجوزى من القصص القرآنى فى مجال معالجة أدواء السلوك وغلبة الهوى ، فقد أشار إلى قصة آدم وقصة يوسف عليهما السلام ، بهدف تبيين الفرق بين الاستجابة للهوى وبين الاستعصام والتعفف (٢) ، حيث توجه بحديثه إلى كل قارىء بـ "أن يتفكر فى فائدة المخالفة للهوى ، من اكتساب الذكر الجميل فى الدنيا ، وسلامة النفس والعِرض ، والأجر فى الآخرة . ثم يعكس ، فيتفكر لو وافق هواه ، فى حصول عكس ذلك على الأبد ، وليفرض لهاتين الحالتين حالتى آدم ويوسف عليهما السلام . فى لقمة هذا وصبر هذا !

ويا أيها الأخ النصوح أحضر لى قلبك عند هذه الكلمات ، وقل لى ، بالله عليك ، أين لذة آدم التى قضاها ، من هَمَّةِ يوسف التى ما أمضاها ؟" (٣) .

وقد سخَّر ابن الجوزى إمكاناته فى سبر أغوار النفوس ، لنصح الناس وتحذيرهم ، يقول محذرًا من الإدمان على الشهوات :

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٩٥-٢٩٦ .
(٢) د . مصطفى عبد الواحد : ابن الجوزى ونشره فى الدعوة والتربية (محاضرة مخطوطة) الورقة ٥٠ .
(٣) ذم الهوى ص ١٥ .

"وليعلم العاقل أن مُدْمِنى الشهوات يصيرون إلى حالة لايلتذونها ، وهم مع ذلك لايستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم كالعيش الاضطرارى ، ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لايلتذ بذلك عشر التذاذ من لم يُدْمِن ، غير أن العادة تقتضيه ذلك ، فيُلقى نفسه فى المهالك لنيل مايقتضيه تعوده . ولو زال رين الهوى عن بصر بصيرته ، لرأى أنه قد شقى من حيث قدَّر السعادة ، واغتم من حيث ظن الفرح وألِمَ من حيث أراد اللذة . فهو كالحيوان المخدوع بِحَبِّ الفخ ، لاهو نال ماخُدِع به ، ولا أطاق التخلص مما وقع فيه " (١) .

وقال أيضًا :"ومما يهون الهوى أن يتفكر الإنسان فى نفسه ، فيعلم أنه لم يُخلق لموافقة الهوى ، فإن الجمل يأكل أكثر منه ، والعصفور يسافد (٢) أكثر ، والبهائم مطلقة فى محبوباتها من غير حصر ولايشوبهم غم ، فلما نقص حظ الآدمى من الشهوات ، ثم شِيبت بالنقص عَلم أنه لم يُخلق لذلك" (٣) .

وقال أيضا :"واعلم أن الانسان اذا وافق هواه وان لم يضره وجد من نفسه ذلا لمكان أنه مغلوب ، واذا قهر هواه وجد فى نفسه عزا لأجل أنه غالب ، ثم أنت ترى الناس اذا شاهدوا زاهدا تعجبوا منه وقبلوا يده ، وماذاك الا لأنه قوى على ترك ماضعفوا عنه من مخالفة الهوى" (٤) .

وصورت قصص الأذكياء ، والظِراف ، والحمقى ، بعضًا من مناحى الحياة الاجتماعية وأساليب المعيشة ، فى عصر

---

(١) ذم الهوى ص ١٣-١٤ ، وانظر الطب الروحانى ص ٨ .
(٢) يجامع . (الجوهرى : الصحاح) ٢/٤٨٩ .
(٣) الطب الروحانى ص ٨-٩ ، وانظر ذم الهوى ص ١٤ .
(٤) الطب الروحانى ص ١٠ .

ابن الجوزى (١) ، وتضمنت كذلك نقدًا لبعض أوضاع المجتمع ، وبخاصة قصص الحمقى والمغفلين ، فقد كان أبطال هذه القصص أنماطًا من الناس ، بعضهم كان فى ذروة المجتمع كالولاة والقضاة والكُتّاب وغيرهم ، فكأن ابن الجوزى يشير من خلالهم إلى وجود خلل فى المجتمع ، مما أدى إلى عدم إنزال الناس منازلهم !!

وقال عن بعض القصاص المغفلين فى عصره (٢) :"مارأيت أحمق من جمهور قُصاص زماننا ، فإنه يحضر عندهم العوام الغشم ، فلاينهونهم عن خمر وزنا وغيبة ، ولايعلمونهم أركان الصلاة ووظائف التعبد ، بل يملؤون الزمان بذكر الاستواء وتأويل الصفات ، وأن الكلام قائم بالذات ، فيتأذى بذلك من كان قلبه سليما" (٣) .

واهتم ابن الجوزى بالأسرة باعتبارها لبنة من لبنات المجتمع ، فتحدث عن علاقة الزوج بزوجه وأولاده (٤) . ومما قاله : "ولاينبغى للرجل أن يمزح مع المرأة ، فتطمع فيه طمعا يخرجها عن طاعته ، ولا أن يسلم ماله إليها فيصير هو كالرهن فى يدها ، فربما استغنت واستوثقت لنفسها ثم تركته ، وقد قال الله تعالى : { وَلَاتُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } (٥) ، بل ينبغى أن يمزح بنوع من

---

(١) ابن الجوزى :أخبار الأذكياء (مقدمة محمد مرسى الخولى) ص ك ، د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٢٦٢ ، محمد على دقه :هذا الكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) مجلة الخفجى ص ٤٦ .

(٢) انظر قصصهم فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٦-١٢٩ وفى كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٢٢-٣٢٤.

(٣) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٣٠٢ .

(٤) انظر المصدر السابق الفصل ٢٩٦،٢٠٣،٥٢،٢٨ ، الطب الروحانى ص ٦٠-٦٣ .

(٥) سورة النساء : ٥

الهيبة " (١) .

وعن رعاية الأبناء يقول ابن الجوزى :"فمن رُزق ولداً فليجتهد معه ، والتوفيق من وراء ذلك ، فينبغى له أن يعوّده النظافة والطهارة من الصِّغر ، ويثقفه بالآداب فإذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم ، وسنبين فيما بعد ترتيب المحفوظات (٢) فإن الحفظ فى الصغر نقش فى حجر ، ومتى بلغ الصبى ولم يكن له همة تحثه على اكتساب العلم بعد ، فلافلاح له " (٣) .

وأدرك ابن الجوزى خطورة وجود المماليك والخدم داخل الأسرة ، فقال :

"ومن أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت ، خصوصاً إن كان حسن الصورة وفى البيت نسوة ، فإن الشر لايؤمن فإنْ سَلِمْنَ من ميل إليه لم يَسْلَمْ هو من ميل . وكذلك من باب المخاطرات ترك الولد البالغ بين الجوارى ، ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصِّبَى ينسيان مقدار الحرمة والتحريم " (٤) .

وفى مجال الفكر يعد كتاب "تلبيس إبليس" معلَمًا مهمًا من معالم تحرير الفكر الإسلامى وتصحيح مفاهيمه (٥) .

وقد تناول ابن الجوزى فى هذا الكتاب الكثير من القضايا التى برزت فى عصره ، كالبدعة والتصوف والعقائد والفلسفات الضالة ، وتناول كذلك مسائل تتصل بالعلماء

---

(١) الطب الروحانى ص ٦٢ .
(٢) تحدث عنه فى ص ٣٩-٤٠ من الكتاب .
(٣) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ص ٢٩ .
(٤) الطب الروحانى ص ٦٤ .
(٥) أنور الجندى : نوابغ الإسلام ص ٢٨٩ .
وقد عدّ الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ابن الجوزى أحد مجددى القرن السادس ، نظراً لجهوده فى تنقية الفكر الإسلامى . انظر : المجددون فى الإسلام ص ٢١٦ .

والولاة والزهاد والعوام ... وقد ناقش ذلك كله بعقل واع متفتح ، مستلهمًا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول محذرًا الناس من الغرور بالنسب :"ومن تلبيسه (١) عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبى بكر وهذا يقول : أنا من أولاد علىّ (٢) . وهذا يقول أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين . أو يقول : أنا قريب النسب من فلان العَالِم أو فلان الزاهد ، وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين أحدهما : أنهم يقولون من أحب إنسانًا أحب أولاده وأهله . والثانى : أن هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفّعوا فيه أهلَهم وأولادهم . وكلا الأمرين غلط .

أما المحبة فليس محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين ، وإنما يحب من أطاعه ، فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ، ولم ينتفعوا بآبائهم ، ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضا .

أما الشفاعة فقد قال الله تعالى : { وَلَايشفعونَ إلاَّ لِمنِ ارْتَضَى } (٣) ولما أراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } (٤) ..." (٥) .

وقال ابن الجوزى عن الشعراء الذين يهدرون مواهبهم فيما يضر ولاينفع :"وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب

---

(١) أى الشيطان .
(٢) هذه لفتة لطيفة من ابن الجوزى ، بتقديم النصح لنفسه قبل غيره . وسبق أن عرفنا أنه يتصل بالصديق . انظر الفصل الأول .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٨
(٤) سورة هود : ٤٦
(٥) تلبيس إبليس ص ٤٧٢-٤٧٣ .

وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم (١) . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم .

فتراهم يهيمون فى كل واد (٢) من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان ، فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره ، أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياءً من الحاضرين (٣) .

وتناول ابن الجوزى أولئك الذين يتصدون لإنكار المنكر وهم أبعد مايكونون عنه ، حيث قال :"ومن تلبيس إبليس على المنكر ، أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف مافعل ، ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق (٤) عليهم ويلعنهم ، ولعل القوم قد تابوا ، وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكِبْرَه ، ويندرج فى ضمن كشف عورات المسلمين ، لأنه يُعلم من لايعلم ، والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وقد سمعتُ عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم مايتيقن ماعندهم ، ويضربهم الضرب المبرح ، ويكسر الأوانى . وكل هذا يوجبه الجهل . فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان" (٥) .

---

(١) تلون فى الأسلوب ، وانتقال من أسلوب الحديث عن الغائب إلى المخاطب ، وهو مايُعرف بالالتفات .

(٢) من قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ } . سورة الشعراء : ٢٢٥-٢٢٦ .

(٣) تلبيس إبليس ص ١٥٦ .

(٤) الغاضب .

(٥) تلبيس إبليس ص ١٨٣ .

الباب الثانى

شعـــــره

الفصـــل الأول : شعر ابن إلجوزى بين القدماء والمحدثيـــن

الفصل الثانى : ديوان شعـره

الفصل الثالث : الخصائص الفنية العامة لشعره

الفصل الأول

شعر ابن الجوزى
بين القدماء والمحدثين

المبحث الأول : ماقيل عن نظمه للشعر .

المبحث الثاني : شاعريته .

المبحث الثالث : ماوصل إلينا من شعره .

المبحث الأول

ماقيل عن نظمه للشعر

ذكر معظم المؤرخين الذين ترجموا لابن الجوزى ، أنه كان ينظم الشعر :

قال ابن خلكان :"وله أشعار كثيرة " (١) .

وقال ابن الفرات :"وله شعر كثير" (٢) .

وقال أبو شامة :"ولأبى الفرج أشعار كثيرة " (٣) .

وقال ابن كثير :"وله من النظم والنثر شيء كثير جدا " (٤) .

وقال ابن رجب :"وللشيخ أبى الفرج أشعار حسنة كثيرة ". (٥)

وقد ذكر ابن الفرات أن ابن الجوزى كان له ديوان كبير (٦) يسمى "ماقلته من الأشعار" فى جزء (٧) ، وقيل فى عدة مجلدات (٨) .

وجاء عند سبط ابن الجوزى وأبى شامة ، أن شعر ابن الجوزى يصل إلى نحو عشر مجلدات (٩) .

ويبدو أن ابن الجوزى كان مشهورا فى أوساط مجتمعه بنظم الشعر ، بدليل طلب الخليفة الناصر لدين الله منه أن

---

(١) وفيات الأعيان ١٤١/٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٩٠/٣ ، القنوجى : التاج المكلل ص ٦٤ .
(٢) تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٥ .
(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٤ .
(٤) البداية والنهاية ٢٩/١٣ .
(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٣/١ .
(٦) تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٦ .
(٧) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٩/١ .
(٨) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٣٦٩/٢١ .
(٩) مرآة الزمان ٤٩٩/٨ ، الذيل على الروضتين ص ٢٤ .

يزيد على ابيات لعَدىّ بن زيد (١) ، مايناسبها من الشعر ، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات (٢) .

---

(١) عَدِىّ بن زيد التميمى ، شاعر جاهلى فصيح ، كان يسكن الحيرة ، وقيل : إن فى شعره عيبًا .
انظر : البغدادى : خزانة الأدب ٣٨١/١-٣٨٦ ، الزركلى : الأعلام ٢٢٠/٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٨/١٣ . حوادث سنة ٥٨٩هـ .

المبحث الثاني

شاعريته

كان للشعر مكانة عند ابن الجوزى ، إذ وجد فيه ترويحًا عن نفسه ، وتنفيسًا عما يعتمل في صدره (١) . فكان ينظمه في حبسه (٢) ، في أثناء المحنة التي حاقت به في أخريات عمره ، ورأينا من قبل كيف أنه أوصى أن يُكتب على قبره أبيات من نظمه (٣) .

وقد وصف المؤرخون القدامى شعره : بالملاحة (٤) ، واللطافة (٥) والحُسْن (٦) .

وقال معاصره ابن جبير : "فأما نظمه فرضيّ الطباع مهياريّ الانطباع" (٧) .

ووصف شعرًا سمعه منه في أحد مجالسه الوعظية بأنه "نيّر القبس ، عراقى النفس" (٨) .

---

(١) ابن الجوزى : ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ١٣ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٤٣٩ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٢٤٦ . وانظر محنته في الباب الأول .

(٣) انظر الحديث عن وفاته في الباب الأول .

(٤) الذهبي : العبر في خبر من غبر ٤/٢٩٨ ، وقال عنه في سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٧ :"يقول النظم الرائق". وانظر ابن العماد : شذرات الذهب ٤/٣٢٩ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/١٤١ ، اليافعي : مرآة الجنان ٣/٤٩٠

(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٣ ، القنوجي التاج المكلل ص ٧١ .

(٧) رحلة ابن جبير ص ٢٠٧ ، والمقصود أن شعره شبيه بطباع شعر الشريف الرضى (٣٥٦ - ٤٠٦هـ) .
انظر في ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ٧/٢٧٩-٢٨٣ ، الزركلي : الأعلام ٦/٩٩ ، وكذلك شعر مهيار الديلمي (المتوفى ٤٢٨هـ) .
انظر في ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ٨/٩٤-٩٥ ، الزركلي : الأعلام ٧/٣١٧ .
ويريد ابن جبير من ذلك أن شعر ابن الجوزى سهل لاتكلف فيه .

(٨) رحلة ابن جبير ص ٢١٠ .

فإذا ما انتقلنا إلى الباحثين المعاصرين . نجدهم لايختلفون عن سابقيهم حيث نعتوا شعره : بالرِّقة (١) ، والحُسْن (٢) ، واللطافة (٣) ، والسلاسة (٤) .

وقال الباحث على جميل مهنا عن ابن الجوزى :"كان يقرض الشعر الجيد ، الذى يقبله العامة والخاصة " (٥) .

وقالت السيدة مُهْرُ النساء :"وأكون مقصرة فى أداء واجباتى إذا لم أذكر براعته الشعرية ، وبالنظر فى شعر ابن الجوزى انكشف لنا أنه أرقُّ شعرًا ، وأغزر غررًا ، وأكثر فخرًا لنفسه " (٦) .

وأوضح الدكتور جبرائيل جبور أن مانشر لابن الجوزى يدل على ذوق شعرى (٧) .

أما الأستاذ محمد بحر العلوم - محقق كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزى - فإنه يعدُّ ابن الجوزى شاعرًا مغمورًا (٨) ، وقال بعد أن جمع مقتطفات من شعره :

---

(١) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات (مقدمة المحقق عبد الرحمن محمد عثمان) ٢١/١ ، فضائل القدس (مقدمة المحقق د. جبرائيل جبور) ص ٥٣ .

(٢) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة المحقق د. محمد لطفى الصباغ) ص ٤٥ .

(٣) ابن الجوزى : مناقب الإمام أحمد بن حنبل (المقدمة بقلم عادل نويهض) ص ز .

(٤) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٥٣ .

(٥) ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٣ .

(٦) ابن الجوزى : نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر (المقدمة) ٢٠/١ .

(٧) ابن الجوزى : فضائل القدس (المقدمة) ص ٥٣ .

(٨) انظر مقدمة الكتاب ص ٢٤ .

"أكاد أجزم أن لابن الجوزى طابعًا رائعًا فى الشعر ، نستطيع أن نضع عليه بعض اللمسات الشعرية ، من خلال هذه المقتطفات التى أثبتناها ، وهى تشير إلى شاعرية حيَّةٍ كان يتمتع بها" (١) .

(١) مقدمة الكتاب ص ٣٣ .

المبحث الثالث

ماوصل إلينا من شعره

من المؤسف أن ديوان ابن الجوزى لم يصل إلينا ، وقد وضعه الأستاذ العلوجى فى قائمة آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها (١) .

أما ماتبقى من شعر ابن الجوزى فقسم منه مخطوط لم ير النور : يتمثل فى قصيدة فى الاعتقاد وهى محفوظة فى دار الكتب المصرية برقم (٦٢٢ مجاميع) (٢) . وأخرى فى عشرة أبيات مطلعها :

زُرْ والديْكَ وقِفْ علَى قبْرِهِمَا   فكأنَّنِى بِكَ قدْ نُقِلْتَ إلَيْهِمَا

وتوجد فى مكتبة الأوقاف ببغداد قصيدة برقم (١٣٨٣٦) وترجح الدكتورة ناجية أنها نفس القصيدة التى أشار الأستاذ العلوجى إلى وجودها فى مكتبة جامعة ليبزك برقم ١٥٠(٩) (٣) .

وتوجد قصيدة ثالثة أولها :

يَاصَاحِ كَمْ أنْتَ غَافِلْ .

وهى محفوظة فى مدرسة الرضوانى فى الموصل برقم (٤) (٤) .

وفى مكتبة الأوقاف ببغداد توجد بعض الأبيات الشعرية لابن الجوزى ، ضمن مجاميع برقم :

---

(١) مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١٧ ، وانظر مصنفات ابن الجوزى فى الباب الأول .

(٢) د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٨٧ .

(٣) قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٨٧-٨٨ ، مؤلفات ابن الجوزى ص ١٣٣ .

(٤) د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ٨٨ .

(٨٤٩/٢) و(٤٨٩/٤) و(١٣٨٢٦/٦)[1] ، وفى مجال (كان وكان)[2]

توجد له نسخة مخطوطة بعنوان : (لقط الجُمان فى كان وكان)

فى جامع الفاتح برقم ٤٨٦١[3] .

أما القسم الآخر : فهو منشور فى كتب السير والتراجم ، التى ترجمت لابن الجوزى .

ويذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى القول : بأن ماوصل إلينا من شعر ابن الجوزى ، لايزيد على مائة بيت إلا قليلا[4] .

وأشار الدكتور على جميل مهنا إلى أنه لم يصل إلينا ، من ذلك الشعر إلا بعض القصائد والمقطعات والأبيات المتفرقة فى ثنايا بعض الكتب[5] .

أما الدكتور عبد العزيز مطر ، فيرى أنه لايجاوز الثلاثين بيتاً[6] . وهذا بعيد عن الحقيقة !

ويُعدُّ الأستاذ محمد بحر العلوم أبرز من تصدى لشعر ابن الجوزى ، فقد استطاع أن يجمع مقتطفات من شعره ، بعد أن

---

(١) د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ١٠٥ .

(٢) كان وكان : أحد الفنون الجارية على ألسنة العامة ، وأول من اخترعه البغداديون ، وسمى بهذا الاسم لأنهم كانوا ينظمون به الحكايات والخرافات ، وكان ابن الجوزى ممن طور هذا الفن وهذبه من الخرافات حيث نظم به المواعظ والحِكَم وغير ذلك من المعانى .
انظر : سليمان صائغ الموصلى : تاريخ الموصل ٨٢/٢ ، السيد أحمد الهاشمى :ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ص ١٥٤ ، د. محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر الأيوبى ص ٢٨٠ .

(٣) عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ١٥٤ .

(٤) ابن الجوزى : صفة الصفوة (مقدمة المحقق محمود فاخورى) ١٢/١ ، غريب الحديث (مقدمة المحقق د. عبد المعطى أمين قلعجى) ٢٧/١ .

(٥) ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة : نشر فى مجلة معهد المخطوطات العربية - الكويت ،المجلد الثامن والعشرون الجزء الأول ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٢٦٣ .

(٦) ابن الجوزى : تقويم اللسان (المقدمة) ص ٨-٩ .

كانت مبعثرة فى بطون الكتب . وقد بلغ مانقله إلينا من ذلك الشعر : (١١١) بيتا (١) .

وهذا الرقم مقارب جدًا لذلك العدد الذى سبق أن ذكره محققا صفة الصفوة وغريب الحديث بأنه هو كل ماوصل إلينا من شعر ابن الجوزى .

ولكن هل هذا هو مابقى من شعره فقط ؟

الحق أن شعر ابن الجوزى الذى حفظ من الضياع أكثر من هذا بكثير ! وإن كان لايمثل إلا جزءًا يسيرًا من مجموع شعره .

ولقد عثرت على بعض المصادر التى لم يتح لـ "بحر العلوم" الاطلاع عليها ، وبخاصة أن الفترة الزمنية التى تفصل بيننا تزيد على عشرين عاما (٢) ، فتضاعف الرقم السابق حتى وصل - بفضل الله تعالى - إلى أكثر من (٤٦٩) بيتًا ، وآمل فى المستقبل القريب أن أعثر على ماتبقى من شعره .

وقد حرصت على توثيق ماجمعته من شعر ابن الجوزى ، فلم أذكر فى الديوان المصغر الذى وضعته لشعره إلا ماغلب على ظنى أنه له ، وأهملت ماشككت فى صحة نسبته إليه ، وبخاصة أن ابن الجوزى قد أورد الكثير من شعره ، فى بعض كتبه الوعظية كالمدهش (٣) والتبصرة (٤) دون أن ينسبه الى نفسه .

---

(١) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (المقدمة) ص ٢٤-٣٣ .

(٢) نشر كتاب أخبار الظراف والمتماجنين ، فى طبعته الثانية التى اعتمدت عليها عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣) انظر المقطوعات (٢٩،٣٠،٣٥،٣٩،٦٠) فى ديوان شعره فى الفصل القادم وقد أكد صحة نسبة تلك المقطوعات لابن الجوزى بعض المصادر التى ترجمت لحياته ، وانظر فيه أيضا ماجاء فى عروض الدوبيت .

(٤) انظر (مقدمة المحقق) ١/ن .

الفصل الثانى

ديـوان شعـره

قافية الهمزة

(١)

قال ابن الجوزى : (المتقارب)

(١) ولمّا رأيْتُ دِيارَ الصَّفَا
ءِ أقْوَتْ مِنْ إخْوانِ أهْلِ الصَّفَاءِ

(٢) سَعيْتُ إلى سدِّ بَابِ الوِدَادِ
وأحْزَنَ قَلْبِى وفَاةُ الوَفَاءِ

(٣) فَلمَّا اصْطحبْنَا وعاشَرْتُكُمْ
عَلِمْتُ أنَّ رأيِى ورَائِى (١)

التخريج :
(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٣/١ .
(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٨ .

(١) هكذا . وفى الذيل : عشرتكم . وهو تحريف .

قافية الباء

(٢)

وقال : (١) (دوبيت)

سَلَّمْتُ علَى النَّسِيمِ إذْ هَبَّ صَبَا (٢)
فارْتَاحَ إليه سِرُّ قَلْبِي وصَبَا (٣)
يَانَجْدُ لقدْ زِدْتَ فؤادي وَصَبَا (٤)
هلْ يَرْجِعُ فِيكَ عمْرُ وَصْلٍ وَصِبَا ؟ (٥)

التخريج :
أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن المرحل المالقى السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت . مجلة المورد . المجلد الثالث . العدد الرابع ١٩٧٤م ص ١٧٣.
وقد استخدم المصنف مصطلح "أنشد" فى رسالتيه ، فيما قاله ابن الجوزى وغيره ، مما يجعل احتمال أن يكون ماقالوه من غير شعرهم . غير أن هذا التعميم وعدم تخصيص ابن الجوزى بذلك يرجح أن تكون كل الدوبيتات لابن الجوزى ، وبخاصة أن الكثير منها جاء فى كتابه المدهش دون أن ينسبها لنفسه ، وهو أمر عرف عنه .
وانظر أيضًا تعليقات محقق الرسالتين ، د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(١) الدوبيت : قالب شعرى دخل العربية من الفارسية ، ولفظ "دوبيت" مركب من كلمتين ، معنى الأولى منهما اثنان والثانية جاءت بمعناها العربى .
انظر : السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت (مقدمة المحقق) ص ١٥٩ ، السيد أحمد الهاشمى : ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ص ١٤٤-١٤٥ .

(٢) هنا أراد ريح الصَّبا التى تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار .
(ابن منظور : لسان العرب) ٤٥١/١٤ .

(٣) أى مال إليه .

(٤) الوصَبَ : الوجع والمرض ، وكذلك شدة التعب (ابن منظور لسان العرب) ٧٩٧/١ .

(٥) أى عهد لهو وغزل (المصدر السابق) ٤٤٩/١٤ .

(٣)

وقال فى الزهد : (*) (المتدارك)

(١) مَنْ مالَ إلى الدُّنْيَا وَصَبَا ... قَدْ أمْعنَ فى الفَانِى طَلبا
(٢) خُذْ مَايَبْقَى كَيْلا تَشْقَى ... واتْبَعْ حقًّا وَدَعِ اللَّعِبَا
(٣) وذَرِ الدُّنْيَا فلَكَمْ قَتَلَتْ ... مكْرًا بِسِهَامِ هَوًى وَصِبَا
(٤) بَرَّتْ ورعتْ فإذَا اجْتمعَتْ ... خَدعتْ حتَّى قَطعتْ إرَبَا
(٥) يَاعَاشِقَهَا كَمْ قَدْ نَصبَتْ ... لِهلاكِكَ فَاحْذَرْهَا سَبَبَا
(٦) يَاآمنَهَا كَمْ قَدْ سَلَبَتْ ... ولَدًا بَرًّا أمًّا وأبَا

(*) أورد العماد الأصبهانى فى الخريدة فى قسمها العراقى (الجزء الثالث - المجلد الأول ٢٦٣-٢٦٤) قصيدة مكونة من (١١) بيتًا لابن الجوزى ، تشترك مع هذه القصيدة فى بعض أبياتها مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، كما تفردت كلا القصيدتين بأبيات جديدة لذا رأيت ذكرها هنا :

(١) صَبٌّ .. قدْهامَ بِكُمْ وصَبَا ... أضْحَى مِنْ حُبِّكُم وَصِبا (١)
(٢) يَهْتَزُّ لِذكْرِكُمْ طَرَبًا ... ويَرى إغْرَاضكمْ عَطَبَا (٢)
(٣) فَدَعِ الدُّنْيَا ،فلَكمْ سَلَبَتْ ... ولَدًا بَرًّا أمًّا وأبَا
(٤) وبَنَتْ قَصْرًا يَحْوى نَضْرًا ... وقَصَاراه أنْ قَدْ خَرِبا (٣)
(٥) كَمْ خدَّتْ خدًّا فى الأخْدودِ ،وقَدَّتْ قدًّا مُنْتَصِبَا (٤)
(٦) ولَرُبَّ جَوادٍ ، أعْجَبَهُ ... جَرْيٌ فِى مَوْكِبِهِ ، فَكَبَا (٥)
(٧) بَيْنَا مَا المَرْءُ يُرى رَأسًا ... فَهَوَى فيهَا ،فغَدَا ذَنَبا (٦)
(٨) يَنْسَاكَ الأهْلُ إذَا رَجعُوا ... عنْ قَبْرِكَ، لاتَسْمَعُ كَذِبَا
(٩) تَركُوكَ رَهِينًا فى جَدَثٍ ... وبَقِيتَ بإثْمِكَ مُحْتَقِبَا (٧)
(١٠) وتَرى أعْمَالَكَ قدْ حضَرتْ ... فتُنَكِّسُ رأسًا مُكْتَئِبَا
(١١) ياعَاشِقَها..كمْ قَدْ قَتَلَتْ ... أمْثَالَكَ،فالهَرَبَ الهَرَبا

(٧) أفأين الجار أما قد جار … فجارته حتى ذهبا
(٨) أم أين الترب أما تربت … خداه أما سكن التربا
(٩) كم خدت خدا في الأخدود … وقدت قدا منتصبا
(١٠) كم ثغر ملتثم ثلمت … قد كان لراشفه ضربا (١)
(١١) فسقته المر لدى جدث … وكذاك الدهر إذا ضربا (٢)
(١٢) وأتت قصرا يحوى نصرا … فغدا وقصاراه خربا
(١٣) ومليكا في صولة دولته … أضحى في الحفرة مغتربا
(١٤) عرج بامدار على الآثار … وسل طللا أمسى شجبا (٣)
(١٥) ينبيك بأنهم رحلوا … وثوى من بعدهم الغربا
(١٦) بينا الإنسان يرى رأسا … فهوى رأسا فغدا ذنبا
(١٧) فتأمل عاقبة الدنيا … فلعلك تصبح مجتنبا
(١٨) وتدبر ما صنعت فلقد … أبدت بصنايعها عجبا
(١٩) ينساك الأهل إذا رجعوا … عن قبرك لا تسمع كذبا
(٢٠) تركوك أسيرا إذ ذهبوا … بتراب ضريحك محتجبا
(٢١) وغدوا فرحين بما أخذوا … وغدوت بإثمك محتقبا
(٢٢) وترى أعمالك قد حضرت … فتنكس رأسك مكتئبا

---

(١) اللثم بالفم : جمع لاثم واللثم : القبلة .
(ابن منظور : لسان العرب) ١٢/٥٣٤ .
وثلمت : بمعنى كسرت . (المصدر السابق) ١٢/٧٨ .
ضرب : الضرب عسل البر : (ابن منظور : لسان العرب) ١/٥٤٧ .

(٢) جدث : الجدث : القبر (المصدر السابق) ٢/١٢٨ .

(٣) هكذا ، والمدر قطع من الطين اليابس ، ويستخدم للحضر أيضا يقال : مدر ووبر . (المصدر السابق) ٥/١٦٢ .
شجب : شجب الشئ ، يشجب شجبا وشجوبا بمعنى ذهب .
(المصدر السابق) ١/٤٨٣ .

(٢٣) فَكِّرْ فِى الذَنْبِ ومَا احْتَقَبَتْ   كفَّاكَ عَلَيْكَ وما اكْتَسَبَا

(٢٤) كَمْ بِتَّ على ذَنْبٍ فَرِحًا   وغَدَوْتَ على ذَنْبٍ طَرِبَا

(٢٥) وعَلِمْتَ بأنَّ اللَّهَ يَرَى   فَأسَأتَ وَلَمْ تُحسِنْ أدَبَا

(٢٦) فَأعِدَّ الزادَ فَمَا سَفَرٌ   كَالموْتِ تَرَى فِيهِ نَصَبَا

(٢٧) وافِقْ والعمْرُ بِهِ رَمَقٌ   فكَأنْ قَدْ فَاتَ وقَدْ ذَهَبَا

التخريج :

ابن الجوزى : المدهش ص ٢٠٢-٢٠٣ .

---

(١) الصبُّ : المحب . صَبَا : مال . ووصب المريض : وجد وجعًا وهو وصِبٌ .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) قماراه : غايته .

(٤) خدَّتْ : حفرت . والأخدود : الشَّقّ المستطيل فى الأرض . قدَّتْ : قطعت طولا .

(٥) كبا : عثر .

(٦) بينا ما المرء : كذا فى أصل الخريدة ، بفصل "ما" على أنها زائدة . وذكر الأستاذ محمد بهجة الأثرى : أن زيادة "ما" بعد "بينا" غير مسموعة من كلام الفصحاء ، وإنما تزيد العرب "ما" على "بين" وهى ظرف مبهم ، زاد عليها الألف ، أو "ما" فتصير "بينا" — وهى رواية المدهش — و"بينما" وتكون ظرف زمان على المفاجأة .

(٧) احتقب الإثم : ارتكبه .

(٤)

وقال يخاطب أهل بغداد :(*) (المتقارب)

(١) عَذِيرِى مِنْ فِتْيَةٍ بِالعِرَاقِ قُلُوبُهُمُ بِالجَفَا قُلَّبُ

(٢) يَرَوْنَ العَجِيْبَ كلامَ الغريبِ وقَوْلُ القريبِ فلايُعْجِبُ

(٣) مَيَازِيبُهُمْ إنْ تَنَدَّتْ بِخيْرٍ إلى غيْرِ جِيرانِهِمْ تُقْلَبُ

(٤) وُعذْرُهُمُ عنْدَ تَوْبِيخِهِمْ "مُغَنِّيَةُ الحَيِّ ماتُطْرِبُ"(١)

التخريج :

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤١/٣ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٧ .

(*) ذكر الأستاذ محمد بهجة الأثرى الأبيات السابقةِ فى حاشية الخريدة (٣-٢٦٤/١) نقلا عن ابن خلكان ثم عقّب عليها بقوله :
"أقول : وهذا المعنى سَبق إليه الشريف الرضىّ . قال :
أيا للمجْدِ مِنْ قَومٍ لئامٍ ألا حرٌّ على عِرْضٍ يَغارْ
فأشجعهُمْ إذا فزِعُوا جَبانٌ وأذكاهمْ إذا نطقوا حمارْ
لبُونُكمُ تذرُّ لأبعديْكُمْ وعِنْدِي الذّين منها والنفارْ
لِغيري ضوءُ نارِكمُ ، وعِنْدِي دواخِنُها السواطعُ والأوارْ
وقبل الشريف الرضىّ ، قال أبو الطيب المتنبى معاتبا سيف الدولة :
ليتَ الغمامَ الّذى عِنْدِى صَواعِقُهُ
يُزِيلهُنَّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمَ
انظر ديوان الشريف الرضىّ ٣٦٤/١-٣٦٥ ، ديوان أبى الطيب المتنبى ٣٧١/٣ .

(١) الشطر الثانى مثل اقتبسه ابن الجوزى من الأمثال البغدادية ، انظر عبد الرحمن التكريتى : الأمثال البغدادية المقارنة ١٣٥/٤ .
ولعل أصله : "زامر الحى مايطرب" الذى ذكره السخاوى ضمن الأحاديث المشهورة ، فى كتابه المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنةِ ص ٢٣٢ ، إلا أن الإمام محمد بن عبد الله الزرقانى بيَّنَ فى مختصر المقاصد بأنه لم يرد ص ١١٧ .

(٥)

وقال : (الخفيف)

(١) عَرِّجُوا بالرِفَاقِ نَحْوَ الرَكْبِ
وقِفُوا وقْفَةً لأنْشُدَ قَلْبِي

(٢) وخُذوا لِي مِنَ النَّقِيبِ لِماظًا
أوْ رِدُوا بِي إلى العذِيبِ وحسْبِي (١)

(٣) فهُبُوبُ الرِّيَاحِ مِنْ أرْضِ نجْدٍ
قُوتُ رُوحِي وحَبَّذَا مِنْ مَهَبِّ

(٤) يانَسِيمَ الصَّبَا ترنَّمْ على الدَّوْ
حِ بِصوْتٍ يُشْجِي وإنْ طارَ لُبِّي (٢)

(٥) مَنْ مُعِيدٌ أيَّامَنَا بِلِوَى الجَزْ
عِ وهيْهَاتَ أيْنَ مِنِّي مُحِبِّي (٣)

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٣٣٣ .

(١) النقيب : شِعْبٌ من أجاه . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٣٠١/٥ .
لماظا : التلمُّظ : التذوق ، والأخذ باللسان مايبقى فى الفم بعد الأكل ، وقيل هو تتبّع الطعم والتذوق . (ابن منظور : لسان العرب) ٤٦١/٧ .
العذيب : ماء لبنى تميم وهو بين القادسية ومغيثة . (المصدر السابق) ٥٨٥/١ .

(٢) الترنم : التطريب ، والتغنّى ، وتحسين الصوت بالتلاوة . (المصدر السابق) ٢٥٦/١٢ .
الدوحة : الشجرة العظيمة ، من أى الشجر كان ، والجمع دوح . (الجوهرى : الصحاح) ٣٦١/١ .

(٣) الجِزْع : منعطف الوادى ، ومنها : جِزْع بنى كوز فى نجد وجِزْع بنى حمّار باليمامة ، وجزع الدّواهى بطىء . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ١٣٤/٢ .

(٦)

(دوبيت)

وقال :

(١) عُوذوا وتَعطَّفُوا عَلَى قلْبٍ كئِيبْ

لوْجِيبَ لبَانَ فِيهِ حُزْنٌ ووَجِيبْ (١)

(٢) يُدْعَى لِلْمَوْتِ فِى هَواكُمْ فيُجِيبْ

منْ أمَّلَ مِثْلَ فضْلِكُمْ كيْفَ يخِيبْ ؟ (٢)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٠٥ .

(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٦١،١٦٧

(١) وَجبَ القلْبُ وجِيبًا : اضطرب . (الجوهرى : الصحاح) ٢٣٢/١

(٢) هذا البيت غير موجود فى الرسالتين .

(٧)

وقال مفتخرا : (الطويل)

(١) يَودُّ حَسُودِي لَوْ يَرَى لِي زَلَّةً
فإنْ لَمْ يرَ الزَّلاتِ ، جاءَتْ أكاذِيبُ (١)

(٢) أرُدُّ علَى خَصْمِي ، ولَيْسَ بِقَادِرٍ
علَى ردِّ قَوْلِي ، فَهْوَ مَوْتٌ وتَعْذِيبُ

(٣) تَرَى أوْجُهَ الحُسَّادِ صُفْرًا لِرُؤْيَتِي
فإنْ فُهْتُ ، عَادَتْ وهْيَ سُودٌ غَرابِيبُ (٢)

(٤) إذَا فُهْتُ ،لَمْ يَنْطِقْ عَدُوِّي بِلَفْظَةٍ
إذا وَرَدَ الضِّرْغَامُ لَمْ يَلَغِ الذِّيبُ (٣)

التخريج :

(١) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر – الجزء الثالث – المجلد الأول ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٤٩٩/٨ .

(١) في مرآة الزمان :
يرومُ حسودي أنْ يرى لِي زَلةً
إذا مارأى الزَّلاتِ جاءَتْ أكَاذِيبُ

(٢) في مرآة الزمان :
ترى أوجه الحسّاد صفراء ديتي(؟)
فإن قمت عادت وهي سودٌ غرابيب
وغرابيب : جمع غربيب ، وهو الشديد السواد ، وكثيرا مايجيء تأكيدا ، فيقال : "أسود غربيب" . وفي القرآن الكريم : { ومِنَ الجِبالِ جددٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سودٌ } سورة غافر : ٢٧ .

(٣) في مرآة الزمان : يبلغ الذيب ، وهو الأصل ، وهو تحريف والصواب ماأثبته الأستاذ الأثري في الخريدة "يلغ" ، ودليله في ذلك قولهم : وَلَغَ الكلبُ وغيره من السِباع في الإناء ، وبه ، ومنه ، يَلَغُ ويَالَغ ولَغًا وولوغا وولغانا : شرب مافيه بأطراف لسانه ، أو أدخل فيه لسانه فحركه ، وفلان يأكل لحوم الناس ويلغ في دمائهم : يغتابهم .
وانظر (الجوهري : الصحاح) ١٣٢٩/٤ .

(٨)

وقال عن بغداد : (الطويل)

(١) وكُنَّا نَرَى بَغْدَادَ أطْيَبَ مَنْزِلاً
فَلَمَّا تَبَاعدْنَا اسْتَبَانَتْ عُيُوبُهَا

(٢) وصَحَّ لنَا قَوْلُ الَّذِى كَانَ قَائِلاً
"هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا" (١)

التخريج :
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ص ٢١٦ .

(١) الشطر الثانى مقتبس من قول ذى الرُّمة :
هَوَى تذرِفُ العيْنَانِ مِنْهُ وإنَّمَا
هَوَى كُلِّ نفْسٍ حيْثُ حلَّ حَبِيبُهَا
انظر ديوان ذى الرُّمة ٢/٦٩٥ .
وجاء هذا الشطر أيضا فى قول مجنون ليلى :
قريبة عهْدٍ بالحَبِيبِ وإنَّمَا
هَوَى كلِّ نفسٍ حيث كان حبيبها
انظر ديوان المجنون ص ٦٩ .

قافية التاء

(٩)

بعث ابن الجوزى هذه الأبيات إلى بغداد فى أثناء محنته

(كان وكان)

لمَّا تزايدَ وجْدِى فيكُمْ وقَلَّ تصبُّرِى
وعرفتُكُمْ عداى(؟) وقَلَّتْ الحرَكَاتْ

ياحَاضرِيْنَ بقَلْبِى ياغائِبينَ عن النَّظرِ
ياسَاكِنينَ قلْبِى أطْلتُمْ الحَسَراتْ

مَتَى يَجِينِى مُبشِّرْ مِنْ عِنْدكمْ بِقدُومِكُمْ
ويفْرَحُونَ أصْدِقائِى وأكمدْ الشُّمَاتْ

حتَّى يَدقّ طبولُ الـ هنَا أبْوابَ الرَّجَا
وأقُولُ لِلْعيْنِ قرِّى قدْ رُدَّ مَاقدْفاتْ

متَى يقولوا قدْجوَى اخْرُجْ بِسُرعةٍ لِلِّقا
وأقُولُ ياأحْبابِى أطْلتُمْ الغَيْباتْ

وإنْ قضَى لِى ربِّى أموتُ ولاأنظُرْ شَخْصَكُمْ
وجَا نذِيرِى إليْكُمْ يَقُلْ لكمْ قدْمَاتْ

فحدِّثُوا النَّاسَ عَنِّى علَى رُوسِ المَلا
إنِّى علَى العهدِبَاقٍ حتَّى يَجِى المِيقَاتْ

التخريج :
سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٢٣٩-٢٤٠ .

(١٠)

وقال : (دوبيت)

(١) إنْ كانَ عُهودُ وَصْلِكُمْ قدْ دَرَستْ
فالرُّوحُ إلى سِواكُمْ ما أنِسَتْ

(٢) أغْصانُ هَواكُمْ بِقلْبي غُرِسَتْ
مُنُّوا بِلقائِكُمْ وإلا يَبِسَتْ

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ١٦١ .

(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٦٢ .

(١١)

وقال (*) : (الكامل)

(١) اللَّهَ أسْألُ أنْ يُطَوِّلَ مُدَّتِي
لِأنَالَ بِالإنْعَامِ مَا فِي نِيَّتِي (١)

(٢) لِيَ هِمَّةٌ فِي العِلْمِ مَا مِنْ مِثْلِهَا
وهْيَ الَّتِي جَنِتِ النُّحول هِي الَّتِي

(٣) خُلِقَتْ مِنَ العِلْقِ العَظِيمِ إلَى المُنَى
دُعِيَتْ إلَى نَيلِ الْكَمَالِ فَلَبَّتِ (٢)

(٤) كَمْ كَانَ لِي مِنْ مَجْلِسٍ لَوْ شُبِّهَتْ
حَالَاتُهُ لتَشَبَّهَتْ بِالجَنَّةِ

(٥) أشْتَاقُهُ لَمَّا مَضَتْ أيَّامُهُ
عَلَلًا وتُعْذَرُ نَاقَةٌ إنْ حَنَّتِ (٣)

(*) قال أبو شامة بعد أن ذكر هذه الأبيات : "أظن هذه الأبيات نظمها فى أيام محنته ، إذ كان محبوسا بواسط ، فمعانيها دالة على ذلك" . الذيل على الروضتين ص ٢٥ .

(١) ذكر سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ٤٩٩/٨ ، البيت الأول فقط ، عند حديثه عن وفاة ابن الجوزى .

(٢) فى الذيل على طبقات الحنابلة : خلقت من الفلق . والعِلْق بالكسر : النفيس من كل شيء ، والجمع أعلاق . (الجوهرى : الصحاح) ١٥٣٠/٤ .

(٣) فى الذيل على الروضتين : عطلا وتعذر . وأعْلَلْتُ الإبل ، إذا أصْدَرْتَهَا قَبْلَ رِيِّهَا . (المصدر السابق) ١٧٧٣/٥ .

(٦) يَاهَلْ لِلَيْلاتٍ بِجَمْعٍ عَوْدَةٌ
أَمْ هَلْ عَلَى وَادِى مِنًى مِنْ نَظْرَةٍ (١)

(٧) قَدْ كَانَ أَحْلَى مِنْ تَصَارِيفِ الصِّبَا
ومِنْ الحَمَامِ مُغَنِّيًا فِى الأَيْكَةِ (٢)

(٨) فيهِ البَدِيْهَاتُ الَّتِى مانَالَها
خَلْقٌ بِغَيْرِ مُخَمَّرٍ ومُبَيَّتِ (٣)

(٩) بِرَجَاحَةٍ وفَصَاحَةٍ ومَلاحَةٍ
يَقْضِى لَهَا عَدْنَانُ بالعَرَبِيَّةِ

(١٠) وبَلاغَةٍ وبَرَاعَةٍ ويَرَاعَةٍ
ظَنَّ النُّبَاتِّى أنَّهَا لَمْ تَنْبُتِ (٤)

---

(١) فى الذيل على الروضتين : ياهل لليلات تقضت عوده .
والجمع : المزدلفة ، وهو المشعر ، سمى جمعا لاجتماع الناس به . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ١٦٣/٢ .

(٢) الأيكة : الأيك الشجر الملتف ، الواحدة أيكة (الجوهرى: الصحاح) ١٥٧٣/٤-١٥٧٤ .

(٣) فى الذيل على الروضتين : بغير تصبر ومبيت .
والتخمير : التغطية (الجوهرى : الصحاح) ٦٥٠/٢ .
وبَيَّتَ الشئ : أي قَدَّر . (المصدر السابق) ٢٤٥/١ .

(٤) اليراعة : الأَجَمَة ، وهى الشجر الكثيف الملتف ، والجمع أَجَمٌ وأُجُمٌ وأجامٌ وآجامٌ (المصدر السابق) ١٣/٨ . ١٢/٨ .
ولعله أراد بالنباتى : ابن نباتة الخطيب (٣٣٥-٣٧٤هـ) وكان مقدمًا فى الأدب وأشار الكثير من المؤرخين إلى أن خطبه لم يُعمل مثلها فى موضوعها .
انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٦/٣-١٥٨ ، الزركلى : الأعلام ٣٤٧/٣ .

(١١) وإشَارةٍ تُبْكِي الجُنَيدَ وصَحْبَه
في رِقَّةٍ مانَالَهَا ذو الرُّمَةِ (١)

التخريج :

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٥ .

(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٨ .

(٣) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٩-٣٠ .

(١) في الذيل على الروضتين : وإشارة تبلى الأديب وصحبه . الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز الصوفي (المتوفى ٢٩٧هـ) .
انظر في ترجمته : ابن الجوزي : صفة الصفوة ٢/٤١٦-٤٢٤
الزركلي : الأعلام ٢/١٤١ .
وذو الرُّمة : هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (٧٧ – ١١٧هـ) شاعر من فحول الطبقة الثانية في العصر الأموي ، قال أبو عمرو بن العلاء :"فتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بذي الرُّمة " .
انظر في ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/١١-١٧،
الزركلي : الأعلام ٥/١٢٤ .

(١٢)

وقال فى القناعة : (البسيط)

(١) إذَا قنَعْتَ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقُوتِ
أصْبَحْتَ فى النّاسِ حُرّا غيرَ مَمْقُوتِ (١)

(٢) ياقوتَ نفسى إذَا مادَرَّ خُلْفُكَ لى
فلسْتُ آسَى على دُرٍّ وياقوتِ (٢)

التخريج :

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . المجلد الرابع . الجزء الثانى ص ٢١٥-٢١٦ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣ .
(٣) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٩ .

(١) فى البداية والنهاية : بَقيتَ فى النّاس .
(٢) فى تاريخ ابن الفرات بعد : ياقوت نفسى بياض حتى بداية الشطر الثانى .

(١٣)

وقال : (الكامل)

(١) أحْيَا بِذكْرِكِ سَاعةً وأمُوتُ
لولا التَعَلُّلُ بالمُنَى لفَنِيتُ

التخريج :

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٣ .

قافية الدال

(١٤)

وقال (*) : (الوافر)

(١) قِفِى ثُمّ اخْبِرِيْنَا يَاسُعادُ
بِذَنْب الطّرْف لِمْ سُلب الفؤادُ

(٢) وأىّ قضيةٍ حَكَمْتِ إذا مَا
جَنى زَيْدٌ بِه عمْروٌ يُقادُ (١)

(٣) يُعادُ حَدِيثُكمْ فيَزِيدُ حُسْنًا
وقدْ يُسْتَحْسَنُ الشّىءُ المُعادُ

التخريج :
اليافعى : مرآة الجنان ٤٩١/٣ .

(*) ذكر اليافعى أن الخليفة غضب على إنسان من حاشيته ، وحينما أراد معاقبته هرب ، فأخذ أخاه بدلاً منه وصادر أمواله ، فشكى المصادَر إلى ابن الجوزى فأجابه بقوله : إذا انقضى مجلس وعظى فقم قدّامى حتى تذكرنى . وكان الخليفة يسمع وعظه من وراء ستر .
فلما انقضى المجلس قام الرجل المصادَر ، فلما رآه ابن الجوزى أنشد الأبيات السابقة ، معرّضا بكون البرىء لايؤخذ بذنب المذنب ، ومحرّضا الخليفة على العدل والإحسان ، وأن يعاد المال المأخوذ من ذلك الإنسان .
فلما انتهى من قول تلك الأبيات ، قال الخليفة من وراء الستر يعاد ، يعنى المال ، فأعيد إلى ذلك الشخص ماله
انظر : مرآة الجنان ٤٩٠/٣-٤٩١ .

(١) هكذا .

(١٥)

وقال واعظا : (الرجز)

(١) يانادبا أطلال كل نادى
وباكيا فى إثر كل حادى

(٢) مستلب القلب بحب غادة
غدت فإن البين بالفؤاد (١)

(٣) مهلا فما اللذات إلا خدع
كأنها طيف خيال غادى

(٤) أين المحب؟ الحبيب بعدا
وأنذرا من بعد بالبعاد (٢)

(٥) فكل جمع فإلى تفرق
وكل باق فإلى نفاد

(٦) مواعظ بليغة فيالها
مواعظ وارية الزناد (٣)

التخريج :

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٥ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٧-٢٨ .

(١) الغيد : النعومة . يقال امرأة غيداء وغادة أيضا ، أى ناعمة بينة الغيد (الجوهرى : الصحاح) ٢/٥١٧ .

(٢) هكذا .

(٣) ورى الزند بالفتح يرى وريا ، إذا خرجت ناره . وفيه لغة أخرى : ورى الزند يرى بالكسر فيهما (المصدر السابق) ٦/٢٥٢٢ .
والزند : هو العود الذى يقدح به النار ، وهو الأعلى . والزندة : السفلى ، فيها ثقب وهى الأنثى ، فإذا اجتمعا قيل : زندان والجمع زناد وأزند وأزناد . (المصدر السابق) ٢/٤٨١ .

(١٦)

وقال مادحا :(*) (الرجز)

(١) وانْحَازَ عِلْمُ الكُلِّ فاعْلَمْهُ إلَى
القَاضِي أبِي يَعْلَى عَلَى السَّدَادِ (١)

(٢) كَانَتْ عُلُومُ أحْمَدٍ كأحْرُفٍ
مُفترِقَاتٍ لاتَرَى مِن هَادِ

(٣) فَضَمَّهَا بِعِلْمِهِ فأصْبَحَتْ
قَوْلاً مُفِيدَ الأمْرِ فِي الإيرَادِ

(٤) وَصَحْبَهُ لاتَنْسَهُمْ فَإنَّهُمْ
كَانُوا كَنُورِ البَدْرِ فِي السَّوَادِ

(٥) ولابْنِهِ وابْنِ ابْنِهِ فَضَائِلٌ
بِفَضْلِهَا تَمْلأُ كُلَّ نَادِ

(*) ذكر مؤلف المنهج الأحمد قبل هذه الأبيات ، البيت الأول من المقطوعة (١٥) :
يَانَادِبًا أطلالَ كلِّ نَادِي وبَاكِيًا فِي إثْرِ كلِّ حَادِي
ثم قال :"وساقها بكمالها وفيها بعد ذكر أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه" . ثم ذكر هذه الأبيات فلعلها جزء من المقطوعة السابقة ، وإن كان يبدو أن هنالك فاصلاً مفقودًا من الأبيات الشعرية بينهما ، مما أدى إلى إنعدام الترابط بينهما .

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفَرّاء القاضي الكبير أبو يَعْلَى (٣٨٠ - ٤٥٧هـ) إمام الحنابلة في وقته .
انظر في ترجمته : ابن الجوزي : المنتظم ٨/٢٤٣-٢٤٤ ، العليمي : المنهج الأحمد ٢/١٢٨-١٤٢ .

(٦) عِتْرَتُهُ تَشَابَهَتْ أَبْعَاضُهَا
وهكذا خالصة الأولادِ

(٧) فَفَخْرُهُمْ يَنْطِقُ عَنْهُ عِلْمُهُمْ
بِأَلْسُنٍ قَوَاضِبٍ حِدَادِ

(٨) إِنَّ أَبَا يَعْلَى غَدَا كَجَدِّهِ
فاعْجَبْ لِقِسْمِ الجَوْهَرِ المفْرَادِ (١)

(٩) مَهْلاً فَلَوْ كُنْتُ أَرَى تَنَاسُخًا
لَقُلْتُ : هذا ذاكَ باعْتِقَادِ

التخريج :
أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي : المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ١٤٢/٢ .

(١) هو أبو يَعْلَى الصغير ، حفيدُ أبى يَعلَى الكبير ، وسيأتى ذكره فى المقطوعة (٦٤) .

(١٧)

وقال : (دوبيت)

(١) مَا أشْوَقَنِي إلَى نَسِيمِ الرَّنْدِ
يَشْفِي سَقَمِي إذَا أتَى مِنْ نَجْدِ (١)

(٢) والشِّيحُ فإنَّه مُثِيرُ الوَجْدِ
شَوْقِي شَوْقٌ لَهُ ووَجْدِي وَجْدِي (٢)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ١٦٢ .

(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٦١ .

(١) الرَّنْد : شجر طيب الرائحة .
وفي الرسالتين : يشفى كبدى .

(٢) الشِّيحُ : نبات سهلى يُتخذ من بعضه المكانس ، وهو من الأمْرَار ، له رائحة طيبة وطعم مرٌّ . (ابن منظور : لسان العرب) ٥٠٢/٢ .
والبيت الثانى غير موجود فى الرسالتين .

(١٨)

وقال واعظا : (الكامل)

(١) أمّا الشّباب فظلمة للمهتدى
وبه ضلال الجاهل المتمرد

(٢) فاقمعه بالصبر الجميل ودم على الصـ
ـوم الطويل فإنّه كالمبرد (١)

(٣) واكفف لسانك عن فضول كلامه
واحفظه حفظ الجوهر المتبدد

(٤) واغضض لحاظك عن حرام واقتنع
بحلال ماحملت تحمد فى غد

(٥) ودع الصبى فالله يحمد صابرا
يانفس هذا موسم فتزودى

(٦) ليس الذى ترك الذنوب مشيبا
كالتاركيها وقت شعر أسود

(٧) فافرح إذا جاهدت نفسك صابرا
ياصاح صح فىالناريانار اخمدى

(٨) اغنم مديحة يوسف فى صبره
واحذر تعجل آدم فى المبتدى

---

(١) قمعته وأقمعته بمعنى : قهرته وأذللته ، فانقمع (ابن منظور : لسان العرب) ٢٩٤/٨ .
والمبرد هنا من قولهم هذا الشىء بردة للبدن أى يذهب ماأصابه من حر . انظر (ابن منظور : لسان العرب) ٨٣/٣
والمراد أن الصوم يخفف من وطأة الشعور بالطاقة .

(٩) لَوْلَا اجْتِبَاهُ لَكَانَ شَيْئًا فَاضِحًا
حقًّا فَيَالَكَ مِنْ حَزِينٍ مُكْمَدِ (١)

(١٠) اسْمَعْ أُخَيَّ وَصِيَّةً مِنْ نَاصِحٍ
لاتتْرُكَنْهَافِي الْمَسَاءِ وفِي الغَدِ

(١١) واحْذَرْ يَرَاكَ إِلَهُنَا فِي زَلَّةٍ
إِنَّ الإِلَهَ لِمَنْ عَصَى بِالمِرْصَدِ (٢)

(١٢) يَاأيُّها العَاصِي إِلَى كَمْ فِي الهَوَى
واللَّهْوِ مَاتَخْشَى مَقَامَ المَوْعِدِ

(١٣) الصَّبْرُ عَنْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ تَوْبَةٌ
فاثْبُتْ وغَالِطْ شَهْوَةً لَمْ تَرْقُدِ

(١٤) تُحْمَدْ هُنَاكَ إِذَا هَوَاكَ تَرَكْتَهُ
يَاسَعْدُ تَسْعَدْ بِالْمَعَاشِ الأَرْغَدِ

(١٥) إِنْ شِئْتَ نَيْلَ الفَخْرِ فاصْبِرْ واصْطَبِرْ
إِنَّ المفَاخِرَ فِي الطَّرِيقِ الأبْعَدِ

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ، المنشورة فى كتاب : التحفة البهية والطرفة الشهية ص ٦٠-٦١ .

(١) الكمد هو تغير اللون وذهاب صفائه وبقاء أثره (ابن منظور : لسان العرب) ٣٨٠/٣ .
(٢) المرصد : الراصد بالشىء : الراقب له (المصدر السابق) ١٧٧/٣ .

(١٩)

وقال :(*) (المنسرح)

(١) أيْنَ فُؤادِى أذابَهُ البُعْدُ ؟
وأيْنَ قَلْبِى أمَا صَحَا بَعْدُ ؟

(٢) حَدَا بِذِكْرِ العَقِيقِ سَائِقُهُ
فَطَارَ شَوْقًا بِلُبِّهِ الوَجْدُ (١)

(٣) جِسْمٌ بِبَغْدَادَ لَيْسَ تَصْحَبُهُ
رُوحٌ ، ورُوحٌ يَضُمُّهَا نَجْدُ

(٤) يَا لَفُؤادٍ مَا يَسْتَرِيحُ مِنَ الكَرْ
بِ لَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ وَقْدُ (٢)

(٥) آهٍ لِعَيْشٍ قَدْ كُنْتُ أصْحَبُهُ
لَوْ كَانَ يَوْمًا لِفَائِتٍ رَدُّ

(٦) أرُوحُ فِى حُبِّكُمْ وَوَاقَلَقِى
وَهَكَذَا أشْتَكِى إذَا أغْدُو

(*) ذكر ابن جبير فى رحلته ص ٢٠٩ ، بيتين فقط من هذه القطعة وهما : الأول والثامن .
وروایة البیت الأول :
أين فؤادى أذابه الوجد ..... فما صحا بعد
ورواية الشطر الثانى من البيت الثامن :
بالله قل لى فديت ياسعد

(١) العقيق : تقول العرب لكل مسيل ماءٍ شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسّعه عقيق ، وفى بلاد العرب أربعة أعقّة ومنها عقيقٌ عارضٌ باليمامة ، وعقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٤/١٣٨-١٣٩.

(٢) الوقْدُ : نفس النار (ابن منظور : لسان العرب) ٣/٤٦٥ .

(٧) كُلُّ زَمَانِى جَزْرٌ عَنِ الوَصْلِ أَشْكُو
هُ فَهَلَّا تَنَاوَبَ المَدُّ

(٨) يَاسَعْدَ زِدْنِى جَوىً بِذِكْرِهِمْ
يَاسَعْدُ قُلْ لِى فَدَيْتُ يَاسَعْدُ (١)

(٩) بَلِّغْهُمْ مَا أُجِنُّ مِنْ حُرَقٍ
وَقُلْ وَحَدِّثْ بِبَعْضِ مَايَبْدُو (٢)

(١٠) وقُلْ رَأَيْتُ الأَسِيرَ فِى قَلَقٍ
وقَالَ لِى حُرْمَةٌ وَلِى عَهْدُ

(١١) ثُمَّ فَسَلِّمْ والأَمْرُ أَمْرُهُمْ
يَقُولُ مَوْلَى وَيَصْمُتُ العَبْدُ

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ١٥٣ .

(١) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن (ابن منظور لسان العرب) ١٤/١٥٧ .
(٢) فى المدهش : مايدو ، وهو تحريف .

(٢٠)

وقال فى الوعظ : (الخفيف)

(١) قدْ رأيْتَ المَشِيبَ نورا تَبَدَّى
نوَّرَ الطرقَ ثمَّ ما إنْ تَعَدَّى

(٢) إنَّ نَوْرَ الشَّباب عاريةٌ عنـ
ـدِى فجاءَ المُعِيرُ حتَّى استردَّا

(٣) جاءنِى ناصِحٌ أتانِى نذيرٌ
ببيَاضٍ أرَانِى الأمْرَ جِدَّا

(٤) دَعْ حديثَ الصِّبَى ورَامةَ والغَوْ
رَ ونجْدًا يَاسَعْدُ واسْعَ لِسَعْدَى (١)

(٥) ثمَّ خَلِّى حديثَ ليْلى ونُعْمٍ
ومَسَاعٍ وكلثمٍ دعْ دَعْدَا

(٦) وتزوّدْ زادَ الشِّتاءِ فقدْ فا
تَ رَبيعٌ ضيّعتَ فيهِ الوِرْدَا

(٧) قِفْ على البابِ سائِلا عفْوَ مولا
كَ فما أنْ يَزَالُ يرحَمُ عبْدَا

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص ٦٢ .

(١) رأم : هو جبل باليمامة تقطع منه الأرجاء ، وهو يعترض مطلع اليمامة ، حيث يحول بينها وبين يبرين والبحرين والدهناء . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ١٦/٣-١٧ .
والغَوْر : المنخفض من الأرض ، وقال الزجاج : الغور أصله ماتداخل وماهبط فمن ذلك غَوْر تهامة . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٢١٦/٤ .

(٢١)

وقال :   (دوبيت)

(١) قَدْ كُنْتُ مَعَ الدُّنُوِ أُخْفِي وَجْدِي
لايَعْلَمُ غَيْرُ خَالِقِي مَاعِنْدِي

(٢) حتَّى هَطَلَتْ سُحُبُ دَوَاعِي الْبُعْدِ
وَيْلِي فَبِمَنْ عَلَى الهَوَى اسْتَعْدِي

التخريج :
السبتي : رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت ص ١٧٣ .

(٢٢)

وقال يجيب سائلا سأله (*) : (السريع)

(١) يَاذا الّذِى ذَابَ مِن الوَجْدِ
وَظَلَّ فِى ضُرٍّ وفِى جَهْدِ

(٢) إسْمَعْ فَدَتْكَ النَّفْسُ مِنْ نَاصِحٍ
بِنُصْحِهِ يهْدِى إلى الرُّشْدِ

(٣) لَوْ صَحَّ مِنْكَ العِشْقُ مَاجِئْتَنِى
تَسْأَلُنِى عَنْهُ وَتَسْتَعْدِى

(٤) فَالعَاشِقُ الصَّادِقُ فِى حُبِّهِ
مَابَالُهُ يَسْأَلُ مَاعِنْدِى

(٥) غَيَّبَهُ العِشْقُ فَمَا إنْ يُرَى
يُعِيدُ فِى العِشْقِ ولَايُبْدِى

(٦) وَكُلُّ مَاتَذْكُرُ مُسْتَفْتِيًا
حَرَّمَهُ اللّهُ علَى العَبْدِ

(*) وكان ابن الجوزي قد سئل بالأبيات التالية :

(١) يَاأيُّهَا العَالِمُ مَاذا تَرَى
فِى عَاشِقٍ ذَابَ من الوجْدِ

(٢) مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ أغْيَدٍ أهْيَفٍ
سَهْلِ المُحَيّا حسن القدّ

(٣) فَهَلْ تَرَى تَقْبِيلَهُ جَائِزًا
فى الفَمِّ والعَيْنَيْنِ والخَدّ

(٤) مِنْ غَيْرِ مَافُحْشٍ ولاريبةٍ
بَلْ بِعِنَاقٍ جَائِزِ الحَدّ

(٥) إنْ كُنْتَ مَاتُفْتِي فإنّى إذًا
أصِيحُ مِنْ وَجْدِى وأسْتَعْدِى

(٧) إلاَ لِمَا حَلَّلَه رَبُّنَا
فِي الشَّرْعِ بِالإبْرَامِ والعَقْدِ
(٨) فَعَدِّ مِنْ طُرْقِ الهَوَى مُعْرِضًا
وَقِفْ بِبَابِ الوَاحِدِ الفَرْدِ
(٩) وَسَلْهُ يَشْفِيكَ ولايَبْتَلِي
قَلْبَكَ بالتَّعْذِيبِ والصَّدِّ
(١٠) وَعِفَّ فِي العِشْقِ ولاتُبْدِهِ
واصْبِرْ وكَاتِمْ غَايَةَ الجُهْدِ
(١١) فإنْ تَمُتْ مُحْتَسِبًا صَابِرًا
تَفُزْ غَدًا فِي جَنَّةِ الخُلْدِ

التخريج :
ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ١٥١-١٥٢ .

(٢٣)

(المنسرح)

وقال :

(١) عِشْتُ وظِلُّ الشَّبَابِ مَمْدُود
والغُصْنُ يَهتزّ والصَّبا رَود (١)

(٢) وأقبلَ الشَّيْبُ فِي عَساكِرِه
بِيْضٌ فغابَتْ عَساكِرٌ سُود

(٣) قدْ مَيَّسَ الغُصْنَ فِي نَضارتِه
لكنَّه بعدَ أنْ ذوتْ عُود

(٤) وجاءَكَ الموتُ فانتظِرْه وذا العُمـ
ـرُ يَسيرٌ والسَّيْرُ مَعْدود

(٥) لابُدَّ مِنْ مَزْعَجٍ على غَرَرٍ
هيهاتَ بابُ البقاءِ مَسْدُود (٢)

(٦) تَرْحَلُ عنْ كُلِّ ماتخلِّفُه
ويأكلُ الجِسمَ فِي البِلَى الدُّود

(٧) نعمْ ويَمْحو الثَّرى محاسنَه
لاتعرفُ البِيضُ فيهِ والسُّود

(٨) والسَّمعُ قدْ صمَّ عنْ مواعظِه
والجهلُ فاشٍ والقلبُ جلْمود (٣)

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص ٦٢ .

(١) رادت الريح ترود رودا ورؤودا وروادانا : جالت ، والمراد أن ريح الصبا مواتية . انظر (ابن منظور : لسان العرب) ١٨٨/٣ .
(٢) غرر : غفلة (المصدر السابق) ١٣/٥ .
(٣) الجلمود : الصخر (المصدر السابق) ١٢٩/٣ .

قافية الراء

(٢٤)

وقال : (الوافر)

(١) غُرِرْنَا بالشَّبَابِ المُسْتَعَارِ
وَقُمْنَا بالمَشِيبِ عَنِ الخِمَارِ

(٢) أنَارَ لنَا المَشِيبُ سَبِيلَ رُشْدٍ
ونَدَّمَنَا على خَلْعِ العِذَارِ (١)

(٣) فَوَا أسَفِي على عُمْرٍ تَوَلَّتْ
لَذَاذَتُهُ وأبْقَتْ قُبْحَ عَارِ

(٤) فنَحْنُ اليَوْمَ نَبْكِي مافَعَلْنَا
وكَيْفَ وكَمْ وَقَعْنَا فِي خَسَارِ

(٥) ولَيْسَ لنَا سِوَى حُزْنٍ وخَوْفٍ
ونَدْبٍ فِي خُضُوعٍ وانْكِسَارِ

(٦) تَعَالَوا نَبْكِ مَاقَدْ كَانَ مِنَّا
وقُومُوا فِي الدَّيَاجِي باعْتِذَارِ (٢)

(٧) ومَاشَيءٌ لِمَحْوِ الذَّنْبِ أوْلَى
مِنَ الأحْزَانِ والدَّمْعِ الغِزَارِ

---

(١) يقال للمنهمك في الغيّ : خلع عِذاره (الجوهري : الصحاح) ٢/٧٣٩ .

(٢) الدياجي : سواد الليل مع غيم (ابن منظور : لسان العرب) ١٤/٢٤٩ .

(٨) ستدرى يامفرط صدق قولى
إذا غودرت فى بطن المحارى

(٩) وخلاك الصديق أسير قفر
ترافقك الندامة فى القفار

(١٠) وقد فازوا بما حازوا جميعا
وأنت رهين ذل وافتقار

(١١) فخذ حذرا وزادا تكتفيه
لرحلته إلى تلك الديار

(١٢) "تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار" (١)

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص ٦٣-٦٤ .

(١) العرار : أبهار البر ، وهو نبت طيب الريح (ابن منظور : لسان العرب) ٥٦٠/٤ .
والبيت بكامله مقتبس ، وهو من شعر الصمة بن عبد الله القشيرى (المتوفى ٩٥هـ) انظر ديوانه ص ٧٨ .

(٢٥)

وقال : (دوبيت)

(١) الحبُّ يَقُولُ : لاتُشِعْ أسْرارِى

والدَّمْعُ يسيلُ هاتِكاً أسْتارِى

(٢) والشَّوقُ يَزيدُ ، لاَعلى المِقْدَارِ

وانارِى مِنْ هذا الهوى ، وَآنارِى (١)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٤٥٢ .
(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٠ .

(١) فى المدهش :
فَالشَّوق يَزيدُنى علَى المقْدارِ
وآنارِى إذَنْ مِنَ الهوى وآنارِى

(٢٦)

وقال يجيب بعض السّائلين : (البسيط)

(١) لاتَسْألونِيَ إلاّ عَنْ أواخِرِهِمْ

فَأوّلُ الرَّكْبِ ماعِنْدِى لَهُ خَبَرُ

التخريج :
ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ٤/١٦٦-١٦٧

(*) وقع النزاع بين السُّنة والشيعة فى تحديد أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يحتكمون إلى ابن الجوزى ، الذى كان يحاول صرفهم بلطف عن الاشتغال بهذه المسائل التى لاتعود عليهم إلا بالصراع والفُرقة ، وكان مما أجابهم به البيت السابق ، وانظر مزيداً من ذلك فى أجوبته النادرة فى الباب الأول .

(٢٧)

وقال : (دوبيت)

(١) أفْنَى عَدَدِى عَدُّ لَيَالِى الهَجْرِ
كَمْ أصْبِرُ قَدْ قَلَّ لَدَىَّ صَبْرِى

(٢) قَدْ طَالَ عَلَىَّ يَاعَذُولِى دَهْرِى
فَاليَوْمُ يَمُرُّ بِى كَألْفِ شَهر

التخريج :
السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٣ .

(٢٨)

وقال : (دوبيت)

(١) ما أصْنَعُ؟ هكذا جرَى المقْدُورْ
الخَيْرُ لِغَيْرِى وأنَا المكْسُورْ

(٢) مأسُورُ هَوًى مُتَيَّمٌ مهْجُورْ
هلْ يُمْكِنُ أنْ يُغَيِّرَ المسْطُورْ

التخريج :
السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٣ .

(٢٩)

وقال : (*) (الطويل)

(١) سَلامٌ عَلَى الدَّارِ الَّتِي لانَزُورُهَا
عَلَى أنَّ هذا القَلْبَ فِيهَا أسيرُهَا

(٢) إذَا مَاذكرْنَا طِيبَ أيَّامِنَا بِهَا
توقَّدَ فِي نَفْسِ الذَّكُورِ سَعِيرُهَا (١)

(٣) رَحلْنَا وفِي سِرِّ الفُؤادِ ضَمائِرٌ
إذا هَبَّ نَجْدِيُّ الصَّبَا يَسْتَثِيرُهَا

(٤) مَحَتْ بَعْدَكُمْ تِلْكَ العُيونَ دُموعُهَا
فَهلْ مِنْ عيونٍ بَعْدَهَا نَسْتَعِيرُهَا (٢)

(٥) أتَنْسَى رِيَاضَ الرَّوضِ بَعْدَ فِراقِهَا
وَقَدْ أخذ المِيثَاقَ مِنْكَ غَدِيرُهَا (٣)

(٦) يُجَعِّدُهُ مَرُّ الشَّمَالِ وتَارةً
يُغَازِلُهُ كَرُّ الصَّبَا ومُرُورُهَا

(*) فى المدهش أحد عشر بيتًا فقط ـ من غير أن ينسبها لنفسه ـ بنقص البيت الأول والثانى وتقدم الرابع على الثالث ، وفى تاريخ ابن الفرات أحد عشر بيتا أيضا بنقص البيت السادس والسابع .

(١) فى تاريخ ابن الفرات : فى نفسى الذعور .

(٢) فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين : سحت . (ابن منظور : لسان العرب) ٢/٨٩.

(٣) فى المدهش : أتنسى رياض الغور .

(٧) ألاَ هَلْ إلى شَمِّ الْخُزَامَى وعَرْعَرٍ
وَشِيحٍ بِوَادِي الاثْلِ أرْضٍ نَسِيرُهَا (١)

(٨) ألاَ أيُّهَا الرَّكْبُ العِرَاقِي بَلِّغُوا
رِسَالَةَ مَحْزُونٍ حَواهُ سُطُورُهَا (٢)

(٩) إذَا كَتَبَتْ أنْفَاسُهُ بَعْضَ وَجْدِهَا
عَلَى صَفْحَةِ الذِّكْرَى مَحَاهُ زَفِيرُهَا

(١٠) تَرَفَّقْ رَفِيقِي ، هَلْ بَدَتْ نَارُ أرْضِهِمْ ؟
أمِ الوَجْدُ يُذْكِي نَارَهُ وَيُثِيرُهَا ؟

(١١) أعِدْ ذِكْرَهُمْ فَهْوَ الشِّفَاءُ ورُبَّمَا
شَفَى النَّفْسَ أمْرٌ ثُمَّ عَادَ يَضِيرُهَا

(١٢) ألاَ أيْنَ أيَّامُ الوِصَالِ الَّتِي خَلَتْ ؟
وَحَيْثُ حَلَتْ خَلَتْ وجَاءَ مَرِيرُهَا (٣)

(١٣) سَقَى اللَّهُ أيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيًا
تَضَوَّعَ رَيَّاهَا وفَاحَ عَبِيرُهَا (٤)

التخريج :

(١) ابن الجوزي : المدهش ص ٤٣٤ (بدون عزو) .
(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . المجلد الرابع . الجزء الثاني ص ٢١٦
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٣-٤٢٤ .
(٤) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٥-٢٦ .

(١) العَرْعَر : شجر يقال له الساسم ، ويقال له الشِّيرى ، وهو شجر يُعمل به القطران ، ويقال أيضا : هو شجر عظيم جَبَلِّي لايزال أخضر تسميه الفرس السَّرْو . (ابن منظور : لسان العرب) ٥٦٠/٤ ..
(٢) في تاريخ ابن الفرات : رسالة محروق .
(٣) في المدهش أزمان بدلاً من أيام وجاء الشطر الثاني :
خلا ماحلا منها وجاء مريرها
وجاء البيت في تاريخ ابن الفرات :
ألا إنّ أزمانَ الوصال التي خلت   وحين خلت ....
(٤) في تاريخ ابن الفرات : بياض في بداية الشطر الثاني حتى : وفاح عبيرها .

قافية السين

(٣٠)

وقال واعظا :(*) (البسيط)

(١) تَبْنِي وتجمعُ والآثارُ تندرسُ
وتأملُ اللبثَ والأرواحُ تختلسُ (١)

(٢) ذا اللبّ فكرْ فما للخلدِ منْ طمعٍ
لابدَّ ماينتهي أمرٌ وينعكِسُ (٢)

(٣) أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ
كانوا إذا النّاسُ قاموا هيبةً جلسوا ؟

(٤) ومَنْ سيوفهمُ في كلِّ معركةٍ
تخشى ودونهمُ الحجّابُ والحرسُ (٣)

(٥) أضحوا بمهلكةٍ في وسْطِ معركةٍ
صرْعَى،ومَاشي الورَى مِنْ فوقهمْ يطِسُ (٤)

(٦) وعمّهمْ حدثٌ إذْ ضمّهمْ جدثٌ
باتوا وهمْ خشبٌ في الرّمسِ قدحبسوا (٥)

(*) قال محقق كتاب تحفة الواعظ لابن الجوزى : إن هذه القصيدة فى المدهش منسوبة لابن الجوزى - ماعدا البيتين ٩،٥ ، فهما مما انفرد به هذا الكتاب - غير أن هذه الأبيات ليست معزوة إليه فى المدهش ، وذلك فى الطبعة التى اعتمدت عليها ، وإن كان مضمون القصيدة ونسقها يرجحان صحة نسبتها إليه .

(١) تختلس : الخلس : الأخذ فى نهزة ومخاتلة . (ابن منظور لسان العرب) ٦٥/٦ .

(٢) فى المدهش : فما فى الخلد من طمع .

(٣) فى المدهش : فى كل معترك .

(٤) فى المدهش : موتى بدلا من صرعى . الوطس : الوطء والضرب الشديد بالخف . انظر (ابن منظور : لسان العرب) ٢٥٦/٦ .

(٥) فى المدهش : وهم جثث فى الرمس . والرمس : تراب القبر (الجوهرى : الصحاح) ٩٣٦/٣ .

(٧) كَأنَّهُمْ قطُّ مَاكَانُوا ولاخُلِقُوا
وَمَاتَ ذِكرهم بَيْنَ الوَرَى ونُسُوا

(٨) تَاللَّهِ لو نَظَرَتْ عيناكَ مَاصَنَعَتْ
يَدُ البِلَى بِهِمْ والدُّودُ يفترِسُ (١)

(٩) لعاينتَ مَنْظرًا تشجى القُلُوبُ لَهُ
وأبْصَرتَ منكرًا مِنْ دُونِهِ النُّكُسُ (٢)

(١٠) مِنْ أوْجُهٍ نَاضِرَاتٍ حَارَ نَاظِرُهَا
فى رَوْنَقِ الحُسْنِ مِنْهَا كيفَ تلتمسُ (٣)

(١١) وأعْظُمٍ بَالِيَاتٍ مَالَهَا رَمَقٌ
وليْسَ تَبْقَى وهَذَا وهْىَ تنتهسُ (٤)

(١٢) والسُنٍ نَاطِقَاتٍ زَانَهَا أدبٌ
مَاشَأنَهَا شَانَهَا بِالآفَةِ الخَرَسُ ؟

(١٣) ثَلَثْهُمُ السُّنُّ لِلدَّهْرِ فَاغِرَةٌ
فَاهَا فَتَاهَا لَهُمْ إذْبِالرَّدَى رَكِسُوا (٥)

(١٤) عَرَوا من الوشِي لمَّا ألبِسُوا حُلَلًا
مِنَ الرُّكَامِ على أجْسَادِهِمْ وَكُسُوا (٦)

---

(١) فى المدهش : والله .
(٢) نكس الرجل إذا ضعف وعجز ، قال تعالى : { ومن نعمره ننكسه فى الخلق } سورة يس : ٦٨ . (ابن منظور : لسان العرب) ٢٤٢/٦ .
(٣) فى المدهش : من أوجه ناظرات ... كيف تنطمس .
(٤) فى المدهش : مابها رمق . والنهس : القبض على اللحم ونتره ، ونهس الطعام : تناول منه ، ونهسته الحية : عضته . والشين لغة . (ابن منظور : لسان العرب)٢٤٤/٦ .
(٥) ثل الدار هدمها وثل : هلك وتثلل البناء تهدم . انظر (المصدر السابق) ٩٠/١١-٩١ .
والركس : قلب الشىء على رأسه أو رد أوله على آخره انظر المصدر السابق ١٠٠/٦ .
(٦) فى المدهش : من الرغام . والركام : الرمل المتراكم ، وكذلك السحاب وماأشبهه ، وفى التنزيل العزيز : { ثم جعله ركاما } . سورة النور : ٤٣ . يعنى السحاب . (ابن منظور : لسان العرب) ٢٥١/١٢ . والمقصود هنا الرمل والتراب المجموع .

(١٥) وصارَ لِبْسُ الصَفَايا مِن حلائِلِهِم
جُونَ الثِّيَابِ وقدماً زانها الورسُ (١)

(١٦) حتَّامَ يَاذا النُّهَى لاتَرْعَوِي سَفَهاً
ودمعُ عينِكَ لايَهْمِي ويَنْبَجِسُ (٢)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ . نشر فى مجلة المورد . المجلد الثالث . العدد الثالث ١٩٧٤م ، ص ١٧٩-١٨٠ .

(٢) ابن الجوزى : المدهش ص ٤٧٧-٤٧٨ (بدون عزو) .

(١) الصفايا : أى المختارات من نسائهم .
والجون : الأسود المُشْرَب حمرة ، وقيل : هو النبات الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته . (ابن منظور : لسان العرب) ١١/١٣ .
والوَرْس : نبت أصفر . (المصدر السابق) ٢٥٤/٦ .
المراد أن أولئك النساء أصبح لبسهن السواد بعد الملابس الملونة .

(٢) ذو النهى : ذو العقل ، لاترعوى : لاترتدع . ينبجس : البجس : انشقاق فى قِرْبة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء . قال تعالى : { فانْبَجَسَتْ منه اثنتا عَشَرَةَ عيناً } سورة الأعراف : ١٦٠ . (المصدر السابق) ٢٤/٦ .

قافية الضاد

(٣١)

وقال : (الكامل)

(١) عَبَرتْ بِرِيحِكُمُ الصَّبَا سَحَرًا
فَارْتَاحَ قَلْبِى المُدْنَفُ الحَرِضُ (١)

(٢) مَالِى أرَاكِ سَقيمَةً بِهِمُ
يَارِيحُ عِنْدِى لابِكِ المرضُ

(٣) أتْبَعْتُهَا نَفْسًا أشَيِّعُهَا
فَإذا جُرُوحُ القَلبِ تَنْتَقِضُ (٢)

(٤) قِفْ صَاحِبِى إنْ كُنْتَ تُسْعِدُنِى
عِنْدَ الكَثِيبِ فَثَمَّ لِى غَرَضُ (٣)

(٥) وانْشُدْ فُؤادِى عِنْدَ كاظِمَةٍ
فِى كُلِّ رَكْبٍ رَاحَ يَعْتَرِضُ (٤)

---

(١) المدْنف : الدَّنَف : المرض اللازم المخامر ، وقيل هو المرض مهما كان . (ابن منظور : لسان العرب) ١٠٧/٩ . الحرِضُ : يقال أحرضه المرض فهو حَرِضٌ وحارِضٌ ، إذا أفسد بدنه وأشفى على الهلاك . وحَرَضَ يحْرِضُ ويحْرَضُ حرْضا وحرُوضا هلك . (المصدر السابق) ١٣٤/٧ .

(٢) تنتقض : يقال انتقض الجرح بعد البُرْء ، وانتقض الأمر بعد التئامه . (المصدر السابق) ٢٢٣/٧ .

(٣) الكثيب : تلال الرمل وفى القرآن الكريم { وكانَتْ الجبالُ كثيبا مَهِيلاً } . سورة المزمل : ١٤ . (المصدر السابق) ٧٠٢/١ .

(٤) كاظمة : على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٤٣١/٤ .

(٦) أشْكُو وَمِنِّى مُبْتَدَى ألَمِى
عَيْنِى رَمَتْ وفُؤادِى الغَرَضُ

(٧) فَرضُوا عَلَى الأجْفَانِ إذْ هَجَرُوا
لاتَلْتَقِى فاصْبِرْ ، لِمَا فَرَضُوا

(٨) كَيْفَ اصْطِبَارِى بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ
يَاجِيرَةً مَاعَنْهُمْ عِوَضُ

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٣٦٢ .

(٣٢)

وقال يخاطب الخليفة بعد اطلاق سراحه : (السريع)

(١) لَاتَعْطِشْ الرَّوْضَ الَّذِى نَبْتُهُ
بِصَوْبِ انْعَامِكَ قَدْ رَوَّضَا (١)

(٢) لَاتَبْرِ عُوْدًا أنْتَ قَدْ رِشْتَهُ
حَاشَى لِبَانِى الْمَجْدِ أنْ يَنْقضَا (٢)

(٣) إنْ كَانَ لِى ذَنْبٌ قَدْ اجْتَنَيْتَهُ
فَاسْتَأنِفْ الْعَفْوَوَهَبْ لِى الرِّضَا

(٤) قَدْ كُنْتُ أرجوكَ لِنَيْلِ الْمُنَى
فَالْيَوْمَ لا أطْلُبُ إلاَّ الرِّضَا (٣)

التخريج :

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠/١٣ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٢ .

(١) فى البداية والنهاية وأخبار الظراف : بنيته ولايستقيم معها معنى البيت والوزن أيضا .

(٢) لاتبْرِ : أى لاتهزل . (ابن منظور : لسان العرب) ٧١/١٤ .

(٣) فى البداية والنهاية : لاأطالب ، ولايستقيم معها معنى البيت والوزن أيضا .

(٣٣)

وقال : (الطويل)

(١) أشَيْبٌ وعَيْبٌ إنَّ ذا لبَغِيضُ
سَوادُ صِحَافٍ والغَرائِزُ بِيضُ

(٢) كَنَاثِرَةٍ لِلَهْوِ والضَّعْفُ زائِدٌ
وجِسْمٌ سَقِيمٌ ذائِبٌ ومَهِيضُ (١)

(٣) يَرِيضُ مِنَ الضَّعْفِ الَّذِى أذْهَبَ القُوَى
وحَقَّ لِهَذا أنْ يُقالَ مَرِيضُ (٢)

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص ٦٤ .

(١) مهيضٌ : هاض الشىء هيضًا كسره ، وهاض العظمَ يهيضه هيضًا فانْهاض : كسره بعد الجبور أو بعدما كاد ينجبر ، فهو مهيض . (ابن منظور : لسان العرب) ٢٤٩/٧ .

(٢) يريض . فى حديث أمِّ معبد : فدعا بإناءٍ يُرِيض الرهط أى يُرْويهم بعض الرِّىّ ، من أراض الحوض إذا صُبَّ فيه الماء مايوارى أرضه . وجاءنا بإناءٍ يريض كذا وكذا رجلا .
(المصدر السابق) ١٦٤/٧ .
وهو هنا بمعنى : ينهل من الضعف .

قافية العين

(٣٤)

وقال واعظا : (الرجز)

(١) يَاهَلْ يعودُ مَامَضَى لِى راجعًا ؟
أمْ هَلْ أرَى نُجومَهْ لوامِعًا ؟

(٢) إذَا تَذكَّرْتُ زَمانًا مَاضِيًا
جَدَّدَ حُزْنًا أنْقَضَ الأضَالِعَا

(٣) مَالِلشُّموسِ قدْ بَدَتْ أوافِلاَ ؟
وطَالَمَا رأيْتُهَا طوالِعَا

(٤) كانَ الصِّبَى لَهْوًا عجِيبًا حَالُهْ
يَاسُرْعَانَ مافطَمَتْ رَاضِعَا

(٥) بَادِرْ بِذَا البَاقِى وأدْرِكْ مامَضَى
لعَلَّ مايَبْقَى يكونُ نَافِعَا

(٦) ياحَسْرَتَى علَى زمَان قَدْ مضَى
وذَهَبَتْ أيَامُهْ ضَوائِعَا

التخريج :
ابن الجوزى : رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص ٦٢ .

(٣٥)

وقال (*) : (السريع)

(١) يَاصَاحِبِى إنْ كُنْتَ لِى أوْ مَعِى
فَعُدْ إلَى رَوْضِ الحِمَى نَرْتَعِ (١)

(٢) حَيِّ كَثِيبَ الرَّمْلِ ، رَمْلِ الحِمَى
وَقِفْ وَسَلِّمْ لِى عَلَى لَعْلَعِ (٢)

(٣) وَسَلْ عَنِ الوَادِى وأرْبَابِهِ
وانْشُدْ فُؤادِى فِى رُبَى المَجْمَعِ (٣)

(٤) وابْكِ فَمَا فِى العَيْنِ مِنْ فَضْلَةٍ
ونُبْ فَدَتْكَ النَّفْسُ عَنْ مَدْمَعِى

(٥) واسْمَعْ حَدِيثًا قَدْ رَوتْهُ الصَّبَا
تُسْنِدُهُ عَنْ بَانَةِ الأجْرَعِ (٤)

(*) جاءت الأبيات فى المدهش دون أن ينسبها ابن الجوزى إلى نفسه ، وفى النجوم الزاهرة وأخبار الظراف والمتماجنين خمسة أبيات فقط من هذه المقطوعة ، وهى الأول ، والثالث ، والثانى ، والخامس ، والرابع ، بتقدم الثالث على الثانى ، والخامس على الرابع .

(١) فى النجوم الزاهرة وأخبار الظراف : فعج إلى وادى الحمى .

(٢) لعلع : منزل بين البصرة والكوفة ، وقيل جبل كانت فيه وقعة ، وقيل : ماء فى البادية . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٥/١٨-١٩ .

(٣) فى النجوم الزاهرة وأخبار الظراف : وسل عن الوادى وسكانه .

(٤) الأجْرَع : الأجْرَعين : بلفظ التثنية . عَلَمٌ لموضع باليمامة . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ١٠٢/١ .

(٦) وانْزِلْ عَلَى الشِّيحِ بِوَادِيهِمْ
وَاشْمُمْ عَشِيبَ البَلَدِ البَلْقَعِ (١)

(٧) بَلِّغْ تَحيَّاتِي إِلَى رَبْعِهِمْ
وقُلْ دِيارَ الظَّاعِنينَ اسْمَعِي

(٨) رِفْقًا بِنِضْوٍ قدْ بَرَاهُ الأسَى
يَاعَاذِلِي لَوْ كَانَ قَلْبِي مَعِي (٢)

(٩) لَهَفِي على طيبِ لَيالٍ خلتْ
عُودِي تَعودِي مُدْنَفًا قدْ نُعِي

(١٠) إذا تذكَّرْتُ زَمَانًا مَضَى
فَوَيْحَ أجْفَانِي مِنْ أدْمُعِي

(١١) أرَاجِعٌ لِي وَصْلُهُمْ بَعْدَهَا ؟
يَانَفْسُ إِنْ لَمْ يَصِلُوا وَدِّعِي

(١٢) يانَفْسُ كمْ أتْلُو حَدِيثَ المُنَى
ضَاعَ زَمانِي بالمُنَى فاقْطعِي

(١٣) ياقَلْبُ لاتَسْكُنْ عَلَى بُعْدِهِمْ
وأنْتِ ياعَيْنُ فَلا تَهْجَعِي

التخريج :
(١) ابن الجوزي : المدهش ص ٤٨٨ (بدون عزو) .
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٧٦/٦ .
(٣) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٢ .

(١) البلقع : الأرض القفر التي لاشيء فيها ، أو الأرض التي لاشجر بها ، تكون في الرمل وفي القيعان . (ابن منظور : لسان العرب) ٢١/٨ .
(٢) النضو : الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها . (ابن منظور : لسان العرب) ٣٣٠/١٥ .
براه : براه السفر يبريه بريا : هزله . (المصدر السابق) ٧١/١٤ .

قافية الفاء

(٣٦)

وقال : (دوبيت)

(١) النَّاسُ مِن الـهَوَى عَلَى أصْنَافِ
هَذَا نَقَضَ العَهْدَ وَهَذَا وَافِ

(٢) هَيْهَاتَ مِنَ الكُدُورِ تَبْغِي الصَّافِي
لايَصْلُحُ لِلْحَضرَةِ قَلْبٌ جَافِ (١)

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٣٨٥ .

(١) ذكر السبتى فى رسالتيه الفريدتين فى عروض الدوبيت ص ١٦٩ . المصرع الأول من البيت الثانى فقط :
هيهات من الكدور تبغى الصافى

(٣٧)

وقال : (دوبيت)

(١) ما أذْكُرُ عَيْشَنا الَّذِى قَدْ سَلَفَا
إلاَّ رَجَفَ القَلْبُ وكَمْ قَدْ رَجَفَا

(٢) قَدْ كَانَ حَلاَ عَيْشِى حِيناً وَصَفَا
فَالآنَ زَمَانِى قَدْ تَقَضَّى أسَفَا

التخريج :
السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٠ .

قافية القاف

(٣٨)

وقال :(*) (الطويل)

(١) رَأيْتُ خَيَالَ الظِّلِ أعْظَمَ عِبْـرَةً
لِمَنْ كانَ فِى أوْجِ الحَقِيقَةِ رَاقِ

(٢) شُخُوصٌ وأشْكَالٌ تَمُرُّ وَتَنْقَضِى
وتَفْنَى جَمِيعًا والمُحَرِّكُ بَاقِ

التخريج :

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٦/٦ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٣ .

(*) ذكر الأستاذ عبد السلام هارون هذين البيتين ، عند حديثه عن خيال الظل، وهو الأصل الأول للسينما المعاصرة حيث قال :
"ومن أقدم النصوص التى سجلت فيها هذه الظاهرة ، قول ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ أى منذ ثمانية قرون.."
كناشة النوادر القسم الأول ص ٩ .

(٣٩)

وقال فى الزُّهد : (مجزوء الكامل)

(١) يَاسَاكِنَ الدُّنْيَا تَأَهَّـ ـبْ وانْتَظِرْ يَوْمَ الفِرَاقِ

(٢) وأعِـدَّ زَادًا للرَّحِيـ ـلِ فَسَوفَ يُحْدَى بالرِّفَاقِ

(٣) وابْكِ الرُّبُوعَ بَأدْمُـعٍ تَنْهَلُّ مِنْ سُحْبِ المَـآقِ (١)

(٤) يَامَنْ أضَـاعَ زَمَانَـهُ أرَضِيتَ مايَفْنَى بِبَـاقِ؟!

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٢٨ (بدون عزو) .
(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٢ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .
(٤) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٨ .

(١) المآق : مؤخرة العين ، وقيل مقدمتها . (ابن منظور : لسان العرب) ٣٣٥/١٠ .

(٤٠)

وقال : (دوبيت)

كَمْ أصْبحُ وَالِهًا وأمْسِي قَلِقَا
والحُزْنُ وقلْبِي قَلَّ مَا يفْترِقا
مِنْ بعْدِ الصَّفَاءِ عَادَ عَيْشِي رَنِقَا
كَمْ يَصْبِرُ قَلْبِي لَيْتَهُ مَاخُلِقَا (١)

* * *

قَدْ ذَابَ مِنَ الهَمِّ وأمْسَى غَلِقَا (٢)   يَامَالِكَ رِقِّي كَمْ أقَاسِي الأرَقَا
فَارْحَمْ وَمُرِ الجفُونَ أنْ تَنْطَبِقَا

التخريج :
السبتي : رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت ص ١٧٠-١٧١

(١) رَنِقَا : أي كدر . (ابن منظور : لسان العرب) ١٠/١٢٧ .
(٢) غلق : غلق الرهن في يد المرتهن فهو غلق أي استحقه المرتهن . انظر (المصدر السابق) ١٠/٢٩٢ .

قافية الكاف

(٤١)

وقال مرّة أمام المستضيء العباسي (*) : (الوافر)

(١) سَتَنْقُلُكَ المَنَايَا عَنْ دِيَارِكْ
وَيُبْدِ لَكَ الرَّدَى دَارًا بِدَارِكْ

(٢) وَتَتْرُكُ مَاعُنِيتَ بِهِ زَمَانًا
وَتَنْقُلُ مِنْ غِنَاكَ إِلَى افْتِقَارِكْ

(٣) فَدُودُ القَبْرِ فِي عَيْنَيْكَ يَرْعَى
وَتَرْعَى عَيْنُ غَيْرِكَ فِي دِيَارِكْ

التخريج :

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٩-٤١٠ .

(٢) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٣ .

(*) تحدث ابن رجب عن وقع هذه الأبيات في نفس المستضيء بالله ، فقال :
"فجعل المستضيء يمشي في قصره ، ويقول : أي والله : وترعى عين غيرك في ديارك ، ويكررها ويبكي حتى الليل"
الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤١٠ .

قافية اللام

(٤٢)

بعث ابن الجوزى هذه الأبيات إلى بغداد فى أثناء محنته:

(المواليا) (١)

(١) مَالِى ومَالِى ومَالِى تَغَيَّرَتْ أحْوَالِى

(٢) لَقِيتُ مَالايَكِيفْ ولايَدورُ ببَالِى

* * *

(٣) يابَيْتَ عَبْدِ القَادِرْ كُنْتُمْ نَتِيجِى فِى القَفَا (٢)

(٤) مَامِثْلُهُمْ يَحْسُدْنِى وَلاهُمْ أمْثَالِى

* * *

(٥) هُمْ هُمْ هُمْ نَفْسِى وَضَيَّقُوا فِى حَبْسِى

(٦) وَمَزَّقُوا كُتْبَ دَرْسِى عَمْدًا وهُمْ رأسُ مَالِى

* * *

---

(١) المواليا : فن من فنون الشعر وضع للغناء ، وكان يتغنى به العبيد والغلمان لسهولته ، وكانوا يقولون فى آخر كل صوت : ياموالیا ، إشارة إلى أسيادهم ، ثم طوره البغداديون ، وقيل إن أول من قال فيه هم بعض أتباع البرامكة بعد نكبتهم .
انظر : سليمان صائغ الموصلى : تاريخ الموصل ٢/٨٢ ، السيد أحمد الهاشمى :ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) يقصد بيت الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى . انظر قمة محنته فى الباب الأول .

(٧) لَيْتَ ألفَ عِنْدِي (؟)	بَاتُوا يبْكُونَ مِمَّا
(٨) جرَى ثلاثِمائةْ مصنّفْ	مَالاكَهَا الغزالي (١)

* * *

(٩) لو أنْ يَسْلَمْ يرفَعْ	إلَى الإمامِ لَوقَعْ
(١٠) منْ حِينْ ماكانْ يسمَعْ	بِقِصَّتِي قدْ رَثَالِي

* * *

التخريج :
سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٤٤٠ .

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥هـ) حجة الاسلام ، ذكر ابن خلكان أنه لم يكن للشافعية فى آخر عصره مثله .
انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : المنتظم ٩/١٦٨-١٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٢١٦-٢١٩ ، الزركلى : الأعلام ٧/٢٢-٢٣ .

(٤٣)

وقال : (مجزوء الدوبيت)

(١) هِجْرانُك قاتِلِى سَرِيعًا والهَجْرُ مِن الحبِيبِ قاتِلْ (١)
(٢) إنْ كنْتَ نَسِيتَنِى فعِنْدِى شُغْلٌ بِك لايَزالُ شاغِلْ

* * *

(٣) قلْبِى يهْوَاك ليْتَ شِعرِى ما أنت بِذا المحبّ فاعِل؟
(٤) حقًّا قدْ قُلْتُ ياحبِيبِى قامَ على قوْلِى الدّلائِلْ

* * *

(٥) شَوْقٌ وجوًى ونارُ وَوجْدٌ تُذْكى بعظائم البَلابِلْ (٢)
(٦) سَائِلٌ دمْعِى فجفْنُ عيْنِى لايبْرَحْ بالبُكاءِ سَائِلْ

* * *

(٧) إنْ جَنَّ لِى اللّيْلُ ياحبِيبِى فَجنّةُ القلْبِ فِى الرّسَائِلْ
(٨) أبْكِى ماكَانَ مِنْ وِصَالْ والحُزْنُ تهيّجُهُ المنازِلْ

* * *

(٩) هذا خَدّى على ثَراكُمْ لا أبْرَحُهُ ولا أزايل
(١٠) إنْ انتَ طرَدْتَنِى فويْلِى بعْدَ الإعْرَاضِ منْ أوامِلْ ؟

* * *

(١١) كلاَّ والجُودُ لِى شَفِيعٌ والجُودُ مُقدّمُ الوسَائِلْ

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٦٤-٢٦٥ .
(٢) وذكر السبتى فى رسالتيه ص ١٦٢، ١٦٤ الأبيات الثلاثة الأولى ، والمصراع الأول من البيت الثامن .

(١) فى المدهش : من الجيب قاتل ، ويظهر أنه تصحيف .
(٢) فى المدهش : ونارُ وجد .
ويبدو أنه أراد بالبلابل البلبَلة والبلبال : أى الهمّ ووسواس الصدر . (الجوهرى : الصحاح) ٤/١٦٤٠ .

(٤٤)

وقال (*) : (الرجز)

(١) فِى شُغْلٍ عَنِ الرُّقَادِ شَاغِلِ
مَنْ هَاجَهُ البَرْقُ بِسَفْحِ عَاقِلِ (١)

(٢) يَاصَاحِبِى هَذِى رِيَاحُ رَبْعِهِمْ
قَدْ أَخْبَرَتْ شَمَائِلُ الشَّمَائِلِ (٢)

(٣) نَسِيمُهُمْ سُحَيْرِى الرِّيحِ فَمَا
تُشْبِهُهُ رَوَائِحُ الأَصَائِلِ (٣)

(٤) مَالِلصَّبَا مُولَعَةٌ بِذِى الصَّبَا
أو الصَّبا فوق الغَرَامِ القَاتِلِ (٤)

(*) فى الذيل على الروضتين ثمانية أبيات فقط ، بنقص البيت الثالث والسادس عن هذه المقطوعة مع تقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات .
وجاء فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين تسعة أبيات ، بنقص البيت الأول .

(١) ذكر ابن جبير فى رحلته ص ٢١٠ ، فى أثناء حديثه عن مجالس ابن الجوزى الوعظية بيتين من هذه المقطوعة ، وهما البيت الأول وبيت آخر ليس فى هذه المقطوعة ، وهو مما انفرد به :
يَاكَلِمَاتُ اللّهِ كُونِى عُوذَةً مِنَ العُيُونِ للإمَامِ الكَامِلِ
عاقل واد لبنى أبان بن دارم وقيل واد فى نجد . انظر (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٤/٦٨ .

(٢) فى الذيل على الروضتين : هذى ديار ربعهم .
وفى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين : هذى رياح أرضهم .

(٣) فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين : ماتشبهه .
سُحَيْرى : تصغير السحر ، وهو آخر الليل قبيل الصبح .
(ابن منظور : لسان العرب) ٤/٣٥٠ .

(٤) فى الذيل على الروضتين : أصبا فوق .
وفى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين : أو صبا فوق .

(٥) مَالِلْهَوَى العُذْرِى فِى دِيَارِنَا
أيْنَ العَذِيبُ مِنْ قُصُورِ بَابِلِ ؟ (١)

(٦) لاتطْلُبُوا ثَارًا بِنَا يَاقَوْمَنَا
دِمَاؤنَا فِى أذْرُعِ الرَّوَاحِلِ (٢)

(٧) لِلَّهِ دَرُّ العَيْشِ فِى ظِلالِهِمْ
وَلَّى وكمْ أسَارٍ فِى المَفَاصِلِ (٣)

(٨) وآطرَبِى إذَا رَأيْتُ أرْضَهُمْ
هَذَا وفِيهَا دَمِيتْ مَقَاتِلِى (٤)

(٩) يَاطُرَّةَ الشِّيحِ سُقَيْتِ أدْمُعِى
ولاابْتُلِيتِ فِى الهَوَى بِمَا بَلِى (٥)

---

(١) هذا البيت بمفرده ذكره سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ٤٩٣/٨ ، وفى الذيل على الروضتين : فى بلادنا بدلاً من ديارنا .
والعذيب : ماء لبنى تميم وهو بين القادسية ومغيثة .
(ابن منظور : لسان العرب) ٥٨٥/١ .
وبابل : اسم ناحية منها الكوفة والحِلّة . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٣٠٩/١ .

(٢) فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين :
لاتطلبوا ثاراتنا ياقومنا ديارنا فى أذرع .....

(٣) هكذا ، والإسار : القيد . (ابن منظور : لسان العرب) ١٩/٤ .

(٤) فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين : وفيها رميت مقاتلى .

(٥) فى الذيل على الروضتين : يابانة الشيح .
وفى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف والمتماجنين :
يادرة الشيح ... ولاابتليت بالهوى مسائلى
والطرّة : كُفة الثوب ، وهى جانبه الذى لاهدب له ، وطرة النهر والوادى شفيره ، وطرة كل شىء حرفه . (الجوهرى : الصحاح) ٧٢٤/٢-٧٢٥ .

(١٠) مَيْلُكِ عنْ زَهْوٍ ومَيْلِى عنْ أسًا
مَاطرَبُ المخْمُورِ مِثْلُ الثَّاكِلِ (١)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ١٩٦ .
(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٤ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٣/١ .
(٤) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٥ .

(١) فى الذيل على الروضتين : وميلى أسى .

(٤٥)

(دوبيت)

وقال :

(١) لا أقْبَلُ نُصْحَكُمْ فَخَلُّوا عَذْلِي
مَا أعْذَبَ فِي الغَرَامِ طَعْمَ القَتْلِ (١)

(٢) إنْ طُلَّ دَمِي فَكَمْ مُحِبٍ مِثْلِي
قَدْ ضُرِّجَ بِاللِّحَاظِ لا بِالنَّبْلِ (٢)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٠٩ .
(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٦٢ .

(١) فى الرسالتين : لا أسمع عذلكم فخلّوا عَذْلِي .
(٢) فى الرسالتين : فكم قتيلٍ مثلي .
إنْ طُلَّ دمى : أى أهدر . (الجوهرى : الصحاح) ١٧٥٢/٥ .

(٤٦)

وقال : (الرمل)

(١) قَدْ كَتمْتُ الحُبَّ حتَّى شَفَّنِى
وإذَا ماكتِمَ الدّاءُ قَتَلْ

(٢) بَيْنَ عيْنيْك علالاَتُ الكَرَى
فَدَعِ النّومَ لِرَبّاتِ الحَجَلْ (١)

التخريج :

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٤٩٣ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٢ .

(١) عُلالة : يقال لبقية اللبن فى الضّرع وبقية قوة الشيخ علالة . (ابن منظور : لسان العرب) ١١/٤٦٩ .
والمراد هنا : بين عينيك بقية من النوم .
الحجل : الحَجْل والحِجْل : الخلخال (ابن منظور : لسان العرب) ١١/١٤٥ .
والمراد بربات الحجل : النساء .

(٤٧)

(دوبيت)

وقال :

(١) مَالِى شُغْلٌ سِوَاهُ مَالِى شُغُلُ
مَايِصْرِفُ قَلْبِى عَنْ هَوَاهُ عَذَلُ (١)

(٢) ماأصْنَعُ إنْ جَفَا وخَابَ الأملُ ؟
مِنِّى بَدَلٌ ، ومِنْهُ مَالِى بَدَلُ

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٠٩ .

(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٠ .

(١) فى المدهش : مايصرف عن هواه قلبى عذل .
والعَذَلُ : اللائم . (الجوهرى : الصحاح) ١٧٦٢/٥ .

(٤٨)

(الكامل)

وقال مفتخراً :

(١) مَازِلْتُ أُدْرِكُ مَاغَلا بَلْ مَاعَلا
وأُكابِدُ النَّهْجَ العَسِيرَ الأطْوَلا

(٢) تَجْرِي بِيَ الآمالُ فِي حَلَبَاتِهِ
طَلْقَ السَّعِيدِ جرى مَدَى ما أمَّلا (١)

(٣) يُفْضِي بِيَ التَّوْفِيقُ فيه إلَى الَّذِي
أَعْمَى سِوَايَ تَوصُّلا وتَغَلْغُلا (٢)

(٤) لَوْ كَانَ هَذا العِلْمُ شَخْصاً نَاطِقاً
وسألْتُهُ : هل زَارَ مِثْلِي ؟ قَالَ:لا

التخريج :
(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٦٧/٩ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣ .
(٣) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٩ .

(١) في البداية والنهاية : جَرَى السَّعِيدُ مدى ما أمَّلا .
(٢) في البداية والنهاية :
أفضى بيَ التَّوفيقُ ... أعْيَا سِوايَ ....

(٤٩)

وقال : (مجزوء الرمل)

(١) يَاحَبِيْبَ الْقَلْبِ قُلْ لِى هَلْ تُرَى تَرْحَمْ ذُلِّى ؟

(٢) أمْ تُرَى تَكْسِرُ قَيْدِى أمْ تُرَى تَفْتَحُ غِلِّى (١)

(٣) قَدْ صَدَى قَلْبِى بِهَجْرٍ فَاجْلُهُ لِى بِالتَجَلِّى

(٤) واسْتُرْ النَّفْسَ فَهَذا مَوْسِمُ الْعُمْرِ مُوَلِّى

(٥) أنْتَ حَجِّى واعْتِمَارِى أنْتَ إِحْرَامِى وحِلِّى

التخريج :

(١) محيى الدين محمد بن عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى الحنفى المصرى : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٢٩٢/١-٢٩٣ .

(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣١ .

(١) فى الجواهر المضية : أمْ تَرَى تَفُكُّ قَيْدِى .

(٥٠)

(المديد)

وقال :

(١) وَدَّعُوا يَوْمَ النَّوَى واسْتَقَلُّوا
لَيْتَ شِعْرِى بَعْدَهَا أيْنَ حَلُّوا؟

(٢) يَانَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ إلَيْهِمْ
أنَّ عَقْدِى مَعَهُمْ لايُحَلُّ

(٣) لِى مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ انْتِهَالٌ
فَإذَا هَبَّتْ سُحَيْرًا فَعَلُّ

(٤) عَرَّضُوا قَلْبِى لِسُقْمٍ طَوِيلٍ
بَاطِنٍ يَظْهَرُ مِنْهُ الأقَلُّ

(٥) لَوْ بَكَتْ عَيْنِى عَلَى قَدْرِ وَجْدِى
صَارَ وَادِيهِمْ دَمًا لايَحِلُّ

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٤٢٢ .

(٥١)

وقال فى الخليفة المستضئ بالله حين حضر مجلس وعظه :

(المتقارب)

(١) أُعيذُكَ بالكلماتِ الَّتى
أُعيذُ بها كُلَّ مَنْ يكْمُلُ

(٢) فما وَسِعَ البَرُّ ماقدْ وَسِعْتَ
ولاحَمَلَ الطَّوْدُ ماتَحْمِلُ (١)

التخريج :
العماد الأصبهانى : خريدة القصر وجريدة العصر . الجزء الثالث . المجلد الأول ص ٢٦٢ .

(١) الطَّوْدُ : الجبل العظيم . (الجوهرى : الصحاح) ٢/٥٠٢ .

قافية الميم

(٥٢)

وقال : (الرمل)

(١) يابَريقَ الحَيِّ حُرِمْتُ المَنَامَا
فانْقَضَى اللّيلُ سُهَاداً وقِيَامَا

(٢) أتَرَى مَا قَدْ أرَى يَاصَاحِبِي
كَيْفَ والشَّوْقُ بِرُوحِي يَتَرَامَى

(٣) يَاسَقَى اللّهُ حِمَاهُمْ مُزْنَةً
حَلَبَتْ أشْطُرَهَا أيْدِي النَّعَامَى (١)

(٤) يَانَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ وأعِدْ
أنَّ نَفْسِي مَعَ أنْفَاسِ الخُزَامَى (٢)

(٥) آهٍ لَوْ عَادَ زَمَانِي بِهِمْ
عِنْدَ جَرْعَاءِ الحِمَى عَوْداً لِمَامَا (٣)

(٦) يَاليَالِينَا بِذِي الأثْلِ ارْجِعِي
أسَفاً لَوْ أنَّهُ يَشْفِي النَّدَامَا (٤)

---

(١) حَلَبَتْ أشطرَهَا : مأخوذ من المثل "احْلُبْ حَلَبًا لك شَطْرُه" وهو يضرب للرجل يعين صاحبه على أمر له فيه نصيب ، والشطر : النصف . (أبو هلال العسكرى : جمهرة الأمثال) ٧٤/١ .
والأشطر هنا الأخلاف على تشبيه المزنة بالناقة أو الدابة التى تحلب ، والنعامى ريح الجنوب . انظر (ابن منظور : لسان العرب) ٥٨٥/١٢ .

(٢) الخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح . (ابن منظور : لسان العرب) ١٧٦/١٢ .

(٣) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة ، تشاكل الرمل ، وقيل : هى الرملة السهلة المستوية ، وقيل هى الدعص لاتنبت شيئا . (المصدر السابق) ٤٦/٨ .

(٤) الأثل : شجر يشبه الطرفاء ، إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودا ، تسوى به الأقداح الصفر الجياد . (المصدر السابق) ١٠/١١ .

(٧) يَاصَاحِبِي بَلِّغُوا إِنْ جُزْتُمْ
بِنَقِّى الرَّمْلِ عَنِ الجِسْمِ السَّلامَا

(٨) إِنَّ قَلْبِي يَوْمَ طُفْنَا بِاللِّوَى
وَرَحَلْنَا عَنْهُ بِالْوَجْدِ أَقَامَا (١)

(٩) يَاغَرَامِي إِنْ شَدَتْ وَرْقٌ وَهَلْ
عَلَّمَ الوُرْقَ سِوَى وَجْدِى الغَرَامَا

(١٠) قَلَقِى فِي حُرَقِى مِنْ أَرَقِى
يَرْتَقِى بَلْ يَنْتَقِى مِنِّى العِظَامَا

(١١) طَرَبِي فِي كَرْبِي مِنْ حَرْبِي
رَجَعَ المَاءُ بِوَادِيهِمْ حَرَامَا

(١٢) لَوْ جَرَتْ عَيْنِي عَلَى قَدْرِ الأَسَى
رَجَعَ المَاءُ بِوَادِيهِمْ حَرَامَا

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٤٢٥ .

(١) اللِّوى : واد من أودية بنى سُليم . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٥/٢٣ .

(٥٣)

(مجزوء الرمل)

وقال :

(١) طَالَ لَيْلِى وَدَامَا … وَمُنِعْتُ المَنَامَا

(٢) وَجَدَ الوَجْدُ عِنْدِى … مُنْذُ بَانُوا مَقَامَا (١)

(٣) لَيْتَهُمْ حِينَ رَاحُوا … وَدَّعُوا مُسْتَهَامَا

(٤) سَارَ قَلْبِى وَجِسْمِى … لَمْ يَسِرْ بَلْ أقَامَا

(٥) لَسْتُ أدْرِى فُؤَادِى … إذْ غَدَوْا أيْنَ هَامَا (٢)

(٦) حُبُّهُمْ قُرَّةُ قَلْبِى … مُنْذُ كُنْتُ غُلامَا

(٧) حَمَلُوا ضُعْفَ قَلْبِى … يَذْبُلاً وَشَمَامَا (٣)

(٨) كَمْ رَمَوْنِى بِرَشْقٍ … وَأحَدُّوا سِهَامَا

(٩) مَالِعَيْنِى تَبْكِى … إنْ سَمِعَتْ حَمَامَا (٤)

(١٠) كُلَّمَا نَاحَ رَشَّتْ … فَظَنَنْتُ الغَمَامَا

(١١) هَلْ نَسِيمٌ لِكَرْبِى … أيْنَ رِيحُ الخُزَامَى

(١٢) هَجْرُكُمْ يَاحَبِيبِى … كَانَ مَوْتًا زُؤَامَا

(١٣) أكَلَ اللَّحْمَ مِنِّى … ثُمَّ أبْلَى العِظَامَا

(١٤) صَارَ لَيْلِى نَهَارًا … وَنَهَارِى ظَلامَا

---

(١) البين فى كلام العرب جاء على وجهين : يكون البَيْن الفُرْقَة ، ويكون الوَصْل ، بانَ يبين بينا ، وبينونة . وهو من الأضداد . (ابن منظور : لسان العرب) ٦٢/١٣ . وبانوا هنا بمعنى : فارقوا .

(٢) الهِيام : كالجنون فى العشق (المصدر السابق) ٦٢٦/١٢ .

(٣) يذبَل : جبل مشهور الذكر بنجد . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٤٣٣/٥ . شمام : اسم جبل لباهلة ، وله رأسان يسمَّيان ابنى شمام (المصدر السابق) ٣٦١/٣ .

(٤) فى المدهش : حمانا بالنون ، وهو تحريف .

(١٥) إنَّمَا بِتُّ أشْكُو — لَوْعَتِي والغَرَامَا
(١٦) فاعْذروا أوْ فَلُومُوا — مَا أُبَالِي المَلامَا
(١٧) أفْرِجُوا عَنْ طَرِيقِي — قَدْ خَلَعْتُ اللِّجَامَا
(١٨) وَرَمَيْتُ سِلاَحِي — وكشفْتُ اللِّثَامَا
(١٩) أسْعِدُونِي فَإنِّي — قَدْ فَنِيتُ سَقَامَا

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٣٦٦ .

(٥٤)

(دوبيت)

وقال :

(١) أبْكِي زَلَلِي واشْتَكِي آثَامِي
فِي سَفْكِ دَمِي تَقَدَّمتْ أقْدَامِي

(٢) ما أبْصَرْتُ إلاَّ والبِلاَ قُدَّامِي
ما أسْرَعَ ما أصَابَ قَلْبِي الرَّامِي (١)

التخريج :
(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٧٣ .
(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٠ .

(١) فى الرسالتين جاء المصراع الأول :
قد جرت فما أبصر ماقدامى

(٥٥)

وقال :(*) (مجزوء الدوبيت)

(١) الدَّمْعُ يَخُونُ كُلَّ كَاتِمْ والحُبُّ يُحَلِّلُ العَزَائِمْ
(٢) القَلْبُ بِحُبِّكُمْ لَدِيغْ مَا أقْلَقَنِى مِنَ الأرَاقِمْ (١)

* * *

(٣) والوَجْدُ يُغَالِبُ المُقَاوِمْ والسَّالِمُ فيه مَنْ يُسَالِمْ (٢)
(٤) هذا ولِعَيْنِ فِى هَوَاكُمْ سَلَّمْتُ لَكُمْ فَمَا أخَاصِمْ

* * *

(٥) سَالَتْ بِكُمْ دُمُوعُ عَيْنِى والدَّمْعُ بِمُقْلَتِى يُزَاحِمْ
(٦) أبْكِى أثَرَ الحَبِيْبِ كُرْهَا والحُزْنُ تَهَيُّجُهُ المَعَالِمْ

* * *

(٧) يَامَانِعَ مُقْلَتِى كَرَاهَا مَرَّ اللَّيْلُ ولَسْتُ نَائِمْ
(٨) قَدْ صُمْتُ عَنِ الهَوَى لأحْظَى فِى الحُبِّ لَكُمْ بِأجْرِ صَائِمْ

* * *

(٩) هَلْ يُبْذَلُ وِرْدُكُمْ لِظَامٍ حَيْرَانَ عَلَى الوُرُودِ حَائِمْ ؟
(١٠) نَاحَتْ فَزَجَرْتُهَا حَمَامٌ مَالِى تُزْعِجُنِى الحَمَائِمْ (٣)

* * *

(*) ذكر السبتى فى رسالتيه مايقارب من ستة أبيات من هذه المقطوعة ، وهى الأول ، والثالث ، والعاشر ، والحادى عشر ، والمصراع الثانى من البيت الثانى والسابع .

(١) ورواية المصراع الثانى فى الرسالتين :
فواقلبى من الأراقم
والأرقم : الحيّة التى فيها سواد وبياض . (الجوهرى : الصحاح) ١٩٣٦/٥ .

(٢) فى المدهش : والوجد يغالب المقاوى . وهو تحريف .

(٣) ورواية المصراع الثانى فى الرسالتين :
مالى قد أزعجتنى الحمائم

(١١) يَرْقيْنَ إلـى ذُرَى غُصُونٍ — أنَّى تَحْمِلُكَ القَوائِمْ ؟ (١)

(١٢) تَبْكِينَ ومَاشَجَاكِ شَوْقٌ — شَكْوَاكِ إذَا مِنَ العَظَائِمْ (٢)

*   *   *

(١٣) إنْ كُنْتِ صَدَقْتِ فَأسْعِدِينِى — لاتَسْمَعْ لَوْمَةَ اللَّوائِمْ

(١٤) طَارَتْ وبَقِيْتْ فِى ضَمَانِى — لاأبْرَحُ والزَّعِيمُ غَارِمْ (٣)

*   *   *

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٤٢١ .

(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٦٢-١٦٤، ١٦٧ .

(١) ورواية المصراع الثانى فى الرسالتين :
أنَّى نهضت بها القوادم

(٢) الشجن : الحزن . (الجوهرى : الصحاح) ٢١٤٣/٥ .

(٣) الزعيم : الكفيل . وفى الحديث :"الزعيم غارم" . (المصدر السابق) ١٩٤٢/٥ .

(٥٦)

بعث ابن الجوزى هذه الابيات إلى بغداد فى أثناء محنته : (الطويل)

(١) أحِبَّةَ قَلْبِى لوْ يُبَاعُ رُجُوعُكُمْ
عَلَيْنَا لَكُنَّا بالنُّفُوسِ فَدَيْنَاكُمْ

(٢) فلاتَحْسَبُوا أنِّى نَسِيتُ ودِادَكُمْ
وأنِّى وإنْ طَالَ المَدَى لسْتُ أنْسَاكُمْ

(٣) واسْألْ أنْفَاسَ الرِّيَاحِ لأنَّها
تَمُرُّ علَى أطْلَالِكُمْ وتَلْقَاكُمْ

(٤) قَضَى اللّهُ بالتَّفْرِيقِ بَيْنِى وبَيْنَكُمْ
فيَالَيْتَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَاعَرَفْنَاكُمْ

التخريج :
سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٣٩/٨ .

(٥٧)

وقال : (*)

(مجزوء الكامل)

(١) المَاءُ عِنْدِي قدْ طمَا	وأنَا الَّذِي أشْكُو الظَّمَا (١)
(٢) جِسْمِي مَعِي ، لكنَّ قَلْـ	بِي عِنْدَ سُكَّانِ الحِمَى
(٣) وآهًا لَهُمْ لَوْ أنَّهُمْ	عَادُوا وجَادُوا لِي فَمَا
(٤) أرْجُو نَوَالا مِنْهُمْ	هَيْهَاتَ هُمْ حُبِّي وَمَا
(٥) مَيْلِي إلَى غَيْرِ الأوْلَى	سَكنُوا فُؤادِي إنَّمَا
(٦) أشْكُو إلَيْهِمْ مِنْهُمُ	كَلْمًا يَزِيدُ وكُلَّمَا
(٧) هَجَرُوا تَفَاقَمَ أمرُهُمْ	يَالَيْتَهُمْ دَاوَوا كمَا
(٨) جَرحُوا فَلَو طَبُّوا شَفَوا	هَيْهَاتَ لَوْلاهُمْ لَمَا
(٩) ذهَبَ الزَّمَانُ بأنْ أقُو	لَ عَسَى وأرْجُو رُبَّمَا
(١٠) يَا أيُّهَا المُضْنَى بِهِمْ	لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوى الذَّمَا (٢)
(١١) فالذِّمَا كَانَ الوِمَا	لُ فَعَادَ مَرًّا عَلْقَمَا
(١٢) تَركُوكَ بعْدَ فِرَاقِهِمْ	مُتَحيِّرًا تَبْكِي دَمَا
(١٣) يابَانَةَ الوادِي ارْحَمِي	مَنْ لايَزَالُ مُتَيَّمَا (٣)

(*) ذكر صاحب الخريدة خمسة أبيات من هذه المقطوعة ، وهي الأبيات : ١٥،١٤،١٣،٢،١ .

(١) طما الماء : ارتفع وعلا وملأ النهر . (ابن منظور : لسان العرب) ١٥/١٥ .
الظما : الظمأ حذفت همزته للقافية .

(٢) الذَّما : بقية الروح في المذبوح . (المصدر السابق) ١٤/٢٨٩ .

(٣) المتيَّمُ : العاشق الذي استعبده الحب وذهب بعقله .

(١٤) يَانَسْمَةَ الرِّيحِ الشَّمَا ل ،ألا ابْلِغيهِمْ بعضَ مَا (١)
(١٥) القَى فَحرٌّ سَمَائِم الـ أنْفَاسِ يَكْفِي مُعْلِمَا (٢)
(١٦) نفْسِي تُكابِدُ وجْدَهَا بِكُمْ فمَا فَغَرتْ فَمَا
(١٧) لَكِنَّ آثَارَ المَحَبَّـ ـةِ لَيْسَ تَخْفَى أيْنَمَا

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٤٠٨-٤٠٩ .
(٢) العماد الأصبهانى : خريدة القصر وجريدة العصر . الجزء الثالث . المجلد الأول ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(١) فى الخريدة : يانفحة الرّيح ... ألااخبريهم بعض ما .
(٢) فى الخريدة : ... بحرِّ سمائم الأشواق تشجى مغرما .
والسمائم : جمع السَّموم . بفتح السين ، وهى الريح الحارة ، والحر الشديد النافذ فى المسامّ . وفى القرآن الكريم : { وأصْحَابُ الشِمالِ مَا أصْحَابُ الشِمالِ . فى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ } . سورة الواقعة : ٤١-٤٢ .
انظر حاشية الخريدة ، (الجوهرى : الصحاح) ١٩٥٤/٥ .

(٥٨)

وقال يعظ نفسه : (الرجز)

(١) يَاوَيْحَ نَفْسٍ رَضِيَتْ بالسَّقَمِ
وفَرَّطَتْ فِي عُمُرٍ مُنْصَرِمِ

(٢) تَسْتُرُ بِاللَّهْوِ وتَنْسَى حَتْفَهَا
وتُؤْثِرُ البُعْدَ عَلَى التَّقَدُّمِ

(٣) وكُلَّمَا أصْبَحَتْ أبْكِي فِعْلَهَا
أضْحَتْ عِنَادًا لِي فِي تَبَسُّمِ

(٤) تفْرَحُ بِالفَانِي فَمَا تَطْلُبُ مَا
يَبْقَى لهَا فَمَنْ يَكُونُ حَكَمِي ؟

(٥) أقولُ يَانَفْسُ اتَّقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ
مَعْرُوفُهُ يَفُوقُ وكْفَ الدِّيَمِ (١)

(٦) كَمْ مِنْ ذُنُوبٍ لَكِ قَدْ سَتَرَّهَا
وعَادَ بِالفَضْلِ وبِالتَّكَرُّمِ

(٧) وكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا
وكَمْ وكَمْ أوْلاكِ طِيبَ أنْعُمِ

(٨) كَمْ وَاعِظٍ فِي كُلِّ يومٍ زَاجِرٍ
وكَمْ نَذِيرٍ زَائِرٍ مُسَلِّمِ

(٩) وكَمْ يُنَادِيكِ لِسَانُ عِبْرَةٍ
وأنْتِ عنْ قَوْلِ الهُدَى فِي صَمَمِ

---

(١) وَكْفَ : أى قطر . (الجوهرى : الصحاح) ١٤٤١/٤ .
والدِّيم : الدِّيمة من المطر الذى لارعد فيه ولابرق ، تدوم يومها ، والجمع دِيم . (ابن منظور : لسان العرب) ٢١٣/١٢ .

(١٠) أيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا واحْترَسُوا ؟
وأيْنَ مَنْ كانَ كَثِيرَ النِّعَمِ ؟

(١١) مَضَى الجَمِيعُ هَلْ تَرَى مِنْ أثَرٍ
لَهُمْ ؟ وصَارُوا فِى بُيُوتِ الظُّلَمِ
(١٢) تَبَدَّلُوا بالتُّرْبِ تُرْبًا كُلُّهُمْ
فِى قَعْرِ لَحْدٍ ضَيِّقٍ مُنْهَدِمِ
(١٣) تَفَصَّلَتْ عِظَامُهُمْ وحُصِّلَتْ
أعْمَالُهُمْ وأصْبَحُوا كَالعَدَمِ
(١٤) وبَاشَرُوا التُّرابَ بَعْدَ تَرَفٍ
وشَرَفٍ وحُجُبٍ وخَدَمِ
(١٥) وسُرُرٍ ودُرَرٍ وطُرَفٍ
وتُحَفٍ وصَوْلَةٍ وكَرَمِ
(١٦) ولَذَّةٍ فِى شَهْوَةٍ لَذِيذَةٍ
وعِزَّةٍ فِى عَزْمَةٍ وهِمَمِ
(١٧) لَوْقِيلَ قُولُوا :ماهُنَاكُمْ ؟طَلَبُوا
حَيَاةَ يَوْمٍ لِيَتُوبُوا فاعْلَمِ
(١٨) ويْحَكِ يَانَفْسُ ألا تَيَقُّظٌ
يَنْفَعُ قَبْلَ أنْ تَزِلَّ قَدَمِى
(١٩) مَضَى الزَّمانُ فِى تَوانٍ وهَوَى
فاسْتَدْرِكِى ماقَدْ بَقِى واغْتَنِمِى
(٢٠) انْتَظِرِى المَوْتَ سيَأتِى بَغْتَةً
وأنْتِ بَيْنَ أسَفٍ ونَدَمِ

(٢١) وحُرْقٍ وفَرَقٍ وحَسْرَةٍ
وفَيْضِ دَمْعِ العيْنِ فى تَسْجُمِ (١)

(٢٢) وترَحّلِينَ عنْ دِيارِ أُلْفَةٍ
فانْتَبِهى مِنْ رَقَدَاتِ النَّوْمِ

(٢٣) مَنْ لِى إذَا نَزلْتُ لحْدًا مُظْلِمًا
هذا وكَمْ مِنْ نَازِلٍ لمْ يَسْلَمِ

(٢٤) مَنْ لِى إذا قَرَأتْ مَا أمْلَيْتُهْ
أقْبَحَ مسْطُورٍ جَرَى بِالقلَمِ

(٢٥) منْ لِى إذَا أُزْعِجَ قَلْبِى حَسْرَةً
وهَلْ تَرَى يُشْفَى بِفَوْزِى ألَمِى ؟

(٢٦) كَيْفَ الخَلاصُ والكِتَابُ قَدْ حَوَى
كُلَّ فَعَالِى وجَمِيعَ كَلِمِى

(٢٧) يانَفْسُ فَازَ الصَالِحُونَ بِالتُّقَى
فأبْصَروا الرُّشْدَ وقَلْبِى قدْ عَمِى

(٢٨) ياحُسْنُهُمْ واللّيْلُ قَدْ جَنَّهُمْ
ونُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الأنْجُمِ

(٢٩) ترَنَّمُوا بالذِّكْرِ فِى لَيْلِهِمْ
فعَيْشُهُمْ قدْ طَابَ بالتَّرنُّمِ

(٣٠) قُلُوبُهمْ لِلذِّكْرِ قَدْ تفرَّغَتْ
دُموعُهمْ كَلُؤْلُؤٍ مُنْتظَمِ

---

(١) الفرَق بالتحريك : الخوف . (الجوهرى : الصحاح) ١٥٤١/٤ وسجَمَتْ العَيْنُ الدمعَ ، والسحابةُ الماء تَسْجِمُهُ وتسجُمه سَجْمًا وسُجُوما وسجمانًا : وهو قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا . (ابن منظور : لسان العرب) ٢٨٠/١٢ .

(٣١) أسحارُهُمْ بِهِمْ لَهُمْ قَدْ أشْرَقَتْ
وخُلَعُ الغُفْرانِ خَيْرُ القِسَمِ

(٣٢) سَارُوا وأوْعَدْتُ عنْ طَرِيقٍ واضِحٍ
دَلَّ عَلَى الرُّشْدِ دَلِيْلُ العِلَمِ

(٣٣) دعْنِى أبْكِى مَاحَيِيْتُ أبَدًا
فحَقَّ لِى أبْكِى فَلَا تَلُمِ

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٥١٣-٥١٤ .

(٥٩)

سأله سائل فأجاب ، فقال السائل : مافهمت ، فأنشد ابن الجوزى :

(البسيط)

(١) عَلَىَّ نَصْبُ المَعَانِى فِى مَنَاصِبِهَا
فإنْ كَبَتْ دُونَهَا الأفْهَامُ لَمْ أُلَمِ (١)

التخريج :
ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١ .

(١) ومعني هذا البيت سبق إليه البحترى ، حين قال :
عَلَىَّ نَحْتُ القَوافِى مِنْ مَقَاطِعِهَا
ومَاعَلَىَّ لَهم أنْ تَفْهَمَ البَقَرُ
انظر ديوان البحترى ٩٥٥/٢ .
كَبَتْ : أى قصرت عن الوصول إليها،من كبا يكبو كبوة انظر (ابن منظور : لسان العرب ٢١٣/١٥ .

(٦٠)

وقال : (مجزوء الرمل)

(١) تَمَلَّكُوا واحْتَكَمُوا ... وصَارَ قَلْبِى لَهُمُ

(٢) تَصَرَّفُوا فِى مُلْكِهِمْ ... فَلاَ يُقَالُ : ظَلَمُوا

(٣) إنْ وَاصَلُوا مُحِبَّهُمْ ... أوْ قَطَعُوا فَهُمْ هُمُ (١)

(٤) اصْبِرْ لِمَا شَاءُوا ... وإنْ سَاءَ الَّذِى حَكَمُوا (٢)

(٥) يَا أرْضَ سَّلْعٍ خَبِّرِى ... وحَدِّثِينِى عَنْهُمُ (٣)

(٦) يَالَيْتَ شِعْرِى إذْ حَدَوا ... أأنْجَدُوا أمْ أتْهَمُوا ؟ (٤)

(٧) تَبْكِيهِمْ أرْضُ مِنًى ... وتَشْتَكِيهِمْ زَمْزَمُ (٥)

(٨) مَا ضَرَّهُمْ حِينَ سَرَوْا ... لَوْ وَقَفُوا فَسَلَّمُوا (٦)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٧٦ (من غير عزو) .
(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٤-٢٥ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٤-٤٢٥ .
(٤) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٧ .

(١) فى المدهش : لهم هم .
(٢) هذا البيت غير موجود فى المدهش ، وجاء فى الذيل على الروضتين :
اصْبِرْ عَلَى ماشَاءُوا ... شَاءَ الَّذِى قَدْ حَكَمُوا
(٣) فى المدهش : أخبرى بدلاً من خبِّرى .
والسَّلْعُ : نبات وقيل شجر مُرّ .
(ابن منظور : لسان العرب) ٨/١٦١ .
(٤) جاء هذا البيت فى المدهش متأخرًا فى الترتيب ، يتقدمه البيت الذى يليه ، ورواية الشطر الأول منه :
ياليت شعرى إذ غدوا .
(٥) فى الذيل على طبقات الحنابلة وأخبار الظراف :
تَشْتَاقُهُمْ أرضُ منى ... وفى الذيل على الروضتين :
تَشْتَاقُهُمْ أرْضُ مِنًى ... ومكةُ وزَمْزَمُ
(٦) هذا البيت مما انفرد به كتاب المدهش .

قافية النون

(٦١)

وقال يمدح الخليفة المستضىء بالله : (الرجز)

(١) يَاسَيِّدَ الخَلْقِ وعَيْنَ الأكْوَانْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ العَظِيمِ السُّلْطَانْ

(٢) يَاشَمْسَ جُودٍ نُورُهَا فِى البُلْدَانْ
يَابَدْرُ تَمٍّ لاعَنْ نُقْصَانْ

(٣) ظهَرْتَ لِلْخَلْقِ ظُهُورَ البُرْهَانْ
عَاشَتْ بِهِ أرْوَاحُ أهْلِ الإيقَانْ

(٤) زِيْنَ بِكَ البَرُّ وزَيَّنْتَ أوْطَانْ
مِدْتَ القُلُوبَ حِينْ صَادُوا الغِزْلَانْ

(٥) بِحِلْمِكَ الوَافِرِ بَلْ بِالإحْسَانْ
والكُشْكُ قَدْ جَلَّ فَبَذَّ الإيوَانْ (١)

(٦) هَذَا عَلَى التَّوْحِيدِ وضْعَ البُنْيَانْ
وذَاكَ مَبْنِيٌّ لِأجْلِ النِّيرَانْ

(٧) حُبُّ بَنِى العَبَّاسِ أصْلُ الإيمَانْ
بَنِى الإلَهُ وُدَّهُمْ فِى الجُثْمَانْ

(٨) الحِجْرُ والبَيْتُ لَهُمْ والأرْكَانْ
أصْبَحْتَ كَالرُّوحِ ونَحْنُ أبْدَانْ

---

(١) فى المنتظم : والكشك قد خفر فتت الإيوان. أما ماذكرته فهو مايراه ناشر الكتاب . والكشك هو المكان الذى كان يجلس فيه الخليفة ، ويلتقى فيه بالناس ، ولعله مايُسمى الآن بالسرادق .

(٩) الشَّرْعُ كَالعَيْنِ وأنْتَ أجْفَانْ

الجُودُ غُصْنٌ واحِدٌ يَابُسْتَانْ

(١٠) هذا مَدِيْحِي وهْو قَدْرُ الإمْكَانْ

وفِي ضَمِيْرِي ضِعْفُ هَذَا الإعْلاَنْ

(١١) عَبِيْدُكُمْ لايُشْتَرَى بأثْمَانْ

وقَدْ مَلَكْتُمْ رِقَّهُ بالإحْسَانْ

(١٢) سَمَّيْتُ نَفْسِي مُذْ خَدَمْتُ سَلْمَانْ

لَكِنَّ لِسَانِي فِي المَدِيحِ حَسَّانْ (١)

وحُسْنُ ألْفَاظِي تُبَاهِي سَحْبَانْ

التخريج :
ابن الجوزى : المنتظم ٢٦٣/١٠-٢٦٤ .

(١) سلمان الفارسى ، أبو عبد الله (المتوفى ٣٦هـ) صحابى جليل ، أصله من فارس ، ومناقبه لاتحصى .
انظر فى ترجمته : ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٦٣٤/٢-٦٣٨ ، ابن الجوزى : صفة الصفوة ٥٢٣/١-٥٥٦ ، الزركلى : الأعلام ١١١/٣-١١٢ .
وانظر الحديث عن حسان بن ثابت وسحبان وائل فى الباب الثالث .

(٦٢)

وأعجبه يومًا كلامه ، فقال : (الرجز)

(١) تَزْدَحِمُ الألْفَاظُ والمعَانِي
عَلَى فُؤادِي وعَلَى لِسَانِي

(٢) تَجْرِي لِيَ الأفْكَارُ فِي مِيْدَانِ
أُزاحِمُ النَّجْمَ عَلَى المَكَانِ

التخريج :
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٤٩٣-٤٩٤ .

(٦٣)

وقال : (دوبيت)

(١) نَاحَتْ سَحَرًا حَمَامَةٌ فِى غُصْنِ
قَدْ جَرَّعَهَا الفِرَاقُ كَأْسَ الحُزْنِ

(٢) تَبْكِى شَجَنًا تَلَقَّتَهْ مِنِّى
مَا يَبْكِى بَاكٍ إلاَّ ويَرْوِى عَنِّى (١)

التخريج :

(١) ابن الجوزى : المدهش ص ٢٥٨ .
(٢) السبتى : رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت ص ١٧٠ .

(١) فى المدهش : تَلَقَّتْهُ مِنِّى .

(٦٤)

وقال مهنئاً القاضي أبا يعلى الصغير(١) بقدوم شهر رجب :

(الطويل)

(١) تَهَنَّ بِشهْرٍ قَدْ أتَاكَ علَى يُمْنِ
يُبَشِّرُ بالإِقْبَالِ والسَّعْدِ والأمْنِ

(٢) وعِشْ سَالِمًا مِنْ كُلِّ مُنْيَةِ حَاسِدٍ
ومِنْ شَرِّ ذِى شَرٍّ ، ومِنْ كَيْدِ ذِى ضِغْنِ

(٣) ومُرْ ،وانْهَ ،وانْعَمْ ،واعْلُ ،وانْقَ ،وطِبْ،وجُدْ
وَعِدْ ،وارْقَ ،وازْدَدْ ،واسْمُ بالفَهْمِ والذِّهْنِ

(٤) تدبَّرْتَ بالفَهْمِ السَّلِيمِ عَواقِبَ الـ
أمورِ، ولَمْ تُقْبِلْ علَى مُثمِرِ الغَبْنِ (٢)

(٥) وسَابَقْتَ أهْلَ العِلْمِ حتَّى سَبقْتَهُمْ
فذُو السَّبْقِ مِنهُمْ حِينَ سَعْيِكَ فِى وَهْنِ

(٦) وَكُلُّهُمْ فِى الدِّينِ أضْحَوْا كهَيْئَةٍ
وأصْبَحْتَ فِى الإِسْلَامِ كالشَّرْطِ والرُّكْنِ

(٧) وكَمْ لَيْلَةٍ نَامُوا وبِتَّ مُؤانِسًا
عُلومًا أبَتْ مَنْ لَمْ يَبِتْ سَاهِرَ الجَفْنِ

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد ابن الفراء ، القاضي عماد الدين ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى الكبير (٤٩٤ - ٥٦٠هـ) . انظر في ترجمته : ابن الجوزي : المنتظم ٢١٣/١٠ ، العليمي : المنهج الأحمد ٣٢٨/٢-٣٣١ .

(٢) مثمر الغبن : يريد به ضعيف الرأي . (الجوهري : الصحاح) ٢١٧٢/٦ .

(٨) إِذَا أَنْتَ جَادَلْتَ الخُصومَ تَجَدَّلُوا
لَدَيْكَ بِلا ضَرْبٍ يَقُدُّ ولاطَعْنِ (١)

(٩) وإِنْ فُهْتَ بالتَّدْرِيسِ نَظَّمْتَ لُؤلُؤًا
وإِنْ تَسْطُرِ الفَتْوَى فكالدُّرِ فِي القُطْنِ (٢)

(١٠) فَبَيْتُكَ مَعْرُوفٌ ، وعِلْمُكَ ظَاهِرٌ
وَفَضْلُكَ مَشْهُورٌ فَمَا حَصَلَ المُثْنِي

(١١) عَلَيْكَ سِوَى تَشْرِيفِهِ بِمَدِيحِكُم
وإِلَّا فَعِلْمُ النَّاسِ فيكُمْ بِكُمْ يُغْنِي

التخريج :
(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٢٤٦ .
(٢) العليمى : المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢/٣٣٠ .
(٣) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣١ .

(١) هذا البيت غير موجود فى المنهج الأحمد .
(٢) فى المنهج الأحمد : إن فهت .

(٦٥)

وقال : (الرجز)

(١) حَنَّتْ فأذْكَتْ لوْعَتِي حَنِينَا
أشْكُو مِن البَيْنِ وتَشْكُو البَيْنَا
(٢) قدْ عَاثَ فى أشْخَاصِهَا طُولُ السُّرَى
بِقَدْرِ ماعاثَ الفِرَاقُ فِينَا
(٣) فَخلّهَا تَمْشِي الهُوَيْنَا طالَمَا
أضْحَتْ تُبَارِى الرِّيحَ فِي البَرِينَا
(٤) وكَيْفَ لاتَأوِى لهَا وَهْىَ التِّي
بِهَا قَطعْنَا السَّهْلَ والحُزُونَا (١)
(٥) إنْ كُنَّ لَمْ يُفْصِحْنَ بالشَكْوَى لنَا
فهُنَّ بِالأزْزَامِ يشْتَكِينَا (٢)
(٦) قَدْ أقْرَحتْ بِمَا تَجِنُّ كَبِدِى
إنَّ الحَزِينَ يُسْعِدُ الحَزِينَا (٣)
(٧) وقَدْ تَيَاسَرْتَ بِهِنَّ جَائِرًا
عَنِ الحِمَى فاعْدِلْ بِهَا يَمِينَا

---

(١) الحزونْ : الوعر . (ابن منظور : لسان العرب) ١١٢/١٣ .
(٢) الأرْزَام : أرزمت الناقة إرزامًا ، وهو صوت تخرجه من حلقها لاتفتح به فاهَا ، والإرزام : صوت لايفتح به الفم . (المصدر السابق) ٢٣٨/١٢ .
(٣) روى ابن الجوزى فى كتابه "ذم الهوى" ص ٢٢٨ ، بيتين لأعرابى لم يذكر اسمه ، الشطر الثانى من البيت الأول يشابه هذا البيت فى شطره الثانى ، وهو :
لَيْسَ لِى مُسْعِدٌ فأشكو إليه
إنَّما يُسْعِدُ الحزينَ الحزينُ

(٨) يقولُ صحْبِي : أتَرَى آثارَهُمْ ؟
نعَمْ ولكنْ لا أرَى القَطِينَا (١)

(٩) لوْ لمْ تَجِدْ رُبوعُهمْ كوجْدِنَا
للبَيْنِ لمْ تَبْلَ كمَا بَلِينَا

(١٠) أكُلَّمَا لاحَ لعيْنِي بَارِقٌ
بَكَتْ فأبْدَتْ سِرِّيَ المصُونَا

(١١) لاتأخُذُوا قلْبِي بذنْبِ مُقْلَتِي
وعذِّبُوا الخائِنَ لا الأمِينَا

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(١) القطين : القطون : الإقامة ، قطن بالمكان يقطن قطونا : أقام به وتوطّن فهو قاطِنٌ . (ابن منظور : لسان العرب) ١٣/٣٤٢-٣٤٣ .

(٦٦)

وقال : (المتقارب)

(١) إِذا جُزْتَ بِالْغَوْرِ عَرِّجْ يَمِيْنَا
فَقَدْ أخَذَ الشَّوْقُ مِنَّا يَمِيْنَـا (١)

(٢) وسَلِّمْ عَلَى بَانَـةِ الوَادِيَيْـنِ
فإنْ سَمِعَتْ أوْ شَكَتْ أنْ تَبِيْنَـا (٢)

(٣) ورَوِّ ثَرَى أرْضِهِمْ بِالدُّمُـوعِ
وخَلِّ الضُّلُوعَ عَلَى ماطُوِيْنَـا

(٤) وصِحْ فِى مَغَانِيْهِمُ أيْنَ هُمُ ؟
وهَيْهَاتَ أمُّوْا طَرِيقًا شَطُونَـا (٣)

(٥) أرَاكَ يَشُوقُـكَ وَادِى الأرَاكِ
ألدَّارَ تَبْكِى أمْ السَّاكِنِيْنَا ؟

(٦) سَقَى اللَّهُ مُرْتَعَنَا بالحِمَـى
وإنْ كَانَ أوْرَثَ داءً دَفِيْنَـا

(٧) وعَاذِلَـةٍ فَـوْقَ دَاءِ المُحِـبِّ
رُوَيْدًا رُوَيْدًا بِنَا قَدْ بُلِيْنَـا

(٨) فَمَنْ تَعْذِلِيْنَ أمَا تَعْذُرِيـنْ ؟
فَلَوْ قَدْ نَفَقْتِ رفَعْتِ الأنِيْنَـا (٤)

(٩) إذَا غَلَبَ الحُبُّ صَحَّ العِتَـابُ
تَعِبْتِ واتْعَبْتِ لَـوْ تَعْلَمِيْنَـا

التخريج :
ابن الجوزى : المدهش ص ٤٠٦ .

(١) اليمين الثانية بمعنى : القسم .
(٢) الوادِيَيْنُ : بلدة فى جبال السُّراة ، بقرب مدائن لوط . (ياقوت الحموى : معجم البلدان) ٥/٣٤٦ .
(٣) شطون : شطنت الدارُ تشطُنُ شطونًا : بعدت ، والشطين : البعيد . (ابن منظور : لسان العرب) ١٣/٢٣٨ .
(٤) نفق : مات . (المصدر السابق) ١٠/٢٥٧ .

(٦٧)

وقال بعد أن فُكَّ أسره ، وانتهتْ محنته : (الوافر)

(١) شَقِيْنَا بالنَّوى زمنًا فلمَّا
تلاقَيْنَا كأنَّا ما شَقِينَا

(٢) سَخِطْنَا عِنْدَما جَنَتِ اللَّيَالِي
فمَا زالتْ بِنَا حتَّى رَضِينَا

(٣) سَعِدْنَا بالوِصَالِ وكَمْ شُقِيْنَا
بِكَاسَاتِ الصُّدودِ وكمْ ضَنِيْنَا (١)

(٤) فَمنْ لَمْ يَحْيَ بَعْدَ المَوْتِ يَومًا
فإنَّا بَعْدَمَا مِتْنَا حَيِيْنَا

التخريج :

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٤٥٩-٤٦٠ .
(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٥ .
(٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٧ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٢٠ .
(٥) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٣٢ .

(١) كانت رواية هذا البيت فى الذيل على طبقات الحنابلة :
سَعِدْنَا بالوِصَالِ وكمْ شَقِينَا بكاساتِ الصُّدودِ وكمْ فَنِينَا
ولم يأت هذا البيت فى البداية والنهاية . ونظرا لاعتماد الأستاذ محمد بحر العلوم على البداية والنهاية فإنه لم يأت به فى مقدمة أخبار الظراف والمتماجنين .
والضَّنَا : هو المرض . (الجوهرى : الصحاح ٦/٢٤١٠) .

قافية الياء

(٦٨)

أوصى ابن الجوزى أن يكتب على قبره : (مجزوء الرمل)

(١) يَاكَثِيرَ العَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ

(٢) جَاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ

(٣) أنَا ضَيْفٌ وجَزَاءُ الـ ضَيْفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

التخريج :

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٥٠٢/٨ .

(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢٨/١ .

(٣) وجاءت هذه الأبيات فى معظم المصادر التى ترجمت لحياة ابن الجوزى . انظر الباب الأول ص ١-١٢ .

(٦٩)

وقال : (البسيط)

(١) أَصْبَحْتُ أَلْطَفَ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ سَرَى
عَلَى الرِّيَاضِ ، فَكَادَ الوَهْمُ يُؤْلِمُنِي (١)

(٢) مِنْ كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ اجْتَنِى قَدَحًا
وَكُلِّ نَاطِقَةٍ فِى الكَوْنِ تُطْرِبُنِى (٢)

التخريج :

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . المجلد الرابع . الجزء الثانى ص ٢١٨ .

(٢) الخوانسارى : روضات الجنات ٣٨/٥ .

(١) في روضات الجنات :
أصبحتُ صبًّا إذا مرّ النّسيمُ على
زَهرِ الرِّياض يكاد الوَهْمُ يولِينِي

(٢) في روضات الجنات :
مِن كلِّ معنى لطيفٍ أحْتسِي قدحًا
وكلِّ ناطِقةٍ في الكوْنِ تُطرِبُنِي

الفصل الثالث

الخصائص الفنية العامة لشعره

جاء شعر ابن الجوزى فى أغراض متعددة ، كان على رأسها الوعظ ، وقد اتسم هذا الشعر بخصائص وسمات مميزة ، كان من أبرزها :

(أ) أثر القرآن الكريم والحديث الشريف :

كان طبيعيًا أن يظهر أثر القرآن والحديث فى شعر ابن الجوزى ، وهو العالم الحافظ ، وقد تجاوز أثر القرآن فى شعره التضمين والاقتباس ، إلى الإفادة من منهج القرآن ، فى الدعوة إلى الله تعالى ، وذلك بحثّ الناس على الزهد فى الدنيا ، والترغيب فى طاعة الخالق – عز وجل – ، والتذكير بالموت والدار الآخرة .

وحاول أن يستفيد من أساليب القرآن الكريم وصوره البلاغية ، حيث استخدم أساليب الأمر ، والنهى ، والخطاب ، والاستفهام ، والتكرار . وجاء فى شعره بعض الألفاظ القرآنية (١)

ومن قبيل تضمين شعره بمعانى القرآن الكريم ، قوله فى المقطوعة (٣) :

وتَرَى أعْمَالَكَ قدْ حَضَرتْ ... فتنكّسُ رَأسًا مكْتئِبًا

والشطر الأول مأخوذ من قوله تعالى : {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ومَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} (٢) .

وقوله تعالى : {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ولايظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (٣) .

---

(١) انظر المقطوعات ٧، ١٨، ٣٠، ٣١ .
(٢) سورة آل عمران : ٣٠
(٣) سورة الكهف : ٤٩

والشطر الثانى مأخوذ من قوله تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ..} (١) .

وفى قول ابن الجوزى فى المقطوعة (٣) :

مَنْ مَالَ إلى الدُّنْيَا وَصَبَا   قَدْ أمْعَنَ فِى الفَانِى طَلَبَا
خُذْ مَايَبْقَى كَيْلَا تَشْقَى   واتْبَعْ حَقًّا وَدَعِ اللَّعِبَا

وقوله فى المقطوعة (٥٨) :

تَفْرَحُ بِالْفَانِى فَمَا تَطْلُبُ مَا   يَبْقَى لَهَا فَمَنْ يَكُونُ حَكَمِى ؟

نجد تضمينًا لقول الله تعالى : {بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا . والآخِرَةُ خَيْرٌ وأبْقَى} (٢) .

وقوله - عز وجل - : {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ولاتُظْلَمُونَ فَتِيلًا} (٣) .

وفى قول ابن الجوزى ، فى المقطوعة (٣) :

وَعَلِمْتَ بِأنَّ اللَّهَ يَرَى   فَأسَأتَ وَلَمْ تُحْسِنْ أدَبَا

تضمين لقول الله تعالى : {ألَمْ يَعْلَمْ بِأنَّ اللَّهَ يَرَى} (٤) .

وفى قوله فى المقطوعة (١٨) :

واغْضُضْ لِحَاظَكَ عَنْ حَرَامٍ واقْتَنِعْ   بِحَلالِ مَاحَصَّلْتَ تُحْمَدْ فِى غَدِ

تضمين لمعنى قوله تعالى : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أزْكَى لَهُمْ} (٥) .

وفى قوله فى المقطوعة (١٨) :

واحْذَرْ يَرَاكَ إلَهُنَا فِى زَلَّةٍ   إنَّ الإلَهَ لِمَنْ عَصَى بالمَرْصَدِ

---

(١) سورة السجدة : ١٢
(٢) سورة الأعلى : ١٦-١٧
(٣) سورة النساء : ٧٧
(٤) سورة العلق : ١٤
(٥) سورة النور : ٣٠

نجده يضمّن الشطر الثاني قول الله تعالى : {إنّ ربّك لبالمرصاد} (١) .

وفي قوله في المقطوعة (٢٢) :

فإنْ تمتْ محتسبًا صابرًا تفزْ غدًا في جنّةِ الخلْدِ

اقتبس ابن الجوزي (جنّة الخلدِ) من قوله تعالى : {قلْ أذلكَ خيرٌ أمْ جنّةُ الخلْدِ التّي وعدَ المتّقونَ} (٢) .

وفي قوله في المقطوعة (٢٣) :

وجاءكَ الموْتُ فانتظِرْهُ وذا العُمْرِ يسيرٌ والسيْرُ معْدُودُ

تضمين لقول الله تعالى : {وجاءتْ سكْرةُ الموْتِ بالحقِّ ..} (٣) .

وفي قول ابن الجوزي في المقطوعة (٥٨) :

لوْ قيْلَ قولوا ماذا مُنَاكُمْ؟ طلبُوا

حياةَ يوْمٍ ليتوبُوا فاعْلَمِ

تضمين لمعنى قوله تعالى : {حتّى إذا جاءَ أحدهُمُ الموْتُ قالَ ربِّ ارْجعُونِ . لعلّي أعْملُ صالحًا فيمَا تركْتُ} (٤) .

وفي قوله في المقطوعة (٥٨) أيضا :

منْ لي إذا قرأتُ ما أمْليْتهُ أقْبحَ مسْطورٍ جرى بالقلَمِ

تضمين لمعنى قول الله تعالى : {إقْرأ كتابكَ كفى بنفسكَ اليْومَ عليْكَ حسيبًا} (٥) .

وفي قوله في المقطوعة السابقة :

كيْفَ الخلاصُ والكِتابُ قدْ حوَى كُلَّ فِعَالي وجَميعَ كلِمي

---

(١) سورة الفجر : ١٤
(٢) سورة الفرقان : ١٥
(٣) سورة (ق) : ١٩
(٤) سورة "المؤمنون" : ٩٩-١٠٠
(٥) سورة الاسراء : ١٤

تضمين لمعنى قوله تعالى : {وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا}(١) .

وفي قوله في المقطوعة السابقة أيضا :

يَاحُسْنُهُمْ والَّلَيْلُ قَدْ جَنَّهُمْ ... ونورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الأَنْجُمِ
تَرنَّمُوا بالذِّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ ... فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بالتَّرنُّمِ
قُلوبُهُمْ للذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ ... دُموعُهُمْ كَلُؤْلُؤٍ مُنْتَظِمِ
أَسْحَارُهُمْ بِهِمْ لَهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ ... وَخِلَعُ الغُفْرَانِ خَيْرُ القَسَمِ

نجده يُضَمِّن هذه الأبيات بما جاء في القرآن الكريم من صفات المؤمنين ، ومنها قوله تعالى : {والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وقِيامًا}(٢) ، وقوله تعالى : {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَايَهْجَعُونَ . وبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}(٣) .

وأفاد ابن الجوزي من قصص القرآن الكريم ، وماتتضمنه من عبر وعظات في شعره لغرض الوعظ ، كما في قوله في المقطوعة (١٨) :

اغْنَمْ مَدِيحَةَ يُوسُفٍ في صَبْرِه ... واحْذَرْ تَعَجُّلَ آدمِ في المُبْتَدِى

وتلتقي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم ، في التأثير على شعر ابن الجوزي . حيث ضَمَّن شعره بعض ماجاء في أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك قوله في المقطوعة (٣) :

ينْسَاكَ الأَهْلُ إذَا رَجَعُوا ... عَنْ قَبْرِكَ لاتَسْمَعْ كَذِبَا
تَركُوكَ أَسِيرًا إذْ ذَهَبُوا ... بِتُرَابِ ضَرِيحِكَ مُحْتَقِبَا

فالبيتان يتضمنان معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "يتبعُ الميِّتَ ثلاثةٌ . فيرجع اثنان ويبقى واحد . يتبعه أهلُه

---

(١) سورة النبأ : ٢٩
(٢) سورة الفرقان : ٦٤
(٣) سورة الذاريات : ١٧-١٨

ومالُه وعملُه ، فيرجعُ أهلُه ومالُه . ويبقى عملُه" .(١)

وفى قوله فى المقطوعة (١٨) :

أمَّا الشَّبابُ فظُلْمَةٌ للمُهْتَدِى

وبِهِ ضَلالُ الجاهِلِ المُتَمَرِّدِ

فاقْمَعْهُ بالصَّبْرِ الجميلِ ودُمْ علَى الصَّوْمِ

الطَّويلِ فإنَّهُ كالمِبْرَدِ

نجد تضمينا لمعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "يامعشرَ الشَّبابِ ، من استطاع منكم البَاءةَ فليتزوج ، فإنَّه أغضُّ للبَصَرِ ، وأحْصَنُ للفَرْجِ ، ومن لمْ يسْتَطِعْ فعليْهِ بالصَّوم ، فإنَّه له وِجَاء" .(٢)

(ب) أثر الحفظ والثقافة الشعرية :

وضح فى بعض شعر ابن الجوزى أثر الثقافة والمخزون الشعرى ، الذى كان يتمتع به . لهذا رأيناه يردد معانٍ سبقه إليها بعض الشعراء ،(٣) بالإضافة إلى اقتباسه من شعر غيره .(٤)

ويُعدُّ أبو العتاهية(٥) من أبرز الشعراء الذين أثَّروا فى

---

(١) الحديث فى الصحيحين . انظر فتح البارى ، كتاب الرقائق ٣٦٢/١١ ، صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٣/٤ .

(٢) الحديث فى الصحيحين . انظر فتح البارى ، كتاب الصوم ١١٩/٤ ، كتاب النكاح ١٠٦/٩-١١٢ ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ١٠١٨/٢-١٠١٩ .

(٣) انظر المقطوعات ٤،٥٩،٦٥ .

(٤) انظر المقطوعتين ٨،٢٤ ، وانظر اقتباسه للمثل فى المقطوعتين ٤،٥٢ .

(٥) إسماعيل بن القاسم بن سويد العينى العنزى بالولاء (١٣٠ - ٢١١هـ) شاعر الزهد المعروف ، انظر فى ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد ٢٥٠/٦-٢٦٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٩/١-٢٢٦ ، الزركلى : الأعلام ٣٢١/١ .

شعر ابن الجوزى . فمن ذلك قول أبى العتاهية (من مجزوء الكامل) :

يَانَفْسُ قَدْ أزِفَ الرَّحِيلُ   وأظَلَّكِ الخَطْبُ الجَلِيلُ
فَتَأهَّبِى يَانَفْسُ لَا   يَلْعَبْ بِكِ الأمْلُ الطَّوِيلُ (١)

ومن نفس البحر ، يقول ابن الجوزى فى المقطوعة (٣٩) :

يَاسَاكِنَ الدُّنْيَا تَأهَّـبْ   وانْتَظِرْ يَوْمَ الفِرَاقِ
وأعِدَّ زَادًا للرَّحِيـلِ   فَسَوْفَ يُحْدَى بالرِّفَاقِ

ويبدو أن ابن الجوزى قد حاكى بَيْتَّى أبى العتاهية السابقين ، مما أدى إلى ظهور التشابه الكبير بين أبياتهما فى الغرض والبحر وبعض الألفاظ .

"وكثيرًا ماكان يشبه أبو العتاهية المشيبَ بالناعى ، حتى يجعل الخاطئين من خشية الموت يثوبون إلى طريق الرشاد يقول :

إنَّمَا الشَّيْبُ لابْنِ آدمَ نَاعٍ   قَامَ فِى عَارِضَيْهِ ثُمَّ نَعَاهُ

كما يقول :

نَعَى لَكَ شَرْخَ الشَّبَابِ المَشِيبُ   ونَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الخُطُوبُ" (٢)

ونجد عند ابن الجوزى قريبًا من ذلك ، حيث أكثر من ذكر الشيب فى بعض شعره ، حتى صار رمزًا للزوال ، فمن ذلك قوله فى المقطوعة (٢٠) :

---

(١) د. شكرى فيصل : أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٣١٨ ، وانظر أيضا ص ٣٠٦ .

(٢) د. على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٤٢-٣٤٣ ، وانظر د. شكرى فيصل : أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٢١،٢٧ .

قَدْ رأيتُ المَشيبَ نُورًا تبدَّى نَوَّرَ الطُرْقُ ثُمَّ ما إنْ تعدَّى
إنَّ نورَ الشبَّابِ عاريةٌ عِندِى فجاءَ المُعيرُ حتَّى استردَّا
جاءَنِى نَاصِحٌ أتانِى نَذيرٌ بِبَيَاضٍ أرانِى الأمرَ جِدًّا

وكذلك قوله فى المقطوعة (٢٤) :

غُرِرْنَا بالشَّبَّابِ المُسْتَعارِ وقَعْنَا بالمَشِيْبِ عن الخِمَارِ
أنَارَ لنَا المشِيبُ سَبيلَ رُشدٍ ونَدَّمنَا على خَلْعِ العِذَارِ
فوا أسَفِي علىَ عُمْرٍ تولَّتْ لذَاذتُه وأبْقَتْ قبحَ عَارِ

وقد تعدى تأثير أبى العتاهية غرض الزهد ، ليشمل جوانب أخرى فى شعر ابن الجوزى ، سوف أتعرض لها فيما يأتى:

(ج) الظواهر الفنية :

(١) صدق العاطفة :

جاء الكثير من الشعر الذى نظمه ابن الجوزى ، تعبيرًا عن نفسه الزاهدة ، التى تدرك زيف الدنيا وزوالها ، لذا لجأ فى هذا الشعر إلى التأثير والإقناع (١) ، من أجل تنبيه القلوب الغافلة ، وهو الأمر الذى أوقف حياته من أجله ، استمع إليه وهو يخاطب كل نفس لاهية بمخاطبته لنفسه ، فى المقطوعة (٥٨) :

ويْحَكِ يانفْسُ ألاَ تَيَقُّظٌ ينْفَعُ قَبْلَ أنْ تَزِلَّ قَدَمِى
مضَى الزَّمَانُ فِي توانٍ وهَوَى فاسْتَدرِكي ماقَدْ بَقِى واغتَنمِى
انْتَظِرِى الموتَ سَيأتِى بَغْتَةً وأنْتِ بَيْنَ أسَفٍ ونَدَمِ

---

(١) ينسى ابن الجوزى أحيانا أنه ينظم الشعر ، فيعمد الى الإقناع ومخاطبة العقل ، انظر مثال ذلك المقطوعتين ١٨، ٣٠ .

وإذا تركنا الوعظ والزهد ، نجد أن ابن الجوزى نظم أشعارًا فى أثناء محنته تقطر حزنا ، وفيها يبكى الأيام الخوالى ، ويشتاق إلى الأهل والوطن . ومن ذلك قوله فى المقطوعة (١١) :

كَمْ كَانَ لِى مِنْ مَجْلِسٍ لَوْ شُبِّهَتْ حَالاتُهُ لَتَشَبَّهَتْ بِالجَنَّةِ
أشْتَاقُهُ لَمَّا مَضَتْ أيَّامُهُ عُللاً وتعْذَرُ نَاقَةٌ إنْ حَنَّتِ

وقوله فى المقطوعة (٥٦) :

أحبَّةَ قلْبِى لَوْ يُبَاعُ رُجوعُكُمْ
عَليْنَا لَكُنَّا بالنُّفوسِ فدَيْنَاكُمْ
فَلَا تَحْسَبُوا أنِّى نَسِيتُ وِدَادَكُمْ
وإنِّى وإنْ طَالَ المدَى لَسْتُ أنْسَاكُمْ
وأسْأَلُ أنْفَاسَ الرِّيَاحِ لأنَّهَا
تَمُرُّ علَى أطْلالِكُمْ وتَلقَّاكُمْ
قضَى اللَّهُ بالتفْرِيقِ بيْنِى وبيْنَكُمْ
فيَالَيْتَنَا منْ جُمْلَةٍ ماعرفْنَاكُمْ

ونظم ابن الجوزى فى الفخر والاعتزاز بالنفس ، وهو أمر عُرف عنه فى الأوساط العلمية (١) ، ويبدو أن ابن الجوزى كان يعانى من مجتمعه ، الذى لم ينصفه ، ولم ينزله المنزلة التى كان يطمح فى الوصول إليها ، لذا نَفِر من مجتمعه وأبناء عصره ، فهو يقول فى المقطوعة (٨) :

وكُنَّا نَرَى بَغْدَادَ أطيْبَ منْزِلاً
فَلَمَّا تَبَاعدْنَا اسْتَبَانَتْ عُيُوبُهَا

وقال فى المقطوعة (٤) :

---

(١) انظر مآخذ العلماء عليه فى الباب الأول .

يَرَوْنَ العَجِيْبَ كَلامَ الغَرِيْبِ وَقَوْلُ القَرِيْبِ فَلا يُعْجِبُ

مَيَازِيبُهُم إنْ تَندَّتْ بِخَيْرٍ إلى غَيْرِ جِيرَانِهِمْ تُقْلَبُ

وعُذْرُهُمُ عِنْدَ تَوْبِيخِهِمْ "مُغَنِّيَةُ الحَيِّ مَاتُطْرِبُ"

وقال فى المقطوعة (٧) :

يَوَدُّ حَسُودِي لَوْ يَرَى لِي زَلَّةً فإنْ لَمْ يَرَ الزَّلاتِ جَاءَتْ أكَاذِيْبُ

ومن الأبيات السابقة يمكن إدراك مدى المعاناة ، التى كانت تعتمل فى نفس ابن الجوزى ، نتيجة لإهمال قومه له ، بل ومضايقته بالإفتراء والحسد .

وكان رد الفعل عنده هو كيد أعدائه ومهمليه ، بالفخر والاعتزار بنفسه . وهاهو يقول مكملاً البيت السابق :

أرُدُّ عَلَى خَصْمِي ، ولَيْسَ بِقَادِرٍ
عَلَى رَدِّ قَوْلِي ، فَهْوَ مَوْتٌ وتَعْذِيْبُ

تَرَى أوْجُهَ الحُسَّادِ صُفْرًا لِرُؤْيَتِي
فإنْ قُمْتُ ، عَادَتْ وهْيَ سُودٌ غَرَابِيْبُ

إذَا قُمْتُ ،لم يَنْطِقْ عَدُوِّي بِلَفْظَةٍ
إذَا وَرَدَ الضُّرْغَامُ لَمْ يَلِغِ الذِّيبُ

ووصف فى مقطوعة أخرى (٤٨) ماحباه الله تعالى به من خصال ، حيث قال :

مَازِلْتُ أُدْرِكُ مَاغَلا بَلْ مَاعَلا وأُكَابِدُ النَّهْجَ العَسِيرَ الأطْوَلا

وأضاف :

يُفْضِي بِيَ التَّوْفِيقُ فِيْهِ إلى الَّذِي
أعْمَى سِوَايَ تَوَصُّلا وتَغَلْغُلا

لَوْ كَانَ هَذَا العِلْمُ شَخْصًا نَاطِقًا
وسَألْتُهُ هَلْ زَارَ مِثْلِي ؟ قَالَ : لا

وهذه الأبيات وعلى الرغم مما فيها من المبالغة غير المستحسنة ، فإنها تعبر عن طموح ابن الجوزى ، وهمته العالية التى لاحدود لها .

ويلاحظ فى شعر ابن الجوزى ، ذكره الأماكن والنباتات البرية كثيرًا ، مع أنه لم يخرج من بغداد إلا الى الحجاز للحج ، وواسط فى أثناء محنته (١) .

ولعله فى ذلك ينحو منحى الجاهليين فى شعرهم ، إذ إن لفظة "صاحبى" تتكرر عنده (٢) ، مما يقوى الظن أنه كان يحاكى أساليب شعراء العصر الجاهلى ، فى الوقوف على الأطلال ، وذكر الديار (٣) ... حيث قال ابن الجوزى فى المقطوعة (٥) :

عَرِّجُوا بِالرِّفَاقِ نَحْوَ الرَّكْبِ   وَقِفُوا وَقْفَةً لأنْشُدَ قَلْبِى
وخُذُوا لِى مِنَ النَّقِيْبِ لِمَاظًا   أوْ رُدُوا بِى إلى العَذِيْبِ وحَسْبِى

وقال أيضا فى المقطوعة (٣٥) :

يَاصَاحِبِى إنْ كُنْتَ لِى أوْ مَعِى   فَعُدْ إلى رَوْضِ الحِمَى نَرْتَع
حَيِّ كَثِيْبَ الرَّمْلِ ، رَمْلَ الحِمَى   وَقِفْ وَسَلِّمْ لِى عَلى لَعْلَعِ

وقد استخدم ابن الجوزى معظم هذه المقدمات الطللية لغرض الوعظ ، وهاهو يكمل البيتين السابقين بالسؤال عن أهل الديار :

وَسَلْ عَنِ الوَادِى وأرْبَابِهِ
وانْشُدْ فُؤادِى فِى رُبَى المَجْمَعِ
وابْكِ فَمَا فِى العَيْنِ مِنْ فَضْلَةٍ
وَنُبْ فَدَتْكَ النَّفْسُ عَنْ مَدْمَعِى

---

(١) انظر الباب الأول .
(٢) انظر المقطوعات ٣١،٤٤،٥٢،٦٥ .
(٣) انظر د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٢١٩،٢٤٨-٢٤٩،٣١٦

ولعل استخدام ابن الجوزى للمقدمات الطللية فى شعره ، يتضح أكثر فى هذه المقطوعة (١٥) ، التى بدأها بقوله :

يَانَادِبًا أطلالَ كُلِّ نَادِى   وبَاكِيًا فِى إثْرِ كُلِّ حَادِى

ثم قال فى نهايتها :

فكُلُّ جَمْعٍ فَإلى تَفَرُّقٍ   وكُلُّ بَاقٍ فإلى نَفَادِ
مَواعِظٌ بَلِيغَةٌ فيَالَهَا   مَواعِظٌ وارِيَةُ الزِّنَادِ

إذن فهدف ابن الجوزى من ذكر الكثير من الآثار والديار هو استخلاص العبرة والعظة ، حيث إن الأطلال والآثار تشير إلى انتقال أهلها عنها ، سواء بالموت أو الإرتحال (١) .

فإذا ما انتقلنا إلى الغزل ، نجد لابن الجوزى فيه بعض الأبيات المطبوعة ، كقوله فى المقطوعة (١٩) :

أيْنَ فؤادِى أذابَهُ البُعْدُ   وأيْنَ قَلْبِى أمَا صَحَا بَعْدُ

ومنها قوله أيضا :

يَالَفُؤادِ مَايَسْتَرِيحُ مِن الكَرْ   بِ لَهُ كلَّ لَحْظَةٍ وَقْدُ

وهنا أيضًا استخدم ابن الجوزى بعض غزله لغرض الوعظ ، باعتبار أن الغزل يرقق المشاعر ، ويجعلها أكثر قبولا للتأثير .

وقد أكد هذه الظاهرة ابن جبير ، الذى قال :"... فى أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب ، مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق ، تشعل القلوب وجْدًا ، ويعود موضعها النسيبى زهدا" (٢) .

قال ابن الجوزى فى المقطوعة (٣٥) :

---

(١) انظر أيضا المقطوعتين ٦٥، ٦٦ .
(٢) رحلة بن جبير ص ٢٠٩ .

رِفْقًا بِنِفْوٍ قَدْ بَرَاهُ الأَسَى يَاعَاذِلِى لَوْكَانَ قَلْبِى مَعِى
لَهْفِى عَلَى طِيبِ لَيَالٍ خَلَتْ عُودِى تَعُودِى مُدْنَفًا قَدْ نُعِى

والشاعر هنا لايخاطب غادةً قد هجرته ، إنما يبكى الصالحين الذين رحلوا عن الدنيا ، بعد أن بادروا أيامهم بالعمل ، بينما كان الشاعر يُسوِّف لهذا خاطب نفسه فى آخر المقطوعة بقوله (١) :

يَانَفْسُ كَمْ أَتْلُو حَدِيثَ الْمُنَى ضَاعَ زَمَانِى بِالْمُنَى فَاقْطَعِى

وبدأ ابن الجوزى المقطوعة (٣) بغزل رقيق :

صَبٌّ .. قَدْ هَامَ بِكُمْ وَصَبَا أَضْحَى مِنْ حُبِّكُمْ وَصِبًا
يَهْتَزُّ لِذِكْرِكُمْ طَرَبًا وَيَرَى إِعْرَاضَكُمْ عَطَبًا

وبعد هذين البيتين يوضح غرضه من هذا المطلع ، فيقول :

فَدَعِ الدُّنْيَا فَلَكَمْ سَلَبَتْ وَلَدًا بَرًّا أَمًّا وأبًا

ويتحول الغزل فى بعض شعر ابن الجوزى كذلك إلى تصوف ، وبخاصة مانظمه فى عروض الدوبيت (٢) .

وإذا كان ابن الجوزى قد نجح فى استخدام المقدمات (الطللية والغزلية) فى بعض شعره ، فإنه مع ذلك يَعُدّ تقليديًّا حيث لم يواكب تطور القصيدة الزهدية ، التى أسقطت المقدمات لتصبح القصيدة بنية واحدة ، لايشغلها إلا فكرة الزهد من مبدئها حتى نهايتها (٣) .

---

(١) انظر : ابن الجوزى : المدهش ص ٤٨٨ .
(٢) انظر د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٢٩-٣٣٠ ، وانظر أيضًا المقطوعة (٤٩) .
(٣) د. على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢) معانيه :

حفل شعر ابن الجوزى بالكثير من المعانى الوعظية ، ومن ذلك الحزن والحسرة على ضياع العمر فيما لايفيد ، وقد ردد هذا الأمر فى العديد من المقطوعات (١) .

وضمّن ابن الجوزى بعض شعره بالعديد من الحكم (٢) ، التى دلّت على تجربته الواسعة فى الحياة ، وذلك كلّما وجد إلى ذلك سبيلا ، كما فى قوله فى المقطوعة (٧) وهو بصدد فخره بنفسه :

إذا فُهْتُ ، لمْ ينْطِقْ عَدُوّى بلفظةٍ
إذا وَرَدَ الضِّرْغَامُ لَمْ يَلِغِ الذِّئبُ

وأتى ابن الجوزى فى أحيان قليلة بمعان نفسية دقيقة ، فمن ذلك قوله فى المقطوعة (٢٩) :

أعِدْ ذِكْرَهُمْ فهْوَ الشِّفَاءُ ورُبَّمَا
شَفَى النَّفْسَ أمْرٌ ثُمَّ عَادَ يَضِيرُهَا

وقال أيضا فى المقطوعة (٤٤) :

مَيْلُكَ عَنْ زَهْوٍ ومَيْلِى عَنْ أسًا ... مَاطَرَبُ المخْمُورِ مِثْلُ الثَّاكِلِ

ففى هذين البيتين جسد ابن الجوزى بواطن نفسية ، فى إطار فنى جيد ، جعل معها تلك المعانى تنطلق من مجرد حكم نظرية إلى آفاق التجربة الفنية الحية .

---

(١) انظر المقطوعات ٢٤،٣٤،٣٥،٣٩،٥٨ .
(٢) انظر مثال ذلك المقطوعات ٨،١٢،١٤،٣٠،٣٨ .

(٣) لغته الشعرية :

تميز شعر ابن الجوزى بالسهولة والوضوح ، فألفاظه وعباراته واضحة . وأغلب الظن أنه تأثر بشعراء الزهد ، وبخاصة أبى العتاهية الذى عُرف بذلك .(١)

ولعل ابن الجوزى تعمد هذا الأسلوب الواضح فى شعره ، ليتمكن من مخاطبة عامة الناس ، لهذا جاء بعض شعره ليِّنًا أقرب مايكون إلى النثر ، كما فى قوله فى المقطوعة (٥٣) :

سَارَ قَلْبِى وجِسْمِى لَمْ يَسِرْ بَلْ أقَامَا
لَسْتُ أدْرِى فُؤادِى إذْ غدَوْا أيْنَ هَامَا ؟

وقال فى نفس المقطوعة :

صَارَ لَيْلِى نَهَارًا ونَهَارِى ظَلامَا

بيد أنَّ هذه السهولة وهذا الوضوح ليسا مضطردين فى كل شعره ، فهو أحيانًا يأتى بألفاظ غريبة ، لايمكن فهمهما إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية ، كما فى قوله فى المقطوعة (٣٠) :

أضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فى وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
صَرْعَى ، ومَاشِى الوَرَى مِنْ فَوقِهِمْ يَطِسُ

كذلك قوله فى المقطوعة (٦٦) :

ومِحْ فِى مغَانِيهِمْ أيْنَ هُمْ ؟ وهَيْهَاتَ أمُّوا طَرِيقًا شَطُونَا

وجاء فى شعر ابن الجوزى بعض الألفاظ والمصطلحات الفقهية ، ومنها : تناسخ واعتقاد فى المقطوعة (١٦) ، وشرع وإبرام وعقد فى المقطوعة (٢٢) ، والشرط والركن والفتوى فى

(١) د. مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول ص ٧٣٠ ، د. على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٢٤ .

المقطوعة (٦٤) ...

وليس غريبًا أن تأتى مثل هذه الألفاظ فى شعر ابن الجوزى ، ولكنها كانت تقتضى منه حسًا شعريًا عاليًا فى صياغتها ، كما جاء فى قوله فى المقطوعة (٣٥) :

وَاسْمَعْ حَدِيثًا قَدْ رَوَتْهُ الصَّبَا
تُسْنِدُه عَنْ بَانَةِ الأجْرَعِ

ولم ير ابن الجوزى بأسًا فى ذكر بعض الألفاظ العامية ، فيما قاله من (المواليا وكان وكان)(١) ، باعتبار أنهما من الفنون الجارية على ألسنة العامة .

وأكثر ابن الجوزى من ذكر الأسماء والأعلام فى شعره(٢) ، حتى أضحى بعضه سلسلة من الأسماء المصفوفة ، كما فى قوله فى المقطوعة (٢٠) :

ثُمَّ خَلِّ حَدِيثَ لَيْلَى وَنُعْمٍ ... وَمُسَاعٍ وَكُلْثُمَ دَعْ دَعْدَا

(٤) الصيغ الخطابية والأساليب الانشائية فى شعر ابن الجوزى :

إن من شأن هذه الصيغ أن تجعل الشاعر قريبًا من نفوس الناس(٣) ، وابن الجوزى بحكم عمله فى الوعظ ، كان يهمه ذلك ، لذا أكثر من استخدامها ، فوجد فى شعره : الأمر ، والنهى ، والاستفهام ، والنداء .

---

(١) انظر المقطوعتين ٩، ٤٢ .
(٢) انظر المقطوعات ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ٦١ .
(٣) د . على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٢٧ .

ولايُستبعد أن يكون ابن الجوزى قد أفاد من أبى العتاهية ، وغيره من شعراء الزهد ، الذين كثرت عندهم تلك الصيغ والأساليب .(١)

ومما قاله ابن الجوزى بصيغة الأمر، فى المقطوعة (١٨) :

واكْفُفْ لِسانَكَ عنْ فُضولِ كَلامِهِ

واحْفَظْهُ حِفْظَ الجوْهَرِ المُتَبَدِّدِ

وقال بصيغة النهى ، فى المقطوعة (٦٥) :

لاتَأخُذوا قَلْبِى بِذَنْبِ مُقْلَتِى

وعذِّبوا الخَائِنَ لَا الأمِينا

وقال مستفهمًا ، فى المقطوعة (٣٠) :

أيْنَ المُلوكُ وأبْنَاءُ المُلوكِ ومَنْ

كَانُوا إذَا النَّاسُ قامُوا هيْبَةً جَلَسوا ؟

وقال بصيغة النداء ، فى المقطوعة (٢٢) :

يَاذَا الَّذِى ذَابَ مِن الوَجْدِ

وَظلَّ فِى ضُرٍّ وفِى جهْدِ

(٥) التكرار فى شعر ابن الجوزى :

وهذه الظاهرة تتناسب مع الوعظ والتوجيه والإرشاد ،(٢) لذا كانت سمة بارزة فى شعر أبى العتاهية .(٣)

---

(١) د. على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٢٧-٣٣١ ، د. مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول ص ٧٣١-٧٣٢.

(٢) د. مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول ص ٧٣٣ .

(٣) المرجع السابق .

ويبدو أن ابن الجوزى كان مدركًا لجدوى التكرار ، لهذا جاء فى بعض شعره - المقطوعة (٥٨) - مناسبًا للمقام ، ومؤديًا للغرض الذى أراده وهو التأثير ، فهو يقول :

كَمْ مِنْ ذُنُوبٍ لَكَ قَدْ سَتَرَهَا   وعَادَ بالفَضْلِ وبالتَكَرُّمِ
وكَمْ لَه مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا   وكَمْ وكَمْ أوْلاكَ طِيْبَ أنْعُمِ
وكَمْ وَاعِظٍ فِى كلِّ يَوْمٍ زَاجِرٌ   وكَمْ نَذِيرٍ زَائِرٍ مُسْلِمِ
وكَمْ يُنَادِيكَ لِسَانُ عِبْرَةٍ   وأنْتَ عَنْ قَوْلِ الهُدَى فِى صَمَمِ

فـ (كم) هنا على الرغم من تكرارها ، فإنها لاتثير الملل ، بل تعطى فى كل مرة معنًى مختلفًا .

وقال أيضا :

مَنْ لِى إذَا نَزَلْتُ لَحْدًا مُظْلِمًا   هذا وكَمْ مِنْ نَازِلٍ لَمْ يَسْلَمِ
مَنْ لِى إذَا قَرَأْتُ مَا أمْلَيْتُهُ   أقْبَحَ مَسْطُورٍ جَرَى بالقَلَمِ
مَنْ لِى إذَا أُزْعِجَ قَلْبِى حَسْرَةً   وَهَلْ تَرَى يَشْفِى بِفَوْزِى ألَمِى؟

فالتكرار هنا عبَّر عما تكنه النفس ، من مظاهر الخوف والهلع ، الذى أصبح مصاحبًا لكلمة : (من لى) .

(٦) الصورة الشعرية عند ابن الجوزى :

كانت معظم تشبيهات واستعارات ابن الجوزى تقليدية ، لاجِدَّة فيها ، كما فى قوله فى المقطوعة (١٦) :

وصحْبَةُ لاتنْسَهُمْ فإنَّهُمْ   كَانُوا كَنُورِ البَدْرِ فِى السَّوَادِ

وقوله فى نفس المقطوعة :

فَفَخْرُهُمْ يَنْطِقُ عَنْهُ عِلْمُهُمْ   بِألْسُنٍ قَوَافِبٍ حِدَادِ

وقوله فى المقطوعة (٦١) :

الشَّرْعُ كَالعَيْنِ وأنْتَ أجْفَانْ
الجُودُ غُصْنٌ وَاحِدٌ يَابُسْتَانْ

وقد كان للأسلوب الوعظى المباشر ، الذى انتهجه ابن الجوزى فى بعض شعره ، أثر فى إضعاف صوره ، كما فى قوله فى المقطوعة (٣) :

مَنْ مَالَ إلى الدُّنْيَا وَصَبَا ... قَدْ أمْعَنَ فِى الفَانِى طَلَبَا
خُذْ مَايَبْقَى كَيْلَا تَشْقَى ... واتْبَعْ حَقًّا وَدَعِ اللَّعِبَا

ولكن لايخلو شعر ابن الجوزى من بعض الصور الشعرية الجميلة . فمن ذلك قوله فى المقطوعة (٢٩) :

ألَا أيُّهَا الرَّكْبُ العِرَاقِى بَلِّغُوا
رِسَالَةَ مَحْزُونٍ حَوَاهُ سُطُورُهَا
إذَا كَتَبَتْ أنْفَاسُهُ بَعْضَ وَجْدِهَا
عَلَى صَفْحَةِ الذِّكْرَى مَحَاهُ زَفِيرُهَا

ففى البيت الثانى عدة استعارات جميلة فى "كتبت أنفاسه " و"الذكرى" و"زفيرها " .

وقد صور الشاعر من خلال هذه الاستعارات ، مشاعر الحزن والوجد التى اعترته أمام صفحة الذكريات ، وكيف أن حزنه على أيامه الخوالى تغلب على وجده بها .

ومن صوره الشعرية الجميلة ، قوله فى المقطوعة (٣٨) :

رأيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أعْظَمَ عِبْرَةً ... لِمَنْ كَانَ فِى أوْجِ الحَقِيقَةِ رَاقِ
شُخُوصٌ وأشْكَالٌ تَمُرُّ وَتَنْقَضِى ... وتَفْنَى جَمِيعًا والمُحَرِّكُ بَاقِ

فكأن ابن الجوزى هنا يصور لنا الحياة ، من خلال شريط سينمائى سريع الحركة ، فنرى الدنيا بأشخاصها وأشكالها تلوح بسرعة .

(٧) الصنعة البديعية فى شعر ابن الجوزى :

جارى ابن الجوزى الكثير من شعراء عصره ، فى الاهتمام بالمحسنات البديعية (١) ، لذا رأينا فى بعض شعره ألوانًا من تلك المحسنات .

وكان الجناس والطباق أبرز هذه المحسنات فى شعره ، فمما جاء من الجناس التام ، قوله فى المقطوعة (٦٦) :

إِذَا جُزْتَ بِالْغَوْرِ عَرِّجْ يَمِيْنَا
فَقَدْ أَخَذَ الشَّوْقُ مِنَّا يَمِيْنَا

ومن الجناس الناقص ، قوله فى المقطوعة (٦) :

يُدْعَى لِلْمَوْتِ فِى هَوَاكُمْ فَيُجِيبْ
مَنْ أَمَّلَ مِثْلَ فَضْلِكُمْ كَيْفَ يَخِيبْ ؟

ومما جاء فى شعره من الطباق ، قوله فى المقطوعة (٦٥)

وَكَيْفَ لاَ أَنْأَوِى لَهَا وَهِىَ الَّتِى   بِهَا قَطَعْنَا السَّهْلَ وَالْحُزُونَا

ومعظم هذه المحسنات فى شعر ابن الجوزى لايبدو عليها أثر التكلف ، بيد أن بعضها جاء متكلفا وضح فيه التصنع ، كما فى قوله فى المقطوعة (٢) :

---

(١) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٤٥ ، وانظر التمهيد .

سَلَّمْتُ عَلَى النَّسِيمِ إِذْ هَبَّ صَبَا
فَارْتَاحَ إِلَيهِ سِرُّ قَلْبِى وَصَبَا
يَانَجْدُ لَقَدْ زِدْتَ فُؤادِى وَصَبَا
هَلْ يَرْجِعُ فِيْكَ عَصْرُ وَصْلٍ وَصِبَا ؟

(٨) بحوره وقوافيه :

نظم ابن الجوزى فى معظم البحور العربية ، وكان أكثر نظمه فى البحور القصيرة والمجزوءة ، لهذا كان إيقاع شعره سهلاً سريعاً ، واضح النغمات .

ولعله تأثر فى ذلك بأبى العتاهية وبغيره من شعراء الزهد ، الذين أكثروا من النظم فى البحور القصيرة والمجزوءة (١) .

ومن أمثلة ذلك فى شعر ابن الجوزى ، قوله فى المقطوعة (٦٠) :

تَمَلَّكُوا واحْتَكَمُوا | وَصَارَ قَلْبِى لَهُمْ
تَصَرَّفُوا فِى مُلْكِهِمْ | فَلاَ يُقَالُ : ظَلَمُوا
إِنْ وَاصَلُوا مُحِبَّهُمْ | أَوْ قَطَعُوا فَهُمْ هُمْ

وقال أيضا فى المقطوعة (٦٢) :

تَزْدَحِمُ الألْفَاظُ والمَعَانِى | عَلَى فُؤادِى وعَلَى لِسَانِى
تَجْرِى لِىَ الأفْكَارُ فِى مَيْدَانٍ | أَزَاحِمُ النَّجْمَ عَلَى المَكَانِ

---

(١) د . على نجيب عطوى : شعر الزهد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ص ٣٣٥-٣٣٦ .

ويظهر أن نَفَس ابن الجوزى كان قصيرًا فى النظم ، فعلى الرغم من أن معظم بحوره كانت قصيرة ، يسهل معها الاسترسال فإن معظم ماقاله كان عبارة عن مقطوعات قصيرة ، وأطولها – وهى القصيدة (٥٨) – تبلغ (٣٣) بيتا .

وكان لابن الجوزى مساهمة جيدة ، فى النظم فى بعض الفنون التى ازدهرت فى عصره ، وبخاصة فى عروض الدوبيت ، ومن ذلك قوله فى المقطوعة (٢٥) :

الحبُّ يقولُ : لاتشِعْ أسْرَارِى
والدَّمْعُ يَسيلُ هَاتِكًا أسْتَارِى
والشَّوقُ يَزِيدُ ، لاعلَى المِقْدَارِ
وآنَارِى ! مِنْ هَذا الهَوى،وآنَارِى

أما قوافيه فقد جاءت سهلة لاتعقيد فيها ، إذ كانت غالبيتها مطلقة، وكانت أكثر القوافى الدائرة فى شعره هى : الميم والدال واللام .

ومن قوافيه الجميلة (اللام) فى المقطوعة (٤٨) ، فقد كانت القافية مناسبة لغرض الفخر ، فجاء قويًّا مشحونا برنَّاتِ العجب والتعالى : (الأطولا ، مأمَّلا ، تغلغلا ، قال : لا) .

ومن العجيب أن معظم المقطوعات ، التى كان ابن الجوزى يعبِّرُ فيها عن همومه ومعاناته من مجتمعه وأبناء عصره ، يجمعها حرف رويّ واحد ، وهو (الباء) (١) ، وكأن ابن الجوزى رحمه الله ، رأى فيه خير تجسيد لآلامه وأحزانه .

وهنا أيضا نجد تأثيرًا واضحًا لأبى العتاهية ، الذى

---

(١) انظر المقطوعات ٤، ٧، ٨ .

انفرد باصطناع القافية المتملة ، التى تربط البيت بلاحقه ، فمن ذلك قوله :

يَاذَا الَّذِى فِى الحُبِّ يَلْحَى أمَا
وَاللَّهِ . لَوْ كُلِّفْتَ مِنْهُ كمَا
كُلِّفْتُ مِنْ حُبِّ رَخِيمٍ لَمَا
لُمْتَ عَلَى الحُبِّ فَذَرْنِى ومَا
ألْقَى فَإِنِّى لَسْتُ أدْرِى بِمَا
بُلِيتُ ، إلاَّ أنَّنِى بَيْنَمَا
أنَا بِبَابِ القَصْرِ - فِى بَعْضِ مَا
أطُوفُ فِى قَصْرِهِمْ - إذْ رَمَى (١)

وجاء بعد ذلك ابن الجوزى ، ليقول على نفس المنوال فى المقطوعة (٥٧) :

اشْكُو إِلَيْهِمْ مِنْهُمُ	كُلَّمَا يَزِيدُ وَكُلَّمَا
هَجَرُوا تَفَاقَمَ أمْرُهُمْ	يَالَيْتَهُمْ دَاوُوا كمَا
جَرحُوا فَلَوْ طَبُّوا شَفُوا	هَيْهَاتَ لَوْلاَهُمْ لَمَا
ذَهَبَ الزَّمَانُ بَأنْ أقُو	لَ عَسَى وأرْجُو رُبَّمَا

ومجمل القول : فإن شعر ابن الجوزى غلب عليه الطابع التقليدى ، فى أغراضه وأساليبه وصوره ، وإن لم يخل من بعض ملامح الجمال والجودة .

(١) د. محمد نبيه حجاب : معالم الشعر وأعلامه فى العصر العباسى الأول ص ٢٤٢-٢٤٣ ، وانظر د. شكرى فيصل : أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ٦٣٨ .

وكان أثر ثقافته الأدبية واضحًا فى شعره ، وبخاصة شعر أبى العتاهية ، وظهر كذلك فى بعض شعره أثر عصره ومجتمعه البغدادى .

وقد كان ابن الفرات دقيقًا حينما ذكر أن نظم الشعر ، هو أدنى فضائل ابن الجوزى (١) .

---

(١) تاريخ ابن الفرات م (٤) ج (٢) ص ٢١٥ .

الباب الثالث

فنونه النثرية وخصائصها

الفصل الأول : نثره الوعظي .

الفصل الثاني : نثره التأليفي .

الفصل الثالث : مصنفاته الأدبية .

الفصل الأول

نثره الوعظي

المبحث الأول : مواعظه .

(أ) تفوقه في الوعظ .

(ب) وصف ابن جبير لمجالس ابن الجوزي الوعظية .

(ج) مصنفاته الوعظية .

المبحث الثاني : خطبه .

المبحث الثالث : قصصه .

المبحث الرابع : مقاماته .

المبحث الأول

مواعظه

(أ) تفوقه في الوعظ .

وعظ ابن الجوزى وهو دون العاشرة من عمره ، فهو يذكر أن أول مجلس تكلم فيه كان فى سنة (٥٢٠هـ) (١) .

ومما قاله فى ذلك (٢) : "قدم شيخنا أبو القاسم العلوى إلى بغداد ، فوعظ مدة وحُمِلْتُ إليه فى سنة عشرين ، وأنا صغير السن ، فلقنني كلمات من الوعظ ، وجلس لوداع أهل بغداد مُسنَداً إلى الرباط الذى عند باب السور فى الحلبة ، ورقّاني يومئذ المنبر فقلتُ الكلمات ، وحرر الجمع خمسين ألفاً (٣) " .

ثم أخذتْ مواهبه تظهر فى هذا الميدان ، وبخاصة أنه كان بفطرته صاحب ملكة فى الوعظ (٤) ، حتى برز فيه بصورة لم يُسبق إليها ، كما أقرَّ بذلك ابن كثير ، حيث قال :

"وتفرد بفن الوعظ الذى لم يُسبق إليه ، ولايلحق شأوه فيه وفى طريقته وشكله ، وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة ، فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك ، بحيث يجمع المعانى الكثيرة

---

(١) المنتظم ٢٥٩/٩ .
(٢) سبقت ترجمته فى الباب الأول .
(٣) مشيخة ابن الجوزى ص ١١٥ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٢/١ . أما بشأن عدد الجمع فيبدو أن الرقم فيه كثير من المبالغة .
(٤) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/ل .

في الكلمة اليسيرة " .(١)

لذلك لم يكن مستغربًا أن يصبح هذا الفن ، على يديه فنًا مستقلاً ذا سمات خاصة ، في الأسلوب والتعبير والصياغة والتصوير .(٢)

وبالتالي عُدَّ ابن الجوزي رائدًا لاينازعه ولايدانيه أحد في مجال الوعظ .(٣)

وقد حباه الله تعالى بكل المقومات التي تجعل منه واعظًا عظيمًا . يقول عن قدرته في الإرتجال :

"ولقد أقدرني الله على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ" .(٤)

وكان ابن الجوزي واعيًا يفقه واقع عصره ومعاصريه ، فاتبع الأسلوب المناسب في وعظهم فنجح في التأثير عليهم .(٥)

ومجالس ابن الجوزي لم يُسمع بمثلها ، ولم يكن لها شبيه . فقد كانت جامعة لكل حُسْنٍ ، وكان نفعها عظيمًا . يتعلم منها الجاهلون ، ويتذكر بها الغافلون ، ويتوب فيها

---

(١) البداية والنهاية ٢٨/١٣ ، والخوانساري : روضات الجنات ٣٥/٥ .

(٢) ابن الجوزي : تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ (مقدمة المحقق) ص ١٧٦ ، التبصرة (مقدمة المحقق) ١/م .
وهذا المستشرق الإنجليزي هـ.أ.جب يرى أن ابن الجوزي : "قدم نمطًا جديدًا من الأدب الوعظي" . المدخل في الأدب العربي ص ١٢١ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٢١ ، ابن الجوزي : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوي) ص ١٠ .

(٤) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٧٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٤ . وانظر الحديث عن إجادته للإرتجال في : ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .

(٥) ابن الجوزي : الشفاء في مواعظ الملوك (مقدمة المحقق) ص ٥ .

المذنبون ، ويسلم فيها المشركون .(١)

وقد بالغ بعض المؤرخين في ذكر أعداد الحضور لمجالسه، ومن ذلك ماقاله سبط ابن الجوزي :

"وأقل ماكان يحضر مجلسه عشرة آلاف ، وربما حضر عنده مائة ألف" .(٢)

وجاء على لسان ابن الجوزي أنه حضر عنده يوماً مايقارب من ثلاثمائة ألف شخص .(٣)

إلا أن الذهبي توقف عند هذه الأعداد الهائلة من الناس وحاول أن يُحكِم العقل والمنطق ، مع إقراره لابن الجوزي بالريادة والسبق ، فقال :

"حصل له من الحظوة في الوعظ مالم يحصل لأحد قط ، وحضر مجالسه ملوك ووزراء ، بل وخلفاء من وراء الستر ، ويقال : في بعض المجالس حضره مائة ألف فيما قيل ، والظاهر أنه كان يحضره نحو العشرة آلاف مع أنه قد قال غير مرة : إن مجلسه حُزر بمائة ألف ، فلاريب إن كان هذا قد وقع فإن أكثرهم لايسمعون مقالته " .(٤)

والمصادر التي تحدثت عن مجالس ابن الجوزي ، لم تذكر أنه كان يستخدم المرددين ، الذين يوصلون صوته لمن لايستطيع

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٠/١-٤١١ ، القنوجي :التاج المكلل ص ٦٧، د. عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ص ٨١٤-٨١٥ .

(٢) مرآة الزمان ٤٨٢/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣ .

(٣) المنتظم ٢٤٣/١٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٥/١، وانظر سيرته الذاتية في الباب الأول.

(٤) تذكرة الحفاظ ١٣٤٤/٤ . وذهب الشيخ الطنطاوي في مقدمته لصيد الخاطر إلى ماذهب إليه الذهبي فقال : "ولست أدري كيف كانوا يسمعون صوته ويفهمون عنه" ص ١١

سماعه ، كما أن صوت ابن الجوزى لم يكن جهوريًا[1] حتى يتمكن من ايصال وعظه لتلك الآلاف المؤلفة .

كل ذلك يجعلنى أشك فى صحة تلك الأعداد الهائلة من البشر ، التى يصعب أن يضمها مكان واحد مهما بلغ اتساعه .

لذا فالراجح أن الناس كانوا لايزيدون عن العشرة آلاف ، أو الخمسة عشر ألفًا - كأقصى حد - كما ورد ذلك عن ابن الجوزى (نفسه) : "وكان يحرز جمع مجلسى على الدوام بعشرة آلاف وخمسة عشر ألفا"[2] .

وأما تلك الأعداد الهائلة ، فلا تفسير لها إلاتسامح القدماء رحمهم الله تعالى فى ذكر الأعداد ، وأحيانًا المبالغة فى تكثيرها .

على أن ذلك لايعنى التقليل من إقبال الناس على مجالس ابن الجوزى ، فقد كانوا يحرصون أشد الحرص على حضورها ، وتروى فى ذلك أحاديث عجيبة . ومن ذلك ماقاله ابن الجوزى : "فأخذ الناس أماكن من وقت الضحى ، للمجلس بعد العصر ، وكانت هناك دِكاك فأكريت ، حتى إن الرجل كان يكترى موضعًا لنفسه ، بقيراطين وثلاثة"[3] .

وذكر ابن رجب ماكان يحدث فى تلك المجالس من غرائب فقال :

"ومن أعجب ماجرى أن حمّالًا حمل على رأسه درابونة[4] ، من

---

(١) انظر مقومات شخصية ابن الجوزى فى الباب الأول . وحتى لو كان ابن الجوزى جهوريًا ، فكم من الناس كان سيسمع؟
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٣/١ .
(٣) المنتظم ٢٤٠/١٠ ، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٤/١ .
(٤) لعله يريد مظلة .

وقت الظهر إلى وقت العصر ، ظلل بها من الشمس عشرة أنفس ، فأعطوه خمس قراريط (١) ، واشتريت مراوح كثيرة بضعف ثمنها وصاح رجل يومئذ : قد سُرق مني الآن مائة دينار في هذه الزحمة ، فوقع له أمير المؤمنين بمائة دينار" (٢) .

---

(١) الصواب : خمسة قراريط .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٥ .

(ب) وصف ابن جبير لمجالس ابن الجوزى .

يعد محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى (٥٤٠ - ٦١٤هـ) (١) أبرع من كتب عن مجالس ابن الجوزى الوعظية ، حتى سبطه لم يستطع أن يسجل ماسجله ابن جبير ، الذى وصف تلك المجالس وصفًا معاينًا (٢) وذلك فى أثناء رحلته للحج .

وقد وصف ماكان يدور فى تلك المجالس من ابن الجوزى ، ومن القرَّاء ، ومن الحاضرين بإسهاب ، لذلك يعد وصفه : "وثيقة نادرة المثال" (٣) .

قال ابن جبير : "ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده ، مجلس الشيخ الفقيه ، الإمام الأوحد ، جمال الدين أبى الفضائل بن على الجوزىّ ، بإزاء داره على الشط ، بالجانب الشرقى وفى آخره ، على اتصال من قصور الخليفة ، وبمقربة من باب البَصَلِيَّة آخر أبواب الجانب الشرقى ، وهو يجلس به كل يوم سبت . فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمْرٍو ولازيد ، وفى جوف الفَرَا كلُّ الصيد (٤) ، آية الزمان ، وقرَّة عين الإيمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص فى العلوم بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق

---

(١) زار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة (٥٧٨ - ٥٨١هـ) وفيها ألف رحلته ، وكان قدومه إلى بغداد سنة (٥٨٠هـ) . انظر فى ترجمته : ابن العماد : شذرات الذهب ٥/٦٠-٦١ الزركلى : الأعلام ٥/٣١٩-٣٢٠ ، مقدمة المحقق الدكتور حسين نصار لرحلة ابن جبير .

(٢) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٣٠ .

(٣) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ١١ .

(٤) مقتبس من المثل "كلُّ الصيد فى جوف الفَرَا" والفرا حمار الوحش . انظر قصة هذا المثل : العسكرى : جمهرة الأمثال ٢/١٦٢-١٦٣ ، ويريد ابن جبير أن ابن الجوزى لامثيل له .

الكريم فى البلاغة والبراعة ، مالك أزمّة الكلام فى النظم والنثر ، والغائص فى بحر فكره على نفائس الدُّر ، فأما نظمه فرضىّ الطباع ، مهيارىّ[1] الانطباع ، وأما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويعطل المثل بقُسٍّ[2] وسحبان .

ومن أبهر آياته ، وأكبر معجزاته ، أنه يصعد المنبر ، ويبتدىء القُرَّاءُ بالقرآن ، وعددهم نَيِّف على العشرين قارئًا ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن ، يتلونها على نسق بتطريب وتشويق[3] ، فإذا فرغوا ، تلت طائفة أخرى على عددهم آيةً ثانية . ولايزالون يتناوبون آياتٍ من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات مشتبهات ، لايكاد المتَّقد الخاطر يُحمِّلها عددًا ، أو يسميّها نسقًا . فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن فى إيراد خطبته ، عَجِلاً مبتدرًا وأفرغ فى أصداف الأسماع من ألفاظه دررًا ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات فى أثناء خطبته فِقرًا ، وأتى بها على نسق القراءة لها ، لامقدّمًا ولامؤخرًا . ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها . فلو أنَّ أبدع مَنْ فى مجلسه تكلّف تسمية ماقرأ القُرَّاء آية آية على الترتيب ، لعجز عن ذلك . فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً ، ويورد الخطبة الغراء بها عجلاً ! {أفَسِحْرٌ هذَا أمْ أنْتمْ لاتُبْصِرُونَ}[4] ، {إنَّ هذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ}[5] .

فحدِّث ولاحَرَج عن البحر ، وهيهات، ليس الخَبَرَ عنه كالخُبْرِ[6]

---

(١) سبقت ترجمتهما فى الباب الثانى .
(٢) انظر ترجمتهما فى الفصل الثانى من هذا الباب .
(٣) هذا ينافى الحكمة من تلاوة القرآن الكريم .
(٤) سورة الطور : ١٥
(٥) سورة النمل : ١٦
(٦) الخُبْرُ بالضمة أى الاختبار بالمعاينة .

ثم إنَّه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ ، وآيات بيِّناتٍ من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقًا ، وذابت بها الأنفس احتراقًا ، إلى أن علا الضجيج ، وتردد بشهقاته النشيج وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كلٌّ يُلقي ناصيته بيده فيجُزُّها ، ويمسح على رأسه داعيًا له ، ومنهم من يُغشى عليه ، فيُرفع في الأذرع إليه ، فشاهدنا هولًا يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكِّرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر (١) ، ونعتسف (٢) مفازات القفر ، إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابحة ، والوجهة المفلحة الناجحة ، والحمد لله على أنْ مَنَّ بلقاء من يشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ، وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتطير إليه الرِّقاع ، فيجاوب أسرع من طرْفةِ عين وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا إله سواه. ثم شاهدنا مجلسًا ثانيًا له ، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر ، بباب بدر ، في ساحة قصور الخليفة ، ومناظره (٣) مشرفة عليه ، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخُصَّ بالوصول إليه والتكلم فيه ، ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ، ومن حضر من الحرم . ويُفتح الباب للعامة ، فيدخلون إلى ذلك الموضع ، وقد بُسِط بالحصر . وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس .

فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى

---

(١) أي وسط البحر .
(٢) الاعتساف هو الركوب على الطريق من غير هداية ولادراية .
(٣) أي النوافذ .

أن وصل هذا الحَبْرُ المتكلم (١) ، فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعًا لحرمة المكان ، وقد تسطّر القُرّاء أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوّقوا ماشاءوا ، وأطربوا ماأرادوا . وبدرت العيونْ بإرسال الدموع فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء ، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشّى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب ، إلى أن أكملها ، وكانت الآية {اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنَّهارَ مُبْصِرًا إنَّ اللَّهَ لَذو فَضْلٍ على النَّاسِ} (٢) .

فتمادى على هذا السِّين (٣) ، وحسَّنَ أيَّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة ، والدعاء له ولوالدته ، وكنَّى عنها بالسِّتر الأشرف ، والجناب الأرْأف ، ثم سلك سبيله في الوعظ . كلٌّ ذلك بديهة لاروية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات ، على النسق مرة أخرى فأرسلتْ وابلها العيونْ ، وأبدتْ النفوس سرّ شوقها المكنون ، وتطارح النَّاس عليه بذنوبهم معترفين (٤) ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الألباب والعقول ، وكثر الوله (٥) والذهول ، وصارت النفوس لاتملك تحصيلاً ، ولاتميِّز معقولاً ، ولاتجد للصبر سبيلاً . ثم في

---

(١) هو كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ .
(٢) سورة غافر : ٦١
(٣) أى في الكلام المسجوع بحرف السين .
(٤) الاعتراف من شعائر النصرانية ، أما الإسلام فيرغب المسلم بستر ذنبه ، والتوبة منه لله وحده . انظر ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الطنطاوى) ص ١٢ ، كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٣٣ .
(٥) الوله : التحير من شدة الوجد .

أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق ، تُشعل القلوب وجْدًا ، ويعود موضعها النَّسيبى زهدًا، وكان آخر ما أنشده من ذلك ، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل(١) سهامُ ذلك الكلام :

أيْنَ فُؤادِى أذَابَه الوَجْدُ ‏ وأيْنَ قَلْبِى فمَا صَحَا بَعْدُ
يَاسَعْدُ زِدْنِى جَوًى بِذِكْرِهِمْ ‏ بِاللَّهِ قُلْ لِى فُدِيتَ يَاسَعْدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشًا عَجِلاً ، وقد أطار القلوب وجلاً، وترك الناس على أحرِّ من الجمر ، يشيِّعونه بالمدامع الحُمْر ، فمن معلن بالانتحاب ، ومن متعفر فى التراب . فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما أسعد من رآه ! نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفى أول مجلسه ، أنشد قصيدًا نيِّر القَبَس ، عِراقىّ النَّفَس فى الخليفة ، أوله :

فِى شُغْلٍ مِن الغَرَامِ شَاغِلِ ‏ مَنْ هَاجَهُ البَرْق بِسفْحِ عَاقِلِ

يقول فيه عند ذكر الخليفة :

يَاكَلِمَاتُ اللَّهِ كُونِى عُوذَةً ‏ مِنَ العُيونِ للإمَامِ الكَامِلِ

ففرغ من إنشاده ، وقد هز المجلس طربًا ، ثم أخذ فى شأنه ، وتمادى فى إيراد سحر بيانه . وماكنا نحسب أن متكلمًا فى الدنيا يُعْطَى من ملكة النفوس والتلاعب بها ،

---

(١) جمع مقتل ، وهو العضو الذى إذا أصيب لايكاد صاحبه يسلم .
ومن عجائب مايروى فى هذا المجال ، ماذكره سبط ابن الجوزى عن موت ثلاثة ممن حضروا أحد مجالس جدّه وجْدًا .
انظر : مرآة الزمان ٤١٥/٨ .

ما أعطى هذا الرجل ، فسبحان من يخصّ بالكمال من يشاء من عباده لا إله غيره .

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعّاظ بغداد ، ممن نستغرب شأنه ، بالإضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب . وكنّا قد شاهدنا بمكة والمدينة ، شرفهما الله ، مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد ، فصغرت ، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذ ، في نفوسنا قدرًا ، ولم نستطب لها ذكرًا . وأين تقعان مما أريد ، وشتّان بين اليزيدين ، وهيهات! الفتيان كثير ، والمثل بمالك يسير[2] ! ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه ، ويروق استطلاعه .

وحضرنا له مجلسًا ثالثا ، يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضع المذكور ، بإزاء داره على الشط الشرقي . فأخذت معجزاته البيانية مأخذها ، فشاهدنا من أمره عجبا ، صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سُحبا ، وأسال من أدمعهم وابلاً سَكْبًا[3] ، ثم جعل يردد في آخر مجلسه أبياتًا من النسيب ، شوقًا زُهديًا وطربًا ، إلى أن غلبته الرقة ، فوثب من أعلى منبره والِهًا

---

(١) مثل منتزع من البيت المشهور لربيعة الرقي :
لشتانَ مابينَ اليزيدينِ في النَّدى
يزيدُ سليم والأغرِّ بن حاتِم

(٢) هو مالك بن نويرة اليربوعي التميمي . كان فارسًا شجاعًا حتى قيل عنه : "فتىً ولا كمالك" أدرك الإسلام ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بني يربوع قتله خالد بن الوليد حين وجهه أبوبكر الصديق لقتال أهل الردة سنة (١٢هـ) . واختلف في مقتله هل قتل مسلمًا أم كافرًا ؟
انظر : ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٦٢/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣٢١/٦-٣٢٣ ، العسكري : جمهرة الأمثال ٩١/٢ ، البغدادي : خزانة الأدب ٢٤/٢-٢٨ ، الزركلي : الأعلام ٢٦٧/٥ .

(٣) وابلا سكبا : أي المطر الشديد مع استمرار هطلانه .

مكتئبا ، وغادر الكلُّ متندمًا على نفسه منتحبًا ، لهفان ينادى : ياحسرتًا واحربًا ، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى ، وكلٌّ منهم بعّدٌ من سكرته ماصحا ، فسبحان من خلقه عبرة لأولى الألباب ، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب لا إله سواه " .(١)

وقد جاء فى وصف ابن جبير السابق بعض المبالغة ، التى اقتضاها السجع أحيانًا ، ولكن وعلى الرغم من ذلك فإن القارىء يُدرك ماكان لمجالس ابن الجوزى من الأثر الكبير فى نفوس معاصريه .(٢)

وقد تأثر الوعاظ من بعده بأسلوبه ، فظهرت مدرسة وعظية فى القرن السابع ، تنحو منحى ابن الجوزى . كان منها الواعظ البغدادى إبراهيم بن المظفر (المتوفى ٦٢٢هـ) المعروف بابن البذى . الذى أخذ الفن عن ابن الجوزى ، وعز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى (المتوفى بالقاهرة ٦٧٨هـ) .(٣)

---

(١) محمد بن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٠٦-٢١١ ، أبو الحسن الندوى : مختارات من أدب العرب ٢/١٠٣-١٠٧ .
(٢) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٣٤ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٠٩ ، د. عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ص ٨٢٣ ، على الخاقانى : شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم ١/١٤٤ .

(ج) مصنفاته الوعظية .

جمع ابن الجوزى ماقاله فى مجالسه الوعظية فى كتب خاصة ، ويلاحظ فى هذه الكتب أن : "لغة الخطاب تنبىء أنه كان يتوجه بكلماته إلى من كان يجلس أمامه ، يذكرُّه ، ويؤنبه ، ويرغبه ، ويرهبه ..." (١) .

لذا تعد هذه الكتب تسجيلاً حيًّا لمجالس ابن الجوزى (٢) .

ومع أن ابن الجوزى غلب على معظم كتاباته جانب الوعظ (٣) حتى قلّ أن نجد له نثرًا يخلو من الوعظ . فهذا صيد الخاطر — مثلا — اشتمل على "مواعظ تمل إلى قرارة النفس ، يخاطب فيها القلبَ بالعاطفة والعقلَ بالدليل ..." (٤) .

إلا أن ماجمعه فى تلك الكتب من المواعظ ، التى كان ينشرها فى مجالسه ، يعد من النثر الوعظى الخالص . وظهرت فيه أستاذيته التى أشار إليها المؤرخون ، وذلك كما فى كتبه : التبصرة ، والمدهش ، وبستان الواعظين فى رياض السامعين ، والتذكرة فى الوعظ ، وروح الأرواح ، والياقوتة فى الوعظ ، وغيرها (٥) .

ولم يعد الوعظ عند ابن الجوزى مجرد التذكير المباشر أو الأمر والنهى الذى قد لايثير المشاعر ، بل تجاوز ذلك ، وصار لونًا أدبيًّا تميز به فى شكله ومضمونه ، حيث جاء فى

---

(١) ابن الجوزى : المدهش (مقدمة المحقق) ص ١٣ .
(٢) المصدر السابق ، التذكرة فى الوعظ (مقدمة المحقق) ص ٦ ، بستان الواعظين (مقدمة المحقق) ص ١٣ .
(٣) عبد الله حمد العويشق : الأدب فى الحياة والعقيدة ص ٢٤٤ .
(٤) (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٢٧ .
(٥) انظر السبكى : معيد النعم ومبيد النِقم ص ١١٤ ، وانظر أيضًا مصنفات ابن الجوزى فى الباب الأول .

صور متنوعة ، منها الحكاية ، والحوار ، والمثل ، والوصف ، وأفاد من الحيوان والنبات كذلك لغرض الوعظ ، كما في كتابه "ايقاظ الوسنان" الذي قال فيه : "وقد نوعت فنون ما أمليت من المواعظ وأقمت الحيوان والنبات في هذا الكتاب كالواعظ ..." (١) .

أما أسلوبه فكان يعتمد على : "العبارة الرائقة ، والإشارة الفائقة ، والمعاني الدقيقة ، والاستعارة الرشيقة" (٢) .

ويبدو أن الوعظ كان أقرب الفنون ، وأحبها إلى نفس ابن الجوزي (٣) لهذا أجاد في صياغة مواعظه حتى استطاع أن يغوص بها إلى أعماق النفس (٤) .

وقد ظهر أثر القرآن الكريم جليًّا في مواعظه ، حيث كان "يتابع الجملة القرآنية ويستهدي بها ، ويقتبس منها في كلامه" (٥) .

كما كان يكرر الآية أو الجملة القرآنية على وجه فريد يبدو أنه كان موضع استحسان في عصره (٦) .

---

(١) مقدمة الكتاب نقلا عن د. ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ص ٤٠ .
(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١١/١ .
(٣) ابن الجوزي : كتاب الموضوعات (مقدمة المحقق) ٢١/١ .
(٤) ابن الجوزي : المدهش (مقدمة المحقق) ص ١٢ .
(٥) علي جميل مهنا : ابن الجوزي ومقاماته الأدبية ص ٥٧٨ . وانظر د. مصطفى عبد الواحد : ابن الجوزي ونشره في مجال الدعوة والتربية (محاضرة مخطوطة) الورقة ٣٦ ، وانظر رحلة ابن جبير فيما سبق من الصفحات . كما أشار المستشرق "غوستاف فون غرونباوم" إلى أثر الإسلام ، وبخاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مواعظ ابن الجوزي من خلال استشهاده بنصوص وعظية أخذها من كتاب "بستان الواعظين" . انظر دراسات في الأدب العربي ص ٥٢ .
(٦) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٤٦ .

ومن أمثلة تأثره بالقرآن الكريم قوله : "إخواني ، مَثّلوا أهل الجنّة {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ} (١) و {نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} (٢) ومعهم توقيع {لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ} (٣) فلما وصلوا إلى الجنّات {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} (٤) وبداهم الخزنة {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ} (٥) وبشروهم بالبقاء الدائم {فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٦) وقرات الأملاك من الإملاك مبلغ الثمن {بِمَا صَبَرْتُمْ} (٧) وجميع المرادات داخلة في إقطاع {مَاتَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ} (٨) وقد استرجح في الميزان {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} (٩) وأتم التمام {وَمَاهُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} (١٠) ..." (١١) .

ومن أمثلة سجعه على الجملة القرآنية قوله : "إن مواعظ القرآن تذيب الحديد ، وللفهوم كل لحظة زجر جديد وللقلوب النيرة كل يوم به عيد ، غير أن الغافل يتلوه ، ولايستفيد {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} (١٢) .

أما الموت للخلائق مبيد ، أما تراه قد مزقهم في البيد أماداسهم بالهلاك دوّس الحصيد ، ولابالبسيط ينتهون ولابالتشديد ، أين من كان لاينظر بين يديه ؟ أين من أبصر العِبرَ ولم ينتفع بعينيه ؟ أين مَن بارز بالذنوب المطلع

---

(١) سورة مريم : ٨٥
(٢) سورة التحريم : ٨
(٣) سورة يونس : ٦٢
(٤)،(٥)،(٦) سورة الزمر : ٧٣
(٧) سورة الرعد : ٢٤
(٨) سورة فصلت : ٣١
(٩) سورة (ق) : ٣٥
(١٠) سورة الحِجْر : ٤٨
(١١) المدهش ص ٢١٧-٢١٨ .
(١٢) سورة (ق) : ٤٥

عليه ؟ {وَنَحْنُ أقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد} (١) (٢) ..." .

واستخدم ابن الجوزى بعض أركان الصلاة لغرض الوعظ ، إذ يقول :

"ياهذا الشيب آذان والموت إقامة ، ولست على طهارة ، العمر صلاة ، والشيب تسليم ..." (٣) .

ومن جَرَّاء التركيز فى قول ابن الجوزى السابق ، وقدرته على تجسيد مايريده ، فى عبارات موجزة ، جعل السامع يتخيل عمره كله ، يمر بين عينيه كأنه ومضة .

وأجرى ابن الجوزى حوارًا شائقًا بين بعض الكائنات ، من ذلك قوله :

"واعجبًا ، لمن رأى هلاك جنسه ، ولم يتأهب لنفسه قال البازى للدِّيك : ليس على الأرض أقل وفاءً منك ، أخذك أهلك بيضة فحضنوك ، فلما خرجتَ جعلوا مهدك حجورهم ، ومائدتك أكفهم ، حتى إذا كبرتَ صرت لايدنو منك أحد ، إلا طرتَ هاهنا وهاهنا وصحت ، وأنا أُخِذْتُ مُسنًّا من الجبال ، فعلّمونى ثم أرسلونى ، فجئت بميدى فقال له الدِّيك : إنك لم تر بازيا مشويا فى سَفُّود (٤) . وكم رأيت فى سَفُّود من ديك " (٥) .

وأجرى أيضًا حوارًا بين دودة القز والعنكبوت :

"لمّا أخذ دود القزِّ ينسج ، أقبلتْ العنكبوتُ تتشبه ، وقالت : لك نسج ولى نسج ، فقالت دودة القز : ولكن نسجى

---

(١) سورة (ق) : ١٦

(٢) التبصرة ١/١٠٤ .

(٣) المدهش ص ٢٩٢ .

(٤) السفُّود بالتشديد : الحديدة التى يُشوى بها اللحم . (الجوهرى : الصحاح) ٢/٤٨٩ .

(٥) المدهش ص ٣٣٤-٣٣٥ .

أردية الملوك ، ونسجك شبكة للذباب . وعند مس النسيجين يبين الفرق" (١) .

كذلك أجرى حوارًا بين شجرة الصنوبر وشجرة الدُّباء :

"شجرة الصنوبر تثمر فى ثلاثين سنة ، وشجرة الدُّبا تصعد فى أسبوعين ، فتدرك الصنوبر ، فتقول شجرة الدُّبا : إن الطريق التى قطعتها فى ثلاثين سنة ، قد قطعتها فى أسبوعين فيقال : لك شجرة ، ولى شجرة . فتجيبها : مهلا إلى أن تَهُبَّ ريح الخريف ، وكم متشبه بالصالحين فى تخشعه ولباسه وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه : {وهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (٢) فى ظلمة الليل يتشبه الشجر بالرجال ، فإذا طلع الفجر بانَ الفرق ، فى وقت الضحى يتمثل السراب بالماء، فمن قرب منه لم يجده شيئًا" (٣) .

ومن الأمثلة السابقة ، نلاحظ قدرة ابن الجوزى على صياغة الحوار ، الذى جاء سهلاً خاليًا من التكلف ، وإن كان يؤخذ عليه تصريحه بالغرض الذى أنشأ الحوار من أجله ، فقلل من قيمته فنيًا ، وجعله مقتصرًا على الوعظ . فقط .

ويأتى ابن الجوزى فى مواعظه بحكايات عن الصالحين ، فيها الكثير من العبر التى يودُّ أن يرسخها فى أذهان سامعيه وقرائه ، بأسلوب قصصى مشوق ، ومن ذلك قوله :

"جاء رجل من السلف إلى بيت صديق له ، فخرج إليه فقال ماجاء بك ؟ قال : علىَّ أربعمائة درهم ، فدخل الدار فوزنها ثم خرج . فأعطاه ثم عاد إلى الدار باكيًا ، فقالت زوجته :

---

(١) المدهش ص ٤١٨-٤١٩ .
(٢) سورة الكهف : ١٠٤
(٣) اللطف فى الوعظ ص ٥٧ ، وانظر المدهش ص ٤١٩ .

هلّا تعللت(١) عليه إذا كان اعطاؤه يشق عليك ؟ فقال : إنما أبكى لأنى لم أفتقد حالة ، فاحتاج أن يقول لى ذلك"(٢) .

وقال أيضا : "... حدثنى أبو الحسين محمد بن إسحاق بن عبد التمار(٣) . قال : كان فى جوارنا فلان ، فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به لايعرفه ، وكان فى كُمه صرتان ، فى إحداهما دنانير وفى الأخرى دراهم ، فأراد أن يعطيه درهمًا فأعطاه دينارًا ، وانصرف الضرير وهو لايشك أن معه درهمًا ، فبكّر به إلى بقال يعامله ، فقال له : خذ هذا الدرهم ، واحسب مالك علىّ ، وأعطنى بالباقى كذا وكذا ، فقال له البقّال : ياهذا من أين لك هذا ؟ قال : أعطانيه البارحة فلان . قال : إنه دينار ، فأخذه الضرير وجاء به من الغد إلى الرجل ، فقال : إنك تصدقت علىّ بهذا ، وأظنك أردت أن تعطينى درهمًا فغلطت ، فقال له الرجل : قد وهبته لك ، وإذا كان رأس كل شهر ، فتعال إلىّ حتى أعطيك شيئًا آخر مجازاة لأمانتك ، فكان يجيئه فى رأس كل شهر ، فيعطيه خمسة دراهم . قال : فلم أدر هل أعجب من أمانة الضرير ، أم من أمانة البقال ؟"(٤) .

ويظهر جليًا الغرض الوعظى فى الحكايتين السابقتين ، مما يدل على أن ابن الجوزى اختارهما بعناية ، ليعبرا عن معانى التآخى فى الله ، والوفاء ، والصدق ، والإخلاص ...الخ من خلال أدائهما القصصى ومجريات أحداثهما .

غير أن ابن الجوزى اكتفى هنا بدور الراوية ، الذى يروى

---

(١) أى اعتذرت بعلة من العلل .
(٢) التبصرة ٢/٣٠٢ .
(٣) لم أجد ترجمته .
(٤) ملتقط الحكايات ص ٣٦-٣٧ .

الحكايات ، كما سمعها عن غيره ، دون أن يتدخل فى بناء الحكاية ، قانعًا بالسرد فقط .(١)

ويقوم ابن الجوزى أحيانًا ، بتسخير الحكاية لغرض الوعظ ، بشكل طريف كما فى قوله :

"ياواقفًا فى صلاته بجسده والقلب غايب ، مايصلح مابذلته من التعبد ، مهرًا للجنّة فكيف ثمنًا للجَنّة ، رأت فأرة جملاً فأعجبها ، فجرّت خطامه فتبعها ، فلمّا وصل إلى باب بيتها ، وقف ونادى بلسان الحال ، إما أن تتخذى دارًا يليق بمحبوبك أو محبوبًا يليق بدارك ، خذ من هذا إشارة إما أن تصلى صلاة تليق بمعبودك ، أو تتخذ معبودًا يليق بصلاتك" .(٢)

ويبدو أن هذه الحكاية التى جاء بها ابن الجوزى هنا هى من تأليفه ، صاغها بحيث تناسب المقام الوعظى الذى هو بصدده .

وكان ابن الجوزى ، يأتى بالمثل فى مواعظه ، بصورة تضفى عليه ظلالاً من المعانى الوعظية ، كما فى هذه اللوحة القصصية ، التى صاغها ابن الجوزى على شكل حكاية :

"كان لبّانٌ يخلط اللبن بالماء ، فجاء سيل فأهلك الغنم فجعل يبكى ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً . ولسان الجزاء يناديه : يداك أوكتاوفوك نفخ ..."(٣)

---

(١) وفى هذا الكتاب ذكر ابن الجوزى (٥٧) حكاية ، بدأ كل واحدة منها بكلمة (حكاية) ثم يقوم ابن الجوزى بسردها كما سمعها عن غيره ، وكل الحكايات كان غرضها الوعظ .

(٢) المدهش ص ٤٥٦ .

(٣) اللطف فى الوعظ ص ١٩ ، والمثل يقال لمن يوقع نفسه فى مكروه . انظر قصته : العسكرى : جمهرة الأمثال ٢/٤٣٠ .

كما كان يُحسِن ضرب المثل بالشعراء والبلغاء ... الذين عُرفوا في الأدب العربي بصفات معينة ، حيث استطاع أن يُسخِّر اشتهارهم بتلك الصفات ، في سبيل وعظ الناس والتأثير عليهم معتمداً في ذلك على معرفتهم بتلك الشخصيات ، يقول في وصف حال التائبين :

"فلو رأيت وكْفَ شؤونهم قلت : قد انقطع شريان الغمام ، هذا يعاتب نفسه على التقصير ، وهذا يتفكر في هول المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، منازل تعبدهم متناوحة ، وفي كل بيت منهم نايحة ، تائبهم أبكى من متمم (١) ، ومحبهم أتيم من مرقش (٢) ، ومشتاقهم أقلق من قيس (٣) ، وكلهم قد بات بليل النابغة (٤)

---

(١) متمم بن نويرة التميمي ، صحابي توفي سنة (٣٠هـ) كان شديد الحب لأخيه مالك - الذي سبقت ترجمته - فلما قتل حزن عليه وقال فيه المراثي .
انظر في ترجمته : ابن عبد البر : الاستيعاب ١٤٥٦/٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣٢٢/٦ ، البغدادي : خزانة الأدب ٢٤/٢-٢٨ ، الزركلي : الأعلام ٢٧٤/٥ .

(٢) هما اثنان أكبرهما عوف (أو عمر) بن سعد بن مالك من بني بكر بن وائل ،من شعراء الجاهليين المتيمين ، عشق ابنة عمه (أسماء) وماتت مريضاً بعد زواجها من غيره ، أما الأصغر وفي اسمه خلاف فقيل عمرو وحرملة وربيعة وهو ابن أخ المرقش الأكبر وعم طرفة بن العبد عشق بنت عجلان فبلغ من وَجْدِه بها أنه قطع سبّابته بأسنانه .
انظر : العسكري : جمهرة الأمثال ٢٨٣/١-٢٨٤ ، البغدادي: خزانة الأدب ٣١٢/٥-٣١٣ ، الزركلي : الأعلام ١٦/٣، ٩٥/٥.

(٣) قيس بن الملوح العامري ، الذي عشق ليلى بنت المهدي ، فعُرف بالمجنون ، كان من أشعر الناس ، وقد اختلف في وجوده فذهب قوم إلى أنه مستعار لاحقيقة ، انظر الخلاف بالتفصيل : ابن الجوزي : ذم الهوى ص ٣٨٠-٤٠٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٧٠/١-١٧١، ١٨٢ ، البغدادي : خزانة الأدب ٢٢٩/٤-٢٣٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٧٧/١-٢٧٨ ، الزركلي : الأعلام ٢٠٨/٥ .

(٤) زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، أحد أصحاب المعلقات ، كان محظيًا عند النعمان بن المنذر ، حتى قيل إنه شبب بالمتجردة زوجة النعمان ، فغضب عليه ففر النابغة ووفد على خصومه الغساسنة في الشام =

التائب يقول : أنا المقر على نفسي بالخيانة . أنا الشاهد عليها بالجناية " (١) .

وقال ساخرًا من كل من يقبل على الدنيا وينسى الآخرة :

"أنت في حديث الدنيا أفصح من سحبان وائل (٢) ، وفي ذكر الآخرة أعيا من باقل (٣) ، تقدم على الفاني ، ولا إقدام ابن معدى كرب (٤) وتجبن عن الباقي ولاجبن حسان (٥) ، ويحك إنما تعجب الدنيا من لافهم له ، كما أن أضغاث الأحلام تسر النائم " (٦) .

= ونسب إليه الليل لأنه أكثر من وصفه بالطول والشناعة كما في قوله :
كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبٍ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب
انظر محمد محيي الدين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ١٤٥-١٤٦ ، الزركلي : الأعلام ٥٤/٣ ، ديوان النابغة ص ٥٤ .

(١) المدهش ص ١٦٥ .

(٢) انظر ترجمته في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٣) باقل الإيادي ، جاهلي يضرب المثل بعيه ، اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فسئل عن ثمنه ، فمد لسانه ويديه يريد أحد عشر ، فشرد الظبي . انظر العسكري : جمهرة الأمثال ٧٢/٢-٧٣ ، الزركلي : الأعلام ٤٢/٢ .

(٤) عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وكنيته أبو ثور ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد زبيد ، فأسلم في سنة تسع وكان فارسا مشهورا بالشجاعة ، شهد الفتوح بالعراق ، قتل يوم القادسية ، وقيل بل مات عطشا يومئذ .
انظر : ابن عبد البر : الاستيعاب ١٢٠١/٣-١٢٠٥ ، البغدادي : خزانة الأدب ٢٤٤/٢ ، الزركلي : الأعلام ٨٦/٥

(٥) حسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الإسلام ، انظر في ترجمته: ابن عبد البر : الاستيعاب ٣٤١/١-٣٥١ ، ابن الجوزي : تلقيح فهوم الأثر ص ١٨١ .
ولا أدري كيف تورط ابن الجوزي في ترديد مثل هذا الكلام الخطير في أحد كتبه ، مع أنه يعد سبا لأحد الصحابة ، الذي نهى عنه الرسول في قوله : "لاتسبوا أصحابي ، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ، مابلغ مُدّ أحدهم ولانصيفه ". روى الحديث البخاري ومسلم . انظر فتح الباري ، فضائل الصحابة ٢١/٧ ، صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ١٩٦٧/٤ .
أوليس حسان ، هو الذي نافح عن الإسلام بأمر الرسول حين قال له : "أجب عنّي ، اللهم أيده بروح القدس" . صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ١٩٣٣/٤ ؟

(٦) اللطف في الوعظ ص ١٨ .

وجاء الوصف في مواعظ ابن الجوزى ، وهو ينم عن قدرة بيانية عالية ، يقول في وصف الربيع ، مشيرًا بأن كل مافي الربيع يسبح بحمد الله ، كلٌّ بلغته :"فلما وقعت شمس الشتاء في الطفل (١) نشأ أطفال الزرع ، فارتبع الربيع وسط بلاد الزمان ، فأعار الأرضَ أثواب الصِّبا ، وروّح كربها بنسيم الصَّبا ، فانتبهت عيون النور من سِنة الكرى ، ونهضت عرائس النّبات تَرْفُل في أنواع الحُلَل ، فكأن عين النرجس عَيْن (٢) ، وورقه وَرِق (٣) ، فالشقائق تحكى لون الخجل ، والبَهار (٤) يصف حال الوَجِل ، والبنفسج كآثار العضّ في الغضّ ، والنينوفر يُغفى وينتبه والأغصان تعتنق وتفترق ، والأراييج قد بثت أسرارها إلى النسيم ، فنمّ فاجتمعت في عُرس التواصل فنون القيان ، فعلا كل ذي فن على فنن (٥) ، فتطارحت الأطيار مناظرات السجوع ، فأعرب كلٌّ بلغته عن شوقه ، فالحَمام يهدر طربًا ، والبُلبل يخطب سببًا ، والقُمْريُّ يُرجِّع تعجبًا ، والمُكّاء (٦) يُغرِّد ، والأغصان تتمايل كلها ، تشكى للذى بيده عقدة النكاح وتتطاول ، فحينئذ تجد خياشيم المشوق ضالة وجده (٧) " .

ويقول ابن الجوزى في وصف الليل ، مصورًا المشاعر التى

---

(١) الطّفل : يعنى المطر . (الجوهرى : الصحاح) ١٧٥١/٥ .
(٢) عيْن : أى دينار .
(٣) وَرِق : درهم .
(٤) بهار البرّ : نبت جعد له فقاحة صفراء ، تنبت أيام الربيع فيقال لها : العرارة . (الجوهرى : الصحاح) ٥٩٩/٢ .
(٥) الفنن : الغصن .
(٦) المُكّاء : طائر صغير يألف الريف ، يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرًا حسنًا .
ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى ص ١٩٣ .
(٧) اللطف في الوعظ ص ٩-١٠ ، وانظر المدهش ص ٣١٩-٣٢٠ .

تنتاب المرء، من خمول ورغبة فى السبات، مبينًا أن من وفقه الله تعالى لمجاهدة نفسه سيحظى برضوانه :

"سفر الليل لايطيقه إلا مضمَّر المجاعة ، تجتمع جنود الكسل فتتشبث بذيل التوانى ، فتُزين حُبَّ النوم ، وتزخرف طيب الفراش ، وتخوف برد الماء ، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم أضاءت بها طريق القصد" (١) .

ويقول فى وصف الدنيا ، موضحًا أن زخرفها يفوت على الناس ربح الآخر :

"الدنيا خمرٌ ساعدَها تغريد طائر الطبع ، فاشتد سُكر الشارب ، ففات موسم الربح ، ثم بعد الإفاقة يُقام الحدُّ ، ويكفى فى الضرب فوتُ الخير ، فإذا ماتوا انتبهوا ،ويحك إن الموت سحاب والشيب وبله ..." (٢) .

ومن النماذج السابقة ، يتضح لنا أسلوب ابن الجوزى فى مواعظه ، فرأيناه مرة مرسلاً لاتكلف فيه ، كما فى حواراته وبعض وصفه .

وجاء تارة أخرى على هيئة جمل إنشائية مسجوعة ، حافلة بالصور البيانية ، من استعارة وتشبيه وكناية ، قصدًا إلى التأثير والإيضاح (٣) .

ويبدو أن سر لجوء ابن الجوزى إلى السجع فى إسلوبه ، هو أن عصره كان يرى فى السجع قدرة أسلوبية – كما رأينا فى وصف ابن جبير – وبخاصة فى مواطن التأثير والتحذير ، لهذا رآه مناسبًا لمجال الوعظ ، لأنه يتطلب التفنن فى التأثير

---

(١) اللطف فى الوعظ ص ١٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٣) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/ن – س .

والإيحاء (١) .

ومن المعروف أن السجع إن سلم من التكلف ، وبرىء من التعسف كان حسنا (٢) ، ومعظم سجع ابن الجوزى لاتعقيد فيه ، فقد كان طبيعيًا غير مستكره (٣) ، التزم فى بعضه بالفاصلة ، التى يبنيها على جزء من آية قرآنية .

وقد حرص ابن الجوزى فى سجعه ، على التناسب فى طول الجمل ، وكذلك المواءمة بين إيقاعاتها ، ومن ذلك ، قوله :

"ياتائهًا فى الضلال بلادليل ولازاد ، متى يوقظك منادى الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد ، قل لى متى تتيقظ وماضى الشباب لايُعاد ، ويحك كيف تقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولازاد ، ستندم إذا كان الرحيل وأمسيت مريضًا تُعاد ، ومُنعتَ التصرف فيما جمعتَ وقطّعت الحسراتُ منك الأكباد ، فجاءتك السكراتُ ومُنع عنك العُوّاد ، وكُفّنْتَ فى بعض الثياب وحُملت على الأعواد ، وأُودعت فى لحدٍ ضيق وغربة مالها من نفاد" (٤) .

ولايخلو سجع ابن الجوزى من التكلف ، الذى وضح فيه الافتعال والحشو المتعمد (٥) ، فمن تكلفه فى الأسلوب واهتمامه بالفواصل ، أكثر من اهتمامه بالألفاظ ومعانيها ، قوله فى الصراط :

"والصراط حق رقيق ، لاينجو منه من خالف التحقيق ،

---

(١) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/س ، محمد على دقة : (هذا الكتاب) مقال عن أخبار الظراف والمتماجنين مجلة الخفجى – العدد الثانى ١٩٨٦م ص ٤٦ .
(٢) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٢٨٦ .
(٣) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/ن ، تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ (مقدمة المحقق) ص ١٧٦ .
(٤) بحر الدموع (مخطوط) الورقة ٥٦ .
(٥) ابن الجوزى : المدهش (مقدمة المحقق) ص ١٣ .

وترك السّنة ومنهاج الطريق ، الصراط طويل بعيد ، لايجوزه إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد ، واستقام على طاعة الولى الحميد ، الصراط مهول مخوف . لايجوزه إلا من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤوف ، الصراط صعب مهول ، لايجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربًّا لايحول ولايزول ، الصراط كثير الزبانية ، لايجوزه إلا من أطاع مولاه فى الفانية ، وراقب الله فى السر والعلانية " (١) .

لكن هذا لايقلل من علو شأو ابن الجوزى ، فى مجال الوعظ ، فقد صاغه صياغة أدبية ، وضمّنه الشواهد من القرآن الكريم ، والأمثال ، ومزجه بالمستحسن من الشعر (٢) ، وأعطاه من صميم نفسه فجاء مؤثرًا .

ولعل تأثر الخليفة المستضىء بالله بوعظ ابن الجوزى ، خير شاهد على مقدار ماكانت تحدثه تلك المواعظ ، فى النفوس إذ قال له :

"يا أمير المؤمنين ! إن تكلمتُ خفت منك ، وإن سكتُّ خفت عليك ، وإنّ قول القائل لك : اتق الله ، خير لك من قوله لكم : إنكم أهل بيت مغفور لكم . كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغنى عن عامل لى ظَلَم فلم أغيره فأنا الظالم . ياأمير المؤمنين ! وكان يوسف لايشبع فى زمن القحط حتى لاينسى الجائع . وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول : قرقر أو لاتقرقر ، والله لاذاق عمر سمنًا ولاسمينًا حتى يخصب الناس . قال : فبكى المستضىء وتصدق بمال كثير ، وأطلق المحابيس

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٧٧ .
وانظر تعليق المحقق .
(٢) ابن الجوزى : صبا نجد (مخطوط) الورقة ٣ .

وكسا خلقًا من الفقراء " .(١)

ووعظ ابن الجوزى الخليفة أيضًا بقوله :

"يا أمير المؤمنين : كن لله سبحانه مع حاجتك إليه ، كما كان لك مع غناه عنك ، إنه لم يجعل أحدًا فوقك ، فلاترض أن يكون أحد أشكر له منك . فتصدق أمير المؤمنين يومئذ بصدقات ، وأطلق محبوسين " .(٢)

---

(١) المنتظم ٢٨٥/١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩/١٣
وجاء عند سبط ابن الجوزى :
"يا أمير المؤمنين ، إن تكلمت خفت منك ، وإن سكتُّ خفت عليك ، فأنا أقدم خوفى منك لمحبتى لدوام أيامك ... "
مرآة الزمان ٤٩١/٨-٤٩٢ .

(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٨/١ .

المبحث الثانى

خطبــــه

عرّف الدكتور أحمد الحوفى الخطابة بقوله :"هى فن مشافهة الجمهور ، وإقناعه واستمالته " (١).

وعرّفها الأستاذ أحمد الشايب بقوله :"هى الكلام الذى يُلقى فى جمهور الناس للإقناع والتأثير " (٢).

وعلى ذلك فهى تقترب كثيراً من الوعظ ، بيد أن الخطابة فن كبير ، يضم تحته أقساماً عديدة منها : الخطابة السياسية والخطابة القضائية ، والخطابة الحفلية (الاجتماعية) ، والخطابة الدينية ، والخطابة الحربية (٣).

ووصف الدكتور شوقى ضيف ، مهام الذين يتصدون للخطابة الدينية ، بأنهم :"يحضون الناس فيها على الانصراف عن الدنيا ، والتعلق بالآخرة ، ويحثونهم على الخير والفضيلة ، والأعمال الصالحة " (٤).

وهذه المهام هى لبُّ عمل الوعاظ والمذكرين ، لذلك يكمل الدكتور شوقى حديثه السابق ، مشيرا إلى الخطابة الدينية فى العصر الأموى : أن الذين تخصصوا بها وعاشوا لها ، إنما هم القصاص والوعاظ (٥).

ومن ذلك ، يمكن أن نستخلص : أن الخطابة الدينية تتفق

---

(١) فن الخطابة ص ٥ .
(٢) الأسلوب ص ١١٦ وانظر حنّا نمر : دراسات فى الأدب والفن ص ٥ .
(٣) د. أحمد الحوفى : فن الخطابة ص ٦٢-١٤٥ ،د.إحسان النص الخطابة العربية فى عصرها الذهبى ص ١٤٧-٢٢٧ .
(٤) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٧٣-٧٤ .
(٥) المرجع السابق ص ٧٤ .

فى مضمونها مع الوعظ . ولعل ذلك هو مادعا الأستاذ أنور الجندى إلى تفضيل وصف ابن الجوزى بالخطيب على الواعظ .(١)

وهذا هو ابن جبير يصرح فى أثناء وصفه لمجالس ابن الجوزى : "فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن ، فى إيراد خطبته عَجِلاً مبتدراً ، وأفرغ فى أصداف الأسماع من ألفاظه درراً" .(٢)

فهل ماكان يقوله ابن الجوزى فى مجالسه يعد خطباً ؟

وبخاصة أن ابن الجوزى ، تتوافر فيه معظم صفات الخطيب الناجح .(٣)

من الاستعداد الفطرى ، واللسن والفصاحة ، وسعة الثقافة ، ومعرفة نفسية السامعين ، وسرعة البديهة ، وحرارة العاطفة ، وروعة المنظر ، وجودة الإلقاء ...الخ .(٤)

ووُصِف ابن الجوزى برئيس الخطباء .(٥)

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك ، فإن مواعظه لاتعدُّ خطباً ، لأن الخطبة يُشترط فيها مقومات فنية فى عناصر بنائها ، وفى أسلوبها .

فأما عناصر الخطبة فهى على النحو التالى :(٦)

---

(١) نوابغ الاسلام ص ٢٨٩ .
(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٠٧ .
(٣) انظر مقومات شخصيته فى الباب الأول .
(٤) د . أحمد الحوفى : فن الخطابة ص ٩ ، وانظر الإمام محمد أبو زهرة : الخطابة ص٥٥-٥٩ .
(٥) ابن الجوزى : رؤوس القوارير فى الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير (المقدمة) ص ٤ .
(٦) انظر أحمد الشايب : الأسلوب ص ١١٦-١١٧ ، د . أحمد الحوفى : فن الخطابة ص ١٢٠-١٤٥ ، وفى هذا الكتاب أخذ المؤلف بالرأى القائل : بأن عناصر الخطبة هى : المقدمة ـ العرض ـ التدليل ـ التفنيد ـ الخاتمة ، ويظهر أن الثالث والرابع يدخلان فى العرض .

(١) المقدمة :

وتُفتتح بحمد الله تعالى وتمجيده ، وعدم ابتداء الخطبة بذلك يخل بنظامها ، كما بين ذلك الجاحظ حين ذكر : "أن خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمُّون الخطبة التى لم تبتدأ بالتحميد ، وتستفتح بالتمجيد : البتراء ، ويسمون التى لم توشَّح بالقرآن ، وتزيّن بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : الشوهاء" (١) .

وفى هذه المقدمة يمهد الخطيب لموضوع خطبته ، بشكل جذاب وموجز .

(٢) العرض :

ثم يعرض الخطيب آراءه مؤيدة بالبراهين ، كما يفند آراء خصومه أو من يخالفه فى الرأى ، معتمداً فى ذلك على الحجج الدامغة .

(٣) الخاتمة :

وفيها يُلَخِّص الخطيب أفكار وعناصر خطبته ، محاولاً أن يستثير عواطف سامعيه .

"وأما أسلوب الخطابة - أو عباراتها اللفظية - فيقوم على طبيعة هذا الفن ، الذى يرمى إلى الإقناع والتأثير ، لذلك كان لابد فيه من البراهين العقلية ، لتحقيق الغاية الأولى ، والانفعالات الوجدانية لتحقيق الغاية الثانية ، وهذه الخاصية وحدها تجعل أسلوب الخطابة منوَّعاً ، يجمع بين تقرير الحقائق وإثارة العواطف ، فيستخدم الفكر والوجدان ،

---

(١) البيان والتبيين ٦/٢ .

وينفذ منهما إلى الإرادة ، يدفع بها إلى عمل من الأعمال" (١) .

وعند تطبيق ماسبق على مواعظ ابن الجوزى ، نجده لايهتم بتلك العناصر ولابتسلسلها في مواعظه ، عدا افتتاحها بالحمد لله تعالى ، ثم يدخل فى صلب الموضوع .

أما أسلوبه فى مواعظه ، فإنه ينصب على الجانب الوجدانى فى السامعين ، من أجل إثارة عواطفهم ، ولعل السبب فى تركيزه على هذا الجانب ، هو أنه كان يوجه مواعظه لعامة الناس – فى الدرجة الأولى – لذا رأى أسلوب التأثير ، أجدى معهم من الإقناع .

ويظهر من ذلك ، أن ابن الجوزى لم يكن فى مواعظه خطيبًا ، بل كان واعظًا يعظ الناس ، بل ويعلم الوعّاظ ، ويرسم لهم أصول هذا الفن (٢) .

ومع ذلك ، فوصف ابن الجوزى بالخطيب وبرئيس الخطباء ، لم يأت هكذا جزافًا ، بل له مايبرره ، حيث توجد له مساهمات طيبة فى مجال الخطابة ، وإن كانت ليست فى متناولنا ، لأن معظم تلك المصنفات ، لايزال مخطوطًا ينتظر المحققين !! ومنها :

(١) اللآلىء أو اللآلىء فى خطب المواعظ (٣) .

(٢) ديوان خطب (٤) .

---

(١) أحمد الشايب : الأسلوب ص ١١٧ .

(٢) انظر ابن الجوزى : التبصرة ١/١ ، لفتة الكبد فى نصيحة الولد ص ٧٠ ، المدهش (مقدمة المحقق) ص ١٢ .

(٣) توجد منه نسخة مخطوطة بعنوان "اللآلىء" فى جامع الفاتح باستانبول برقم ٥٢٩٥(٥) . انظر : عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ١٥١ .

(٤) توجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٣٧ رقم ٣ (مواعظ) . انظر المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٣) عجب الخطب .(١)

(٤) اليواقيت فى الخطب .(٢)

(٥) المورد العذب فى المواعظ والخطب .(٣)

(٦) المقتضب فى الخطب .(٤)

(٧) شطب اللمع فى الخطب والجمع .(٥)

(٨) رؤوس القوارير فى الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير (٦)

وهذا الأخير هو الوحيد الذى بين أيدينا ، مما يجعلنى أقتصر عليه فى دراسة خطب ابن الجوزى .

وهو يحتوى فى بابه الأول على (٣١) خطبة مختارة ، وكلها تندرج فى مجال الخطابة الدينية ، حيث تناول فيها توحيد الله تعالى ، خالق كل شىء ، والمستحق للعبادة ، والمنزه عن كل شبيه أو مثيل .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف السامى فى نفوس سامعيه ، نراه فى معظم هذه الخطب ، يكثر من إبراز قدرة الخالق - عز وجل - فى إحياء الأرض بعد موتها ، وسقيها بعد عطشها ، وكيف أنها تنتعش فتدب فى كل أرجائها الحياة .

---

(١) توجد منه نسخة مخطوطة فى جامع الفاتح برقم ٥٢٩٥(٤) . انظر عبد الحميد العلوجى : مؤلفات ابن الجوزى ص ١٢١.

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة فى جامع الفاتح برقم ٥٢٩٥(٦) . انظر المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(٣) توجد منه نسخ مخطوطة : فى مكتبة المتحف البريطانى برقم ١٤٥ ،مكتبة الاسكوريال (فهرست دارنبور وبروفنصال) برقم ٧١٧ . ومكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٤٧٣٣ ورقم ٧٠٥٨ ، والمكتبة العباسية بالبصرة برقم ح - ٥٠ . انظر المرجع السابق ص ١٩١ .

(٤) لم يشر العلوجى ما إذا كان هذا المصنف مخطوطاً أو مفقوداً . انظر المرجع السابق ص ١٧٢، ٢٣٢ .

(٥) وضع العلوجى هذا المصنف ضمن آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها . انظر المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٦) طبع بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م . انظر المرجع السابق ص ١٠٦، ٢٠٤ .

ولعل ابن الجوزى أدرك ماتحدثه هذه المشاهد ، من تأثير بالغ فى النفوس ، لذلك كرر تصوير تلك المشاهد .

يقول فى الخطبة الثالثة :"تلمح عجائب صنعته ، فهل له من مشابه . أما ساقَ ساق المُزنِ على جنوب الجنوب (١) فمشى به . فإذا بَهر (٢) سيفُ صوت الرعد وأشهر سيف البرق رمى جميع أسلابه . فإذا انتهى نقيه وفرغ مَخضُ (٣) أوْ طَابِه (٤) . تبدل الروض سجع حمامة عن حنين نابه (٥) . وطرب كل غصن فصافح الأرض بأهدابه . وماس الربيع فى ثياب الصّبا ميْسَ الصبىّ فى شبابه .وموّت النباتْ بالشكر لو أنك تدرى من عنى به : {وهُوَ الّذِى أنْشَأ جَنّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ والنَّخْلَ والزّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ والزّيْتُونَ والرُّمَانَ مُتَشَابِهاً وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} (٦) (٧) " .

وقال فى الخطبة الحادية عشرة :"أنشأ السّحاب وعَلِم قطر المطر . فإذا ارتوت به الأرض اهتزت بعد الحصر . وأخرجت على الأفنان فنوناً من الخضر . وقام خطيب الأطيار على الأشجار وشكر وخَلع الربيعْ ثوبَ المرض ولبس حُلَلَ المطر .

فتناغت أطياره واطّردت أنهاره ووطن بهاره فظن أن لاغيرَ حتى تنفس بريدُ الشتاء بالبرد وجاء الخبر . فانتفضت الأغصان فى حِمَاهَا من حَمَّاها (٨) وانتقضت المِرر . ونادت بلسان

---

(١) الجنوب الريح التى تقابل الشمال . (الجوهرى : الصحاح) ١٠٣/١ .
(٢) بَهر : غلب . (الجوهرى : الصحاح) ٥٩٨/٢ .
(٣) المخض : اللبن الخالص (الجوهرى : الصحاح) ١١٠٤/٣ .
(٤) الوطب: سقاء اللبن خاصة . (الجوهرى : الصحاح) ٢٣٣/١.
(٥) الناب : المُسِّنة من النوق . (الجوهرى : الصحاح)٢٣٠/١.
(٦) سورة الأنعام : ١٤١
(٧) رؤوس القوارير ص ٤ .
(٨) حماها : حرارتها . (الجوهرى : الصحاح) ٢٣٢٠/٦ .

حالها هكذا تحول الحال فى ديار الكدر . وهذا آخر الأمور لو أن العاقل اعتبر : {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ}(١) (٢) " .

وأتى ابن الجوزى فى بعض خطبه بقصص من القرآن الكريم(٣) وذلك بغرض التأثير فى سامعيه .

وهو وإن مال إلى التأثير فى معظم خطبه ، نظرًا لما يحتمه عليه كونه واعظًا فى المقام الأول ، إلا أنه لجأ فى إحدى خطبه ، إلى الاقناع القائم على تأمل الذات .

يقول ابن الجوزى فى الخطبة الأولى ، مخاطبًا الإنسان "أجِلْ فكرك فى أركانك ، وتدبر بناء بَنَانِك ، ويكفى فى العبر ، نطق لسانك إذا تلوَّى . فإذا عرفت ما أنعم به وأبلى، وتيقنت ما أسدى وأولى {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى . الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى}(٤) (٥) " .

وابن الجوزى لايهتم بعناصر الخطبة ، من مقدمة وعرض وخاتمة ، ولعل السبب فى ذلك بالإضافة إلى كونه واعظًا لاتهمه هذه العناصر : أن خطبه تمتاز بالقصر ، لدرجة أن بعضها لاتزيد عن سبعة أسطر ، كما فى الخطبة الثانية(٦) ، التى يقول فيها :

"الحمد لله الذى يجيب سائله ولايخيب . ويثيب معامله حتى ينيب . ويغيث بالصلاح من يعيث ولاينيب . ويطنب ذكره وذكره يطيب . يسمع حنين النيب(٧) إذا ترنم حداتها بالنسيب ،

---

(١) سورة القيامة : ٧-٨
(٢) رؤوس القوارير ص ٨ .
(٣) انظر الخطبة الخامسة ص ٥ ، والخطبة السادسة عشرة ص ١٠-١١ ، والخطبة الحادية والعشرين ص ١٣ .
(٤) سورة الأعلى : ١-٢
(٥) رؤوس القوارير ص ٣ .
(٦) وانظر أيضا الخطبة الخامسة عشرة ص ١٠ .
(٧) النيب : جمع ناب وهى المُسِنَّة من النوق . (الجوهرى : الصحاح) ٢٣٠/١ .

ويبصر دبيب الماء فى العودين اليابسِ والرطيبِ . ويعلم عدد مايحوى من الرمل الكثيب . وقدّر ماقد رمى به الوجد الكثيب يقسِمُ الرزق فلاينسى الحوت فى البحر والعُفرَ[1] فى الشناخيب[2] {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّى عليهِ توكَّلتُ وإليهِ أنيبُ}[3] [4] " .

وقد عمد ابن الجوزى فى أسلوب خطبه كلها ، إلى محاكاة الجملة القرآنية - التى غالبًا مايختتم بها خطبته - فى حرفها الأخير ، مما نتج عن ذلك أن جاءت خطبه مسجوعة تميل إلى التكلف .[5]

والعجيب أن كل فواصل الخطب من أولها إلى آخرها تنتهى بحرف واحد ، كما لو كان ابن الجوزى ينظم شعرًا ، وهذا أمر يحتاج إلى قدرة ذهنية ، ووفرة فى المفردات اللغوية .

وهنا يتضح أن ابن جبير كان يقصد هذه الخطب وأمثالها فيما قاله سابقا : من أن ابن الجوزى كان فى مجالسه الوعظية يقوم بإيراد خطبته عجلاً مبتدرًا ، بدليل قوله فيما بعد : "فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء ، وأتى بأوائل الآيات فى أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها فى الترتيب ، إلى أن أكملها ، وكانت الآية :

---

(١) العُفر : من الظباء التى يعلو بياضها حمرة ، قصار الأعناق ، من أضعف الظباء عدوًا ، تسكن القفاف وصلابة الأرض . (الجوهرى : الصحاح) ٧٥٢/٢ .

(٢) الشناخيب : ومفرده الشنخوب وهو الجبل . (المصدر السابق) ١٥٢/١ .

(٣) سورة الشورى : ١٠

(٤) رؤوس القوارير ص ٤ .

(٥) انظر د. محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر الأيوبى ص ١٧٨ .

{اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ}(١) فتمادى على هذا السَّين ، وحسَّن أىَّ تحسين"(٢) .

فأسلوب ابن الجوزى فى تلك الخطبة التى ذكرها ابن جبير ـ التى كانت مثار اعجابه ـ يطابق أسلوبه فى خطبه هذه.

وكان ابن الجوزى يتخير ألفاظ خطبه ، لذا جاءت معظمها سهلة يفهمها الناس ، بالإضافة إلى تضمين خطبه أحيانًا ببعض الألفاظ القرآنية(٣) .

ولكن اهتمامه البالغ بتصنع ألوان البديع فى خطبه أوقعه فى التكلف . انظر الى قوله فى الخطبة الرابعة :

"الحمد لله فالق النَّوى والحبوب . وخالق الصَّبا والجنوب . المنزه عن الآفات والعيوب . المطلع على خفيات الغيوب .."(٤) .

وقوله فى الخطبة السادسة عشرة :"الحمد لله الذى يسبحه الغصن الرطيب والعود اليبيس . والثوب الجديد والخَلِق الدريس .."(٥) .

ففى الخطبة الأولى تعمد أن يراعى الجناس ، فى الحبوب والجنوب ، والعيوب والغيوب .

وفى الخطبة الثانية تعمد الطباق بين الرطيب واليبيس والجديد والدريس ، وهكذا .

---

(١) سورة غافر : ٦١
(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٠٩ . وانظر قول ابن جبير : "ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها" ص ٢٠٧ .
(٣) انظر الخطبة الخامسة والعشرين ص ١٥-١٦ .
(٤) رؤوس القوارير ص ٤ .
(٥) المصدر السابق ص ١٠ .

والطريف أن ابن الجوزى ، ختم بعض خطبه بالحديث عن فصاحته وتفوقه فى مجال الوعظ والخطابة .

يقول فى الخطبة الخامسة :"... ثم الشكر لمن غرس الفصاحة فى أرض قلبى وقال : اخصبى . فكل ألفاظى مُمْرِعٌ ليس فيها وبى، (١) وذلك بفضل ربى لابى ولابأبى . ياأعين الناس انظرى واعجبى . ويا قلوب الحاضرين افهمى واطربى . لو قاومنى كل الفصحاء غلبتهم أى ورب النبى" (٢) .

وقال فى الخطبة السابعة عشرة :"مواعظى شوافى ، وخطبى عوافى ، وأنا أستخرج القوافى بمنقاش ، سلعى مطلوبة ، وألفاظى محبوبة " (٣) .

وهذه الخطب وإن بالغ ابن الجوزى فى اطرائها ، فهى على قدر من الجودة ، وبخاصة فى ذلك العصر ، كما رأينا – من قبل – فى وصف ابن جبير .

وهنا نصل إلى نهاية المطاف ، ولايزال السؤال قائماً :

هل ماكان يقوله ابن الجوزى فى مجالسه يعد خطبا ؟

ومما سبق يمكن القول :إن ماكان يقوله ابن الجوزى فى مجالسه يتفرع إلى جزئين :

المواعظ التى عُرف واشتهر بها ، والخطب التى رأينا بعضاً من نماذجها ، ويؤكد ذلك قول ابن الجوزى السابق : "مواعظى شوافى ، وخطبى عوافى" .

وقول ابن جبير :"ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته ،

---

(١) وبى : من الوباء وهو المرض .
(٢) رؤوس القوارير ص ٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١١ . وانظر الخطبة السابعة والعشرين ص ١٧-١٨ ، والخطبة الحادية والثلاثين ص ١٩ .

برقائق من الوعظ" (١) .

إذن فمجالس ابن الجوزى لم تكن مقتصرة على المواعظ ـ وإن غلب عليها اسم الوعظ ـ بل كان ينشىء بجوارها خطباً دينية ، أو لِنَقُل خطباً وعظية نظرا للتشابه الكبير بين مواعظه وخطبه ، ليس فى المضمون فحسب بل الشكل أيضا ، فرأينا أسلوب التأثير يغلب على خطبه ، مع عدم الاهتمام ببعض عناصرها ، وعمد فى مواعظه وخطبه معا إلى محاكاة الجمل القرآنية .

والفرق الوحيد بينهما أن ابن الجوزى ، ألزم نفسه فى كل فاصلة من فواصل خطبه ، قافية حرف بعينه من أولها الى نهايتها .

وبعد ، فإن كان كتاب "رؤوس القوارير" أعطانا تصوراً لابأس به عن خطب ابن الجوزى ، فلا يعنى ذلك أن ماقيل عن خطبه ، يعد القول الفصل فى هذا المقام .

وآمل أن ترى كل خطب ابن الجوزى النور ، فى القريب إن شاء الله تعالى ، لمعرفة المزيد عنها .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٠٨ .

المبحث الثالث

قصصه

القص لغة : القطع ومنه أخذ الشعر والظفر بالمقص .

والتتبع ومنه قوله تعالى : {وقالت لأخته قصيه}(١) أي تتبعي أثره .

وإيراد الخبر المقصوص يقال : قص عليّ خبره يقصه قصًا وقصصًا ، أي أورده .

والقص استعمالاً : هو فن مخاطبة العامة ، ووعظهم بالاعتماد على القصة .

والمقصد من القصص – في الأصل – مقصد ديني محمود ، إذ المراد منه العبرة والموعظة(٢) ، كما في قوله تعالى : {لقدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الألْبَابِ}(٣) .

وفي صدر الإسلام ، لم يخرج مفهوم القصص إذ ذاك عن التذكرة والوعظ(٤) .

ومع بداية القرن السادس للهجرة ، انفصل القصص عن الوعظ ، وأصبح مصطلحًا ذا خصائص مميزة(٥) .

وقد لاحظ ابن الجوزي هذا التطور ، الذي صار إليه

---

(١) سورة القصص : ١١

(٢) الجوهري : الصحاح ١٠٥١/٣ ، ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٤٨-٤٩ ، السيوطي : تحذير الخواص (مقدمة المحقق) ص ٦

(٣) سورة يوسف : ١١١

(٤) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. السامرائي) ص ١٢-١٣ ، د. ديعة طه النجم : القصص نشأته في الإسلام وتطوره ، بحث نشر في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد العاشر ١٩٦٧م ص ١٦٩ .

(٥) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. السامرائي) ص ٣١-٣٣ .

القَصص في عصره في كتابه القصاص والمذكرين – الذي تناول فيه القَصص والقصاص بشكل واف ، وهو مع تعاطفه مع القصاص كان منصفاً ، حيث ذكر فيه مساوءهم – فقال : "إن لهذا الفن (١) ثلاثة أسماء : قصص ، وتذكير ، ووعظ . فيقال : قاص ، ومذكر وواعظ .

فالقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص . وهذا في الغالب عبارة عمَّن يروي أخبار الماضين . وهذا لايذم لنفسه ....

وأما التذكير فهو تعريف الخلق نعم الله – عز وجل – عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته .

وأما الوعظ ، فهو تخويف يرق له القلب وهذان محمودان وقد صار كثير من الناس يطلقون على الواعظ اسم القاص ، وعلى القاص اسم المذكر ، والتحقيق ماذكرنا " (٢) .

وقد اعتمد القُصاص في مادتهم على قصص القرآن الكريم ، وعلى بعض الإسرائيليات (٣) .

وجعل بعض المؤرخين ، من تمام آلة القصص ، أن يكون القاص شيخاً أعمى بعيد مدى الصوت (٤) .

---

(١) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٦٠-٦١ . وتناول ابن الجوزي أيضا في هذا الكتاب الشروط التي ينبغي توافرها في القاص ، ومنها علمه بالعربية وفصاحة لسانه ، انظر ص ١٨٠ . ووضع فصلاً في تعليم القاص كيف يقص ، ومنها مايتصل بإنشاء الخطبة ، والاستعانة بالشعر ، ورفع الصوت في أثنائها . انظر ص ٣٥٩-٣٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧،٥٩-١٦٠ .

(٣) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. السامرائي) ص ٣١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣ .

وقد كان للقصاص دور فى الأدب والبيان ، فهم باختراعهم لقصص دينية – وإن كان بعضها مفسدًا ينافى الإسلام – يمثلون الخطوة الأولى ، لاستقلال القصة عن المجال الدينى ، ومهد القصص الطريق لظهور فن المقامة ، الذى يرتبط بالعامة وقصصهم (١) .

وكان القصاص يتمتعون بقدرة على التأثير والإقناع ، نظرًا لبلاغتهم وبيانهم المعجب ، مما جعل مؤلفى كتب الأدب يعنون بهم ، وبتسجيل ماقالوه من بليغ الكلام (٢) .

كالجاحظ فى البيان والتبيين (٣) ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٤) ، وابن عبد ربه فى العقد الفريد (٥) وغيرهم .

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن القصاص قد :"ارتقوا بصناعة النثر فى المعانى التى كانوا يرددونها رقيًا بعيدًا ، إذ شعّبوا وفرّعوا فى تلك المعانى طويلاً ، واستنبطوا فيها كثيرًا من الدقائق التى تمس القلوب والعقول . وأضافوا إلى ذلك عناية واسعة بأساليبهم ، وهى عناية تقوم على : الدقة فى اختيار اللفظ ، والإحساس المرهف بجمال السبك والصياغة " (٦) .

وظهر السجع فى أساليب بعض القصاص ، حتى وصل إلى

---

(١) د. وديعة طه النجم : القصص نشأته فى الإسلام وتطوره ص ١٧٧ ، ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٦٩ .

(٢) السيوطى : تحذير الخواص (مقدمة المحقق) ص ١٩-٢١ .

(٣) انظر ١/٩٨،١١٩،٢٨٧،٣٠٦-٣٠٨،٣٥٣-٣٥٤ ، وعقد فصلاً عن القصاص ص ٣٦٧-٣٦٩ .

(٤) انظر المجلد الثانى ، كتاب الزهد وبخاصة مقامات الزهاد عند الخلفاء ص ٣٣٣-٣٧٦ .

(٥) انظر كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ٣/٨١-١٨٢ .

(٦) العصر العباسى الأول ص ٤٥٦ .

درجة الإسراف .(١)

ويعد ابن الجوزى من كبار القصاص(٢) ، الذين ساهموا فى مجال القصص بمصنفات كثيرة ، فمن ذلك ماذكره الأستاذ عبد الحميد العلوجى(٣) :

(١) قصة يوسف(٤) .

(٢) زين القصص .

(٣) القصص .

(٤) لباب زين القصص .

(٥) اللباب فى قصص الأنبياء .

ومما يؤسف له أن معظم هذه المصنفات ، ضائعة أو فى حكم الضائعة(٥) .

وقد تضمنت بعض مصنفات ابن الجوزى الوعظية قصصا قرآنيًا ، وبخاصة "المدهش" حيث جعل القسم الأول منه خاصا بالقصص ، التى وصل عددها إلى ست وعشرين قصة(٦) .

وكذلك كتاب "التبصرة" وكتاب "بستان الواعظين"(٧) .

---

(١) د. وديعة طه النجم : القصص نشأته فى الإسلام وتطوره ص ١٦٦ ، د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ٤٥٦ .
(٢) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٦٠ .
(٣) انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٢٣٨ .
(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى : مكتبة المتحف البريطانى برقم ١٤٨٨ (٢) . ومكتبة باريس الوطنية برقم ١٢٩٦ . انظر المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٥) انظر المرجع السابق ص ٢١٤، ٢١٦-٢١٧ .
(٦) ص ٧٦-١٣٦ .
(٧) توجد صورة لنسخة مخطوطة من "درياق الذنوب" لابن الجوزى فى مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى برقم (٩٣) مواعظ . وهذا المصنف يعد من أكبر ماكتبه فى مجال القصص ، حيث اشتمل على أربعين مجلسًا ، بدأ المجلس الأول بقصة آدم عليه السلام إلى أن وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الثامن والعشرين ثم تحدث بعد ذلك عن الصحابة فالتابعين ...

وابن الجوزى كغيره من القصاص ، استمد معظم مادته من قصص القرآن الكريم ، وكان يعمد فى عرضه للقصص ، إلى اقتباس جمل من القرآن الكريم ، تمثل تدرجًا فى بناء القصص بحيث يجعلها محورًا ينتقل بها من مشهد إلى آخر ، رابطا إياها بنثره - الذى اهتم فيه بالتنميق والزخرفة اللفظية - حتى يأتى على تفاصيل قصصه .

يقول ابن الجوزى فى قصة الخليل عليه السلام :

"... فلما بلغ سبع سنين ، رأى قومه فى هزل {وَجَدْنَا آبَاءَنَا}(١) فجادلهم ، فجدَّ(٢) لهم فجدَ(٣) لهم(٤) ، وأبرز نور الهُدى فى حُجةٍ {رَبِّى الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ}(٥) ، فقابله نمرود ، بسُهى السهو فى ظلام {أَنَا أُحْيِى}(٦) فألقاه كالقا ، على عجز العجز ، بآفات {فَأْتِ بِهَا ، فَبُهِتَ}(٧) ثم دخل دار الفراغ {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ}(٨) فجردوه من بُرد(٩) بَرد(١٠) العدل ، إلى حرِّ {حَرِّقُوهُ}(١١) فبنوا لسفح دمه بنيانا إلى سفح جبل ، فاحتطبوا له على عجل العجل ، فوضعوه فى كفة المنجنيق ، فاعترضه جبريل ، فى عرض الطريق ، فناداه وهو يهوى فى ذلك الفلا : ألك حاجة ؟ قال : أمَّا إليك فلا ، فسبق بريد الوحى إلى النار . بلسان التفهيم {كُونِى بَرْدًا وَسَلامًا

(١) سورة الأنبياء : ٥٣
(٢) من المجادلة .
(٣) من الجدِّ خلاف اللعب .
(٤) غلبهم فى الجدل .
(٥)،(٦)،(٧) سورة البقرة : ٢٥٨
(٨) سورة الصافات : ٩٣
(٩) الثوب .
(١٠) ضد الحر .
(١١) سورة الأنبياء : ٦٨

عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (١) " (٢) .

وقال عن قصة يوسف عليه السلام :

"لما تمكن الحسد من قلوب إخوة يوسف ، أرى الظلوم مال الظالم في مرآة {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} (٣) ، فتلطفوا بخداع {مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا} (٤) وشوقوا يوسف إلى رياض {نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ} (٥) ، فلما أصحروا أظهروا المقت له ، ورموا بسهم العدوان مقتله ،ففسخ نهار رفقهم به ليل انتهارهم له ، فصاح يهودا ، في بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة الجب {لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} (٦) (٧) فلما ألقوه ، وقالوا هلك ، جاء مَلَكٌ من عند من مَلَكَ ، يقول : ستبلغ أملك {لَتُنَبِّئَنَّهُمْ} (٨) فعادوا عمن عادوا كالأعشى {عِشَاءً يَبْكُونَ} (٩) ولطخوا قميصه الصحيح {بِدَمٍ كَذِبٍ} (١٠) فلاحت سلامة القميص كي يظهر كيدهم ، فقال حاكم الفراسة {بَلْ سَوَّلَتْ} (١١) (١٢) " .

ومن المثالين السابقين ، يتبين لنا طرافة أسلوب ابن الجوزى ، في عرضه للقصص ، إلا أن محاولته في أن يأتي كلامه محاكيًا للجمل القرآنية ، جعله يجرى وراء الألفاظ على حساب المعنى في كثير من الأحيان ، ومن ذلك قوله في المثال الأول

---

(١) سورة الأنبياء : ٦٩
(٢) المدهش ص ٨٥ .
(٣) سورة يوسف : ٤
(٤) سورة يوسف : ١١
(٥) من قوله تعالى : {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} سورة يوسف : ١٢
(٦) قعر بئر .
(٧) سورة يوسف : ١٠
(٨) سورة يوسف : ١٥
(٩) سورة يوسف : ١٥
(١٠) سورة يوسف : ١٨
(١١) سورة يوسف : ١٨
(١٢) المدهش ص ٩٤ .

"ثم دخل دار الفراغ {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ} " ، وقوله فى المثال الثانى :"فى بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة الجب {لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ الجُبِّ} " .

كما أن مبالغته فى تصنع ألوان البديع كالجناس والطباق ... الخ — وهو واضح فى المثالين — عرقل سير القصص نتيجة للتكلف والافتعال ، وبخاصة فى المثال الأول .

وأحيانًا يغرب ابن الجوزى فى قصصه ، حتى لايكاد يفهم منه ، يقول عن قصة قوم لوط عليه السلام ، مصورًا مانالهم من عذاب شديد ، ولعله تعمد الاغراب هنا ، ليشعرنا بغرابة جرمهم ، ومانجم عنه من عذاب يصعب وصفه : "فانفرنقعوا (١) وهمس هميسعهم (٢) ، وهل لمثلهم الا الوهل (٣) والوهى ولات حين مناص فادرنقعوا (٤) ، وبرقط (٥) المخرنشم (٦) ، بعد أن بهنس (٧) ، وبطط (٨) ، فبلطح (٩) وحزن المبرنشق (١٠) ، بعد أن زهزق (١١) ، فبلسم (١٢) وكلح ، فاجيل على ذلك الجيل ، سجل السجيل ، فما برح حتى برح ، ودار هاتف العبرة ، على دارس دارهم ينادى {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً} (١٣) (١٤) " .

---

(١) تنحوا وانكشفوا .
(٢) القوى .
(٣) الفزع .
(٤) فزدوا .
(٥) خطا متقاربًا .
(٦) المتعاظم .
(٧) تثاقل .
(٨) أعى .
(٩) ضرب بنفسه الأرض .
(١٠) الفرح .
(١١) ضحك .
(١٢) سكت عن فزع .
(١٣) سورة العنكبوت : ٣٥
(١٤) المدهش ص ٩٢-٩٣ .

على أننا نجد نوعًا آخر من القصص ، قام ابن الجوزى بعرضه بإسلوب مرسل ، خال من أى زخرف ويستشهد فى أثنائه بالجمل القرآنية ، فجاء ممتعًا وإن ظهرت فيه شخصية ابن الجوزى العالم والمفسر لا القصاص .

قال عن قصة موسى عليه السلام :"ولما رمته أمه أدركها الجزع ، فقالت لأخته مريم {قُصِّيهِ} (١) فدخلت دار فرعون ، وقد عُرضت عليه المرضعات فلم يقبل ثديًا ، فقالت : {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} (٢) ، فجاءوا بأمه فشرب منها ، فلما تم رضاعه ردته إلى فرعون ، فأخذه يومًا فى حجره فمد يده للحيته فقال : علىَّ بالذبّاح فقالت آسية : إنما هو صبى لايعقل ، وأخرجت له ياقوتًا وجمرًا فأخذ جمرة فطرحها فى فيه، فأحرقت لسانه فذلك قوله : {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي} (٣) (٤) " .

وابن الجوزى فى هذا النوع من قصصه ، ينقل عن السُّنة والصحابة وعلماء السير (٥) .

ويتضح هذا جليًا فى حديثه عن قصة يونس عليه السلام ، حيث قال : "وكان يونس من ولد يعقوب ، وكان عابدًا من عُبّاد بنى إسرائيل ، فرأى ماهم فيه من الكفر ،فخاف أن تنزل بهم عقوبة ، فخرج هاربًا بنفسه وذريته وكانوا بنينوى - قرية من أرض الموصل - فبعثه الله رسولًا إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى وأمرهم بترك عبادة الأوثان ، وكان رجلًا فيه حِدَّة ، فلما لم يقبلوا أخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث .

---

(١) سورة القصص : ١١
(٢) سورة القصص : ١٢
(٣) سورة طه : ٢٧
(٤) التبصرة ٢١٩/١ .
(٥) انظر المصدر السابق ١١٠/١-١١١،٢١٩،٢٢٣،٣٨١ .

فأقبل العذاب ، قال ابن عباس رضى الله عنهما (١) : لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثى ميل ووجدوا حرّه على أكتافهم . وقال سعيد بن جبير (٢) : غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القَفْر (٣) . وقال غيره : غامت السماء غيمًا أسودا يُظهر دخانًا شديدًا ، فغشى مدينتهم فاسوّدت أسطحتهم (٤) ... " .

ونحن إذن أمام لونين من ألوان القصص عند ابن الجوزى

القسم الأول : ظهرت فيه مقدرة ابن الجوزى على الإقتباس ، من الجمل القرآنية على نحو لطيف ، وإن بالغ فيه بالاهتمام بالألفاظ وزخرفها .

أما القسم الثانى : فقد ظهر فيه أسلوب ابن الجوزى مرسلاً ناصعًا ، وإن مال فيه إلى التفسير والتحقيق والاستقصاء بإيراد أقوال العلماء ، مما لايتصل بجوهر القصص من الوجهة الفنية .

---

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى ، حَبْر هذه الأمة وترجمان القرآن (المتوفى ٦٨هـ) . انظر فى ترجمته :
ابن عبد البر : الاستيعاب ٩٣٣/٣-٩٣٩ ، ابن الجوزى : صفة الصفوة ٧٤٦/١-٧٥٨ ، تلقيح فهوم الأثر ص ١٥٨ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ٤٠/١-٤١ ، الزركلى : الأعلام ٩٥/٤ .

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدى بالولاء الكوفى (٤٥ - ٩٥هـ) أحد أعلام التابعين ، وكان أسودًا ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، خرج مع ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فقتله الحجاج بواسط ، قال الإمام أحمد عنه :"قتل الحجاج سعيدًا وما على وجه الأرض أحد إلا هو مفتقر إلى علمه " . انظر فى ترجمته :
ابن الجوزى : صفة الصفوة ٧٧/٣-٨٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٧١/٢-٣٧٤ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ٧٦/١-٧٧ ، الزركلى : الأعلام ٩٣/٣ .

(٣) القَفْر : الشعر المجتمع .

(٤) التبصرة ٣٢٧/١ .

وقد اعتمد ابن الجوزى على القرآن الكريم فى معظم قصصه ، وأتى كذلك ببعض القصص غير الثابتة ولعله أخذها من الإسرائيليات (١) .

ومع أن ابن الجوزى فرق بين الوعظ والقصص – كما سبق – إلا أنه تجاهل هذا الفرق فى التطبيق ، فهو لايكتفى بذكر أخبار الماضين وشرحها – على حد قوله – تاركًا للناس استنباط العبر والعظات ، بل جعل من القصص منبرًا للوعظ والتذكير ، مستشهدًا فى ذلك بما تحمله تلك القصص من مواقف وعظية .

يقول معلقًا على استجابة إبراهيم عليه السلام لأمر ربه تعالى فى ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام :

"أين المعتبرون بقصتهما فى غصتهما ، لقد حصحص الأجر فى حصتهما ، لما جعلا الطاعة إلى الرضا سُلَّمًا (٢) (٣) ..." .

وقال فى ختام قصة قوم لوط عليه السلام : "فليحذر العازمون على طروق طريقهم من وعيد {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} (٤) قبل غصص الجرض (٥) ، وألم الحرض (٦) ، عند حلول المرض ، حين يعتقل اللسان ، ويتحير الإنسان ، وتسيل الأجفان ، ويزول العرفان ، وتنشر الأكفان ، فياعجبا (٧) ..." .

وقال فى نهاية قصة أهل الكهف ، مشيرًا إلى نومهم الطويل :

---

(١) انظر بستان الواعظين ص ١٣٠، ٢١٠–٢١١، ٢١٥، ٢١٧، ٢٤٠ .
(٢) أى مراقى .
(٣) المدهش ص ٨٦ .
(٤) سورة هود : ٨٣
(٥) الريق .
(٦) الفساد فى البدن والعقل .
(٧) المدهش ص ٩٣ .

"إخواني ليس العجب من نائم لم يعرف قدر مامرَّ من يومه، وإنما العجب من نائم في يقظة عمره" (١) .

وهنا أتساءل ، هل يعني استخلاص ابن الجوزي للعبر والعظات ، من القصص التي يرويها إخلالا بعمله قاصًا ؟ بناءً على ماقرره من الفصل بين القصص والوعظ ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ، يجب أن نعرف أولاً : أن القصص والوعظ والتذكير ، قنوات تصب في مجرى واحد ، وهو الدعوة إلى الله تعالى بوسائل متنوعة ، هي لبُّ الاختلاف عند ابن الجوزي (٢) . كما أن غيره يرى فروقًا أخرى بين هذه المسميات (٣) .

ومع ذلك ، كان على ابن الجوزي أن يكتفي بعمله القصصي ويهتم بحكاية قصصه وشرحها - كما قرر ذلك - تاركًا استخلاص العبر والعظات ، لعقل القارئ أو السامع ، لأنه عندها لن يشعر بحجر على شخصيته ، فيحاول إعمال عقله فيما قرأ أو سمع .

ولكنَّ روح الواعظ طغت هنا على ابن الجوزي ، فلم يكد يرى فيما يقصه مجالاً لإبداء الوعظ والتذكير إلا تصدى له ، وهذا أمر طيب ومحمود ، ولكنه جعله يناقض نفسه .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن ابن الجوزي ، رجع وخلط بين الواعظ والمذكر والقاص ، وجعلها كلها بمعنى واحد في نفس كتابه "القصاص والمذكرين" .

---

(١) المدهش ص ١٢٢ .
(٢) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د. الصباغ) ص ٦٨ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٦٥-٦٨ ، د. عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة ص ٨١٥-٨١٦ .

فهو يقول فى الباب العاشر ، الذى جعل عنوانه :"فى التحذير من أقوام تشبهوا بالمذكرين ، فأحدثوا وابتدعوا حتى أوجب فعلهم إطلاق الذم للقصاص" :

"لمَّا كان الخطاب بالوعظ فى الأغلب للعوام ، وجد جهال من القصاص طريقًا إلى بلوغ أغراضهم . ثم مازالت بدعهم تزيد حتى تفاقم الأمر . فأتوا بالمنكرات فى الأفعال ، والأقوال ، والمقاصد . فأما الأفعال فعلى ضربين : أحدهما يجرى من القصاص ، والثانى مايجرى عندهم من المستمعين . فأما الذى يجرى من القصاص ، فإنهم أحدثوا إلْبَاس المنبر الخِرَق المتلونة كأنها المنثور ... ومن ذلك تخاشع الواعظ زيادة على مافى قلبه ... ورأيت قاصًا كان إذا صعد المنبر غطى وجهه ..." (١) .

ففى العنوان جعل المذكرين من القصاص ، ثم بعد ذلك جعل الواعظ من القصاص .

لذا لايستغرب أن يقوم ابن الجوزى بمهمة القاص والواعظ فى قصصه .

وهو فى ذلك ينسج على منوال من كان قبله ، ويسير فى فلكهم :"فالقصاص كانوا وعاظًا فى الوقت نفسه ، بل هم لايقصون إلا من أجل الوعظ" (٢) .

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٢٩٥-٢٩٦، وانظر ص ١٧٩، ٣٥٩ .

(٢) د. شوقى ضيف : العصر الاسلامى ص ٤٣٦ ، وانظر حديثه عن القصاص ص ٤٣٥-٤٥٠ .

المبحث الرابع

مقاماته (١)

المقامة فى أصل اللغة : المجلس يجتمع فيه الناس ، ثم استعملها الأدباء فى الخطبة أو العظة ، التى تُلقى فى الأندية والمحافل ، ثم خصُّوها بالقصص التى يتحدثون بها عن السِنَةِ أشخاص يسمونهم رواة – إن حقيقة أو خيالاً – ويجيئون فيها بالأغراض المختلفة ، وقيل إن أول من أبدع هذا الفن بديع الزمان الهمذانى (المتوفى ٣٩٨هـ) (٢) .

وكان لابن الجوزى مشاركة فى هذا الفن ، حاول فيه أن يسمو بالمقامة الأدبية عن الكُدية والاستجداء اللذين شاعا لدى الهمذانى والحريرى (٣) .

بيد أنه قلدهما فى عدد المقامات ، فوضع خمسين مقامة

---

(١) طبعت مقامات ابن الجوزى مرتين :
الأولى : بتحقيق على جميل مهنا . وحصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر عام ١٩٧٦م وكانت بعنوان : "ابن الجوزى ومقاماته الأدبية" تحقيق ودراسة .
وقد نشرَ فصولاً من هذه الرسالة فى مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م الجزء الأول ، بعنوان :"ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة" عرض وتحليل.
الثانية : بتحقيق الدكتور محمد نغش ، عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م بالقاهرة بعنوان :"مقامات ابن الجوزى" .

(٢) محمد محيى الدين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ص ١٠ ، الحريرى : مقامات الحريرى (المقدمة) ص ٥ .
وانظر الحديث عن أصل المقامات ، وكذا الخلاف فى أول من أبدعها : د. محمد نبيه حجاب : ظاهرة المقامات ، نشأتها وتطورها وأثرها فى الآداب الأجنبية ص ٨٦-٩١ .

(٣) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص أ .

كما تأثر بهما فى شأن بطل المقامة وراويتها (١) . فجعل بطل (٢) مقاماته شخصًا سماه أبا التقويم ، ويظهر أن هنالك علاقة بين اسم هذا البطل ، وبين فحوى مقامات ابن الجوزى .

لأن ابن الجوزى كان على وعى بأهمية الرمز وقيمته فى مجال التعبير البلاغى ، لذا جعل بطله "أبا التقويم" رمزًا للعقل الذى كان يعظمه ويوليه عناية فائقة . وما اختياره له هذا الاسم إلا لأنه يأبى التقويم ، لكونه معتدلًا فى أصل ذاته ، فلا يميل لهوى ولايزلّ أو يحيد ، وآراؤه وأحكامه دائمًا

---

(١) عقد الباحث على جميل مهنا موازنة ، بين مقامات البديع والحريرى وابن الجوزى ، فيما يتصل ببطل المقامات ، وراويتها ، وموضوعاتها ، وعناوينها ، وأسلوب كتابتها ، ومدى تصويرها للواقع ، ونقدها للعصر الذى كُتبت فيه ، وكذلك من حيث وجود الفكاهة فيها . ثم ميّز بين تلك المقامات من خلال عرض عام ، موضحًا نقاط القوة والضعف ، فى كل مقامة من هذه المقامات .
انظر : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٥٢-١٦٤ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٤-٢٨٢ .
وبطل مقامات بديع الزمان الهمذانى هو أبو الفتح الإسكندرى ، وراويتها عيسى بن هشام .
وبطل مقامات الحريرى هو أبو زيد السروجى ، والراوية الحارث بن هَمَّام
انظر مع ماسبق : محمد محيى الدين عبد الحميد : شرح مقامات الهمذانى ص ١٠ ، الحريرى : مقامات الحريرى (المقدمة) ص ٥ .

(٢) يبدو أن ابن الجوزى كان يخشى من عدم تقبل الناس لمقاماته ، وبخاصة ممن يدّعون العلم والتقوى ، لأنه أجرى الكلام فيها على ألسنة أناس لم يقولوها ؛ لهذا نجده فى مقدمة مقاماته يناقش هذه المسألة ، مناقشة العالم والفقيه الأديب الذى يعى مايقول . حيث بين بأن إجراء الكلام على ألسِنَة من لم يقولوه ليس من الكذب ، لأنه مذهب ورد به القرآن الكريم ومثال ذلك حينما حكى الله عن السماء والأرض : {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ} سورة الدخان : ٢٩ ، وعن الزمان : {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} سورة سبأ : ٣٣ ، وقول العرب : "ضحكوا والدهر عنهم ساكت" .
انظر ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى ص ٢-٣ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٦٦-١٦٧ ، عبد الملك المرتاض : فن المقامات فى الأدب العربى ص ١٩٩ .

صائبـــــة .(١)

وقد ظهر ابو التقويم فى المقامات بصور متنوعة ، فكان يظهـر : "علـى صورة شيخ واعظ تارة ، وطورًا فى هيئة مجادل أو قـاص عليـم بالسير ، وتارة أخرى كان يظهر فى صورة بدوى قح ذلق اللسان بليغ البيان" .(٢)

وقد أوضح ابن الجوزى جانبًا من مهام بطله أبى التقويم فـى المقامة الثانية والثلاثين : فى ذم البخل ومدح الكـرم حيث قـال : "فتأملتـه فـإذا هو أبو التقويم فتداخلنى سرور عظيـم . فقلـت : ياسيدى ما الذى رمى بك إلى هذه الجزائر ؟ فقـال : أسلك فى طوافى منهاج زائر . فأنهى العصاة عن ركوب الجـرائر . وأصف للقلوب الحرائر . معاملات السرائر . وأُعَلِّم النـاس أن مابين الدنيا والآخرة مثل مابين الضرائر" .(٣)

ونتيجـة لـذلك كـانت الجِدية هى من أهم مايميز مقامات(٤) ابـن الجـوزى ، فـ "لـم تتخذ من الأسلوب الهزلى وسيلة فى التعبير عن المضامين الفكرية" .(٥)

ولانجد عند ابن الجوزى راوية لمقاماته ، كما هو الحال عند سابقيه كالهمذانى والحريرى ، حيث جعل من نفسه راويـــة

---

(١) انظر ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى ص ٦ ، على جميل مهنـا : ابن الجوزى ومقاماتـه الأدبيـة ص ١٣٨ ، ابـن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٦٧ ، د. يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٤-١٨٥ .

(٢) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ح ـ ط وانظر ص ١٣٨ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٦٨ .

(٣) مقامـات ابن الجوزى ص ٢٥٧-٢٥٨ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤١٦ .

(٤) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٦٣ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٨١ .

(٥) د. يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٩ .

لمقاماته ، ومن ثَمَّ عبَّر عن مجرياتها بضمير المتكلم ، وهو تطور أحدثه ابن الجوزى فى المقامة الأدبية ، حتى أشبهت القصة الذاتية (١) .

يقول ابن الجوزى فى المقامة الخامسة والعشرين : فى طب القلوب :

"استولت على قلبى أمراض مختلفة . فسألتُ عن طبيب قد راض بمعرفة (٢) . فقيل لى : هاهنا شيخ قد جرّب وتدرّب . وشرّق فى طب القلوب وغرّب . فسرحتُ (٣) إليه فسلّمتُ وشرحتُ وطرحتُ نفسى لديه واستسلمتُ واستطرحتُ . فقال : يافتى أبشر بالنَّجاء والنجاح . وانشر لأخذ راحتك الرَّاح ، فقلتُ : بى أدواء لا أعُدّها . فقال : عندى أدوية أعِدُّها . فجسَّ نبضى ونظر إلى سُحْنَتِى (٤) ، فأحسَّ ببلائى وفهم محنتى" (٥) .

ورواية ابن الجوزى لمقاماته بمثل هذا الأسلوب – الذاتى – قوى عنصر التشويق فيها .

بيد أنه بالغ فى ذاتيته حتى "جاءت كثير من مقاماته وكأنها وصف حىٌّ لبعض مجالسه" (٦) ومافيها من ازدحام ، وتسابق على الحضور من قِبَلِ الناس ، قبل قدوم الواعظ بوقت طويل (٧) .

وقد وصل به الإغراق فى الذاتية ، أنه جعل أبا التقويم

---

(١) عبد الملك المرتاض : فن المقامات فى الأدب العربى ص ٢٣٦ .
(٢) تذلل .
(٣) خرجت .
(٤) لين البشرة واللون .
(٥) مقامات ابن الجوزى ص ٢٠٥ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٣٦٣ .
(٦) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٣٩ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٦٨ .
(٧) انظر ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى ص ٢٧٦ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٣٥ .

يقول فى المقامة الرابعة والثلاثين : فى وعظ السلطان ، ماقاله هو نفسه فى وعظ الخليفة المستضىء بالله (١) :

"فما زال المذكّر يتلطف حتى كاشف . ثم جاز الحدّ فى الوعظ بعد ماجازف . فقال : أيها السلطان إن تكلمتُ خفت منك وإن سكتُّ خفت عليك ، وأنا أقدّم خوفى عليك لمحبتى لك ، على خوفى منك" (٢) .

ولعل ابن الجوزى قصد أن يجعل أبا التقويم صورة عنه ، وبخاصة أن هنالك تشابهًا كبيرًا بينهما ، فلايختلف أبو التقويم فى معظم أدواره ، التى ظهر فيها فى هذه المقامات عن ابن الجوزى العالم ، والفقيه ، والواعظ ، والخطيب .

موضوع مقامات ابن الجوزى :

اتسمت مقامات ابن الجوزى بطابع منشئها ، الذى عُرف بإتقانه لصناعة الوعظ ، كما جاءت متنوعة تحمل فى طياتها ثقافة ابن الجوزى ، الذى صنف فى معظم وجوه المعرفة (٣) .

فقد كانت هذه المقامات متنوعة الأغراض ، حتى شملت الدين والعلم والأدب (٤) ، وهذا ماجعل الدكتور يوسف نور عوض يصرح بقوله : "ولانعرف مقاميًا عدا ابن الجوزى ، قد تعرض لمثل هذا الفيض من الموضوعات" (٥) .

---

(١) انظر نهاية المبحث الأول من هذا الفصل .
(٢) مقامات ابن الجوزى ص ٢٦٨ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٢٨ .
(٣) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص أ .
(٤) د. يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٥ ، د. شوقى ضيف : المقامة ص ٧٧ ، ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص د .
(٥) فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٥ .

وكان لجانب الوعظ الديني نصيب الأسد في مقامات ابن الجوزي ، وهو أمر لا يُعدُّ غريبًا عليه (١) .

ومن استعراض موضوعات المقامات (٢) ، نجد أن ابن الجوزي قد بدأها بمقامة : في حكم الأشياء ، ناقش فيها مسألة وجود الله – عز وجل – وأبطل ريب المتشككين .

وكانت المقامات بدءًا من الثانية حتى السادسة ، في قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، بالإضافة إلى قصص أخرى وردت في القرآن الكريم .

قال ابن الجوزي عن قصة نوح عليه السلام في المقامة الثانية : "أنذرَ الخلقَ ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا (٣) ، وبصيرهم كلما رأى الحق يتعامى ، فلاح للاحي (٤) عدم فلاحهم ، فولاهم الملا (٥) يأسًا من ملاحهم ، فأذّن مؤذن الطرد على باب دار إهدار دمائهم ، فغربت شمس الأنظار ، فادلهمّتْ عُقابُ العقاب (٦) ، فلما انسدلت الظلمة وفات النور ، {فَارَ التَّنُّورُ} (٧) ، فتخلف خَلْفَ نوح

---

(١) ابن الجوزي : مقامات ابن الجوزي (مقدمة المحقق) ص د، علي جميل مهنا : ابن الجوزي ومقاماته الأدبية ص ١٣٩ ، ابن الجوزي ومقاماته المخطوطة ص ٢٦٨ .
ويرى الأستاذ عبد الملك مرتاض أن انصباب ابن الجوزي في مقاماته على الوعظ ، قد يكون : "لونًا من التغطية الأدبية على بطله الذي لم يكن تقيًا ولا ورعًا في حقيقة الأمر" . فن المقامات في الأدب العربي ص ٢٠٠ . وهذا قول يجانبه الصواب ، إذ إن انصباب ابن الجوزي على الجانب الوعظي في مقاماته أصيل فيه ، لم تحتمه التغطية الأدبية . ويؤكد ذلك معظم كتاباته التي اتجهت إلى الوعظ ، ويبدو أن الأستاذ لم يطلع عليها .

(٢) انظر علي جميل مهنا : ابن الجوزي ومقاماته الأدبية ص ١٣٩-١٥١ ، ابن الجوزي ومقاماته المخطوطة ص ٢٦٨-٢٧٤ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} سورة العنكبوت : ١٤

(٤) اللائم .

(٥) الملا : عظم في العجز .

(٦) الليل .

(٧) سورة هود : ٤٠ ، سورة "المؤمنون" : ٢٧

خَلَفٌ من ولده ، فمدَّ يد الحنوِّ ليأخذه بيده {يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا}(١) فقيل إنه قد أُهْلِكْ ، {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}(٢) ..."(٣) .

أما الوعظ ، فقد جاء فى أربع عشرة مقامة وهى : (٧، ٩، ١٣، ١٧، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٤) .

وقد جاءت هذه المقامات فى صور متعددة ، ومن ذلك قوله فى المقامة السابعة عشرة : فى المواعظ : "تغشَّانى غَمُّ أعشانى(٤) ، فشغلنى وكفَّ شانى ، فهربتُ من مجلس الفكر . إلى مجلس الذكر . فمَنع الزحام من قرب المنبر . فلما تورطتُ توسطتُ المعْبَر . فإذا الكلام أحلى من العسل وأذكى من العنبر. وإذا المتكلم ذو هيئة وهيبة . فصيح اللهجة مليح الشيبة. فحفظتُ مما يقول . وقد حيَّر العقول : يا أُسراء الجهل فكُّوا قيودكم بالعلم تسلموا ، وقوُّوا أنفسكم الضِعاف بالتقوى تقوى، واحذروا الإغراق فى بحر المعاصى ، فإن ذَنُوبًا(٥) من الذُنوب يُغرق ، واعلموا أن حياة الفاجر فضيحة الدهر ، لأن الدنيا همتُه . واللذة نهمتُه . يبيع الآجل والأجلَّ . بالعاجل الأقل . يلبس ثياب الحُرِّ على جسد عبد ، وقد أنضاه(٦) الحرص وأضناه الطلب"(٧) .

وفى المقامة الحادية والثلاثين : فى التعازى . يموت لأحدهم ولد ، فيستعين ابن الجوزى (الراوى) بأبى التقويم ،

---

(١) سورة هود : ٤٢
(٢) سورة هود : ٤٦
(٣) مقامات ابن الجوزى ص ١٨ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٨٥-١٨٦ .
(٤) من العشا الذى يسبب عدم الرؤية فى الليل .
(٥) الدلو الكبير .
(٦) أتعبه .
(٧) مقامات ابن الجوزى ص ١٣٥-١٣٦ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٢٩٤ .

ليخفف عن المصاب بعض مايلاقيه :

"فبعثتُ إلى أبى التقويم ، وقلتُ : هل لك فى أجر عظيم ؟ فجاء فجلس بين الجماعة ، وقال : الشجاعة صبر ساعة ، ثم أشار إلى صاحب المصيبة ، وقال : اسمعها عجيبة ، فإنها تسلية للمصابين ، وموعظة للمؤمنين .

فَإنْ كُنْتَ تَبْكِيهِ طِلَابًا لِنَفْعِهِ ... فَقَدْ نَالَ جَنَّاتِ الخُلُودِ مُسَارِعًا

وإنْ كُنْتَ تَبْكِى أنَّهُ فَاتَ عَوْدُهُ ... عَلَيْكَ بِنَفْعٍ فَهُوَ قَدْ صَارَ شَافِعًا

ثم قال : إذا قيس الجزع بالصبر فالصبر أولى – غير أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى (١) ، واتعظ بما قال المولى : {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى} (٢) .

إذَا لَمْ يَكَ الأمْرُ ... فَكُنْ بِالصَّبْرِ لَوَّاذًا

وإلاَّ فَاتَكَ الأجْرُ ... فَلا هَذَا ولاَ هَذَا

الجَزَعُ لايردُّ الغائب ، ولكن يُسِرُّ الشامت . ثم إنه زيادة فى العذاب ، لأنه مصاب يضاف إلى مصاب" (٣) .

وفى المقامات (١٠،١٦،٢٨،٤٣) تطرق ابن الجوزى لموضوعات طريفة .

ففى المقامة العاشرة يشكو من نفور نفسه ، وغَلاظةِ طبعها إلى العقل ، الذى قام بسماع حُجَّةِ كل منهما ، ثم حكم أخيرًا للراوى وألقى اللوم على النفس ، التى أذعنت لحكم العقل بعد ذلك .وقد كرر نفس الفكرة فى المقامة الثالثة والأربعين .

---

(١) مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إنَّما الصبر عند أول صدمة " أخرجه مسلم، كتاب الجنائز ٦٣٧/٢

(٢) سورة الضحى : ٤

(٣) مقامات ابن الجوزى ص ٢٤٦-٢٤٧ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٠٤ .

وفي المقامة السادسة عشرة ، يغوص ابن الجوزى داخل نفسه ، ويسير فى مدينة بدنه ليجدها خاوية ، فيلوم القلب على تقصيره ، ويبصر العقل محبوسًا ، فيحمّل الحواس كل اللوم، لأنها كانت عونًا للهوى ، ثم يستعيد العقل سيطرته على المدينة ، ليعيد إليها الصلاح .

وفي المقامة الثامنة والعشرين ، يعرض ابن الجوزى لخصومة وقعت بين العقل والهوى ، واحتكما فيها إلى النفس ، وبعد أن أدلى كل واحد منهما بحجته حكمت النفس للعقل .

وفي المقامات (١١،٢١،٣٢) يذم ابن الجوزى الشُّح ويسفه البخل والبخلاء ، ويمدح الكرم ومن اتصف به .

وقد ضمن هذه المقامات المواعظ والأقوال الحكيمة شعرًا ونثرًا .

وتحدث عن الزهد والزهاد ، ووصف بعض أحوالهم فى المقامات (١٥،٣٠،٤٦) .

وجعل المقامات (١٩،٣٧،٤٠،٤٩) نقدًا اجتماعيًا لعصره .

ففى المقامة التاسعة عشرة يعرب ابن الجوزى عن سخطه من أفعال الناس ، مبينًا فضائل الخلوة واعتزال الناس .

وفى المقامة السابعة والثلاثين نجده ينتقد أفعال بعض القراء والمحدثين والفقهاء والحكام والمذكرين والمتصوفة والتجار المرابين ، غير أنه وقع فيما أخذه على المذكرين حين قال:"وأما المذكرون فيوردون الأخبار الموضوعة . ويتخاشعون بحركاتٍ ممنوعة وينشدون شِعْرَ ليلى والمجنون . ويوقِّعُون على

مِثْلِ اللحون . يجتلبون شرَّ الحُطام ويحتلبون دُرّ الطَّغام[(١)] ، همتهم اللفظة العجيبة ، لا النهى عن النظر والغيبة "[(٢)] .

فقد أورد ابن الجوزى فى مقاماته شعر مجنون ليلى – كما سنرى – وكان يوقع فى كلامه على مثل اللحون ، كذلك كان يؤثر الكلمات الغريبة والمعانى العجيبة ، غير أنه لم يكن يؤثرهما على النظر والغيبة[(٣)] .

وفى المقامة الأربعين ، حمل على الصوفية فى عمره ، ونقد أفعالهم .

وفى المقامة التاسعة والأربعين ، نقد ابن الجوزى على لسان بطله ، أوضاع المسلمين وأحوالهم فى عصره .

والمقامتان (٢٤،٤١) مقامتان تعليميتان ، فأما المقامة الرابعة والعشرون : فهى لغوية طريفة ، قصد منها تصحيح بعض الأخطاء اللغوية ، وإحياء بعض المفردات المهجورة.

حيث يقوم الراوى فيها برحلة إلى البادية ، ليفيد من فصاحة أهلها فيلقى أبا التقويم – وهو على هيئة أعرابى فصيح – فيرحب به فى بيته :

"ثم قدَّم خِوانًا . فقلتُ هذه مائدة . فقال : لاتُعَدْ وُعدَّها فائدة . لايقول العرب مائدة إلا اذا كان عليها طعام وإلا فهى خِوان . ولايقال للعَظْم عَرْق إلا إذا كان عليه لحم ، ولاكأسٌ إلا إذا كان فيها خمر ، وإلا فهى زجاجة ، ولاكوبٌ إلا إذا كانت له

---

(١) الطَّغَامُ : أوغاد الناس ورذال الطير . (الفيروز آبادى القاموس المحيط) ١٤٦/٤ .

(٢) مقامات ابن الجوزى ص ٣٠١ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٦٢ .

(٣) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٤٨ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٠ .

عُروة وإلا فهى كوز ..." .(١)

وهكذا يستمر أبو التقويم وولداه من بعده ، فى ذكر بعض تصرف العرب فى كلامهم للراوى حتى نهاية المقامة .

أما المقامة الحادية والأربعون ، فقد كانت فى علم القرآن والحديث والغريب ، وذكر فيها بعض الألفاظ الواردة فى القرآن الكريم من غير العربية ، كما ذكر فيها أيضاً معلومات فى التاريخ والأنساب .

وقريب من هاتين المقامتين التعليميتين ، المقامتان (٤٥، ٤٧) حيث جعل المقامة الخامسة والأربعين للأحاجى والألغاز، وأدار معظمها فى شكل سؤال وجواب فى موضوعات عديدة .

كما أكثر فى المقامة السابعة والأربعين - وكانت فى الاستسقاء - من ذكر الألفاظ الغريبة والمهملة .

وجعل المقامة الثامنة فى السفر إلى الله - عز وجل - وبين ابن الجوزى فى هذه المقامة ، أن هذا السفر يحتاج إلى همة وعزيمة قوية .

وتحدث فى المقامة الثانية عشرة ، عن الغزاة فى سبيل الله ، وبين فيها فضل الجهاد .

وفى المقامة الرابعة عشرة ، تحدث عن الشيب وأثره فى النفس .

وأفرد المقامة الثامنة عشرة ، للحج وزيارة الأماكن المقدسة .

---

(١) مقامات ابن الجوزى ص ١٩٨-١٩٩ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٣٥٧-٣٥٨ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٨٤ .

وكانت المقامة الثانية والعشرون ، فى حسن الصحبة والمداراة .

وجعل المقامة الثالثة والعشرين ، فى الربيع ، وبين فيها فضله على سائر الفصول ، وقد أقام ابن الجوزى فى هذه المقامة ، مناظرة طريفة بين الورد والنرجس ، جعل الغلبة فى خاتمتها للورد . ومنها قوله :"قلنا : أيّما أفضل النرجس أم الورد ؟ فقال : لايُفَضِّل النرجس إلا وَغْد . قلنا : فالنرجس يقول : أفضل مافى الدنيا الذهب والفضة وقد جمعها لونى ، والعيون الملاح بى يشبهها قومى ، قال :والورد يجيب : ذكرتَ مكّارَيْن إذا سرَّا غرَّا وإذا خَتَلا قَتَلا (١) ، ولاخير فى التشبيه بِشَرَك تخنق حبته ، ولابمحبوب يَعْشَق يَهْلِك فى عِشْقِهِ أحبّتُه . فإن كنتَ أشبهت خدَّاعِينْ (٢) فأنا خدّا عَيْنٍ (٣) " .

وتعرض فى المقامة الخامسة والثلاثين ، لوصف واعظ ، تطرق فيها لفصاحته وشدة تأثيره على الناس ، وبين كذلك إقبال الناس عليه ، ويبدو أنه كان يعنى نفسه .

وجعل العشق وأدويته ،موضوع المقامة السادسة والثلاثين فذكر فيها الأمثال والأبيات الغزلية ، وجاء أيضا بمقتطفات من أخبار بعض العاشقين كمجنون ليلى وعروة بن حزام (٤) .

---

(١) الختل : الخداع .
(٢) خداعين : الأولى من الخداع ، والثانية : من الخدّ وشبه فيها خمرة الخد بالورد .
(٣) مقامات ابن الجوزى ص ١٩٦ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٣٥٥ .
(٤) عروة بن حزام بن مهاجر الضنى العذرى ، أحد عشاق العرب المشهورين ، أحب ابنة عمه "عفراء" ومات وجْداً عليها بعد أن زوجت لغيره ، قيل إن مدته كانت فى عهد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .
انظر ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٤٠٧-٤١٩ ، البغدادى : خزانة الأدب ٢١٥/٣ ، الزركلى : الأعلام ٢٢٦/٤ .

ومـن ذلـك قولـه عـن مجنون لـيلى :"قلتْ أخبرني عن بعض ماجرى على العشاق فقال : مِحَنٌ لاتطاق ، كان مجنون ليلى لايُعرَفُ نهارًا ولاليلاً ، غلب على قلبه الوسواس . فهرب إلى الوَحْش عن الناس . فهو القائل :

إنِّى لأجْلِسُ فِى النَّادِى أُحَدِّثُهُمْ
فأسْتَفِيقُ وقَدْ غَالَتْنِى الغُولُ (١)
يُهْوِى بِقَلْبِى حَدِيثُ النَّفْسِ نَحْوَكُمْ
حتَّى يَقُولُ جَلِيسِى أنْتَ مَخْبُولُ

ثم غير المجنون العبارة ، وأخرج المعنى فى غير العبَّارة فقال :

وشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الحَدِيثِ سِوَى
مَاكَانَ مِنْكِ فَإنَّهُ شُغْلِى (٢)
وأدَمْتُ نَحْوَ مُحَدِّثِى نَظَرِى
أى . قَدْ فَهِمْتُ وعِنْدَكُمْ عَقْلِى (٣)

قلت : فكيف كان حال لَيْلَى بعده ؟ فقال : ماكانت تختار بُعده غير أنهم زوجوها وأخرجوها ، فمرَّ المجنون على زوجها وهو يصطلى بجمر . فقال له ياعمرو :

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إليْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أوْ قَبَّلْتَ فَاهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ (٤) عَلَيْكَ قُرُونُ (٥) لَيْلَى رَفِيْفَ الأقْحُوانَةِ فِى نَدَاهَا ؟ (٦)

---

(١) الغُول : الهلكة والداهية .
(٢) رواية الشطر الثاني فى الديوان :
ماكانَ مِنْكَ وحُبُّكم شُغْلِى
(٣) فى الديوان :
وأُدِيمُ نَحْوَ مُحَدِّثِى لِيَرَى أنْ قَدْ فَهِمْتُ وعِنْدَكُمْ عَقْلِى
(٤) هبت .
(٥) ضفائرها .
(٦) انظر الأبيات فى : ديوان مجنون ليلى ص ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٨٦ .

فقال : نعم ، فقبض من الجمر الذى لديه بيديه ، فما رماه حتى سقط لحم كفيه ، وخرَّ مغشيًا عليه " .(١)

وجعل المقامة الثامنة والثلاثين ، فى الأمثال والحِكَم ، وأتى فيها بحشد من الأقوال والأمثال .

ومن ذلك قوله :"قلتُ : فأمْلِ علىَّ من المسجوع ولو كلمتين . فقال : اللسان أقطع السيفين . الأمل إحدى اللذتين. الفقر إحدى الموتتين . حُسْنُ الثناء أحد البقائين . تَرْك الموطن أحد الشبابين . حُسْنُ الرَّدِّ إحدى الصدقتين . لطف المنع أحد البذلين . القرض إحدى الهبتين " .(٢)

وكانت المقامة الثانية والأربعون ، فى هزل وجِد ، ترك ابن الجوزى فى هذه المقامة – فقط – الجِدَّ جانبًا ، وأتى بطرائف ونوادر ومُلح ، ومن ذلك حديثه عن المغفلين :

"ورث بعض المغفلين نصف دار ، فقال : قد عزمتُ أن أبيع هذا النصف ، وأشترى النصف الآخر لتحمل الدار كلها لى .

وأُصيب بعضهم بمصيبة ، فقيل له : أعظم الله أجرك ، فقال : سمع الله لمن حمده ، الله ربنا لك الحمد ، إن الحمد والنعمة لك والملك .

وقيل لبعضهم : اخطب لنا خطبة النكاح ، فقال : الحمد لله نحمده ونستعينه ، وأشهد أن لااله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، فقال له رجل : اصبر لاتقم فلستَ على وضوء .

---

(١) مقامات ابن الجوزى ص ٢٨٨-٢٨٩ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٤٩-٤٥٠ .

(٢) مقامات ابن الجوزى ص ٣٠٩-٣١٠ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٤٧٠ .

ودخل رجل من حمص على الرشيد (١) . فقال له : من جالستَ من العلماء ؟ قال : أبى . قال : ماكان أبوك يقول فى عذاب القبر ؟ قال : كان يكرهه " (٢) .

وتحدث فى المقامة الثامنة والأربعين ، عن حِكَم الطير والحيوانات وأحوالها ، وضرب الأمثال بها للناس .

واختتم ابن الجوزى مقاماته بمقامة : فى الأخ الصادق ، وفيها يخطب الراوى ودَّ أبى التقويم ، ويسأله أن يكون جاره وصهره وسميره ، فيجيبه أبو التقويم إلى طلبه .

وقد وفق ابن الجوزى فى هذه الخاتمة :"فلا أفضل من أن يقيم المرء بجوار العقل ، فيكون له هاديًا وسميرًا" (٣) .

ويشبه ابن الجوزى فى إنهاء مقاماته ، بهذه النهاية السعيدة الحريرى ، الذى جعل بطله أبا زيد السروجى فى آخر مقاماته - المقامة البصرية - يتنسك منهيًا بذلك حياة الكُدْية والاستجداء (٤) .

ومن العرض السابق يظهر لنا مجىء الوعظ فى معظم مقامات ابن الجوزى ، فجاءت حافلة بالنصائح والإرشادات ،

---

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور (١٤٩ - ١٩٣هـ) وهو خامس خلفاء بنى العباس وأشهرهم ، تولى الخلافة عام (١٧٠هـ) وكان عالمًا حازمًا . وكان يحج عامًا ويغزو عامًا . انظر فى ترجمته : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٢-١٤٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٤/١-٣٣٩ ، الزركلى : الأعلام ٦٢/٨ .

(٢) مقامات ابن الجوزى ص ٣٤٢ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٥٠٥ .

(٣) على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٥١ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٤) انظر الحريرى : مقامات الحريرى ص ٤١٢-٤٢٤ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٥٤ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٥-٢٧٦ .

حتى يمكن القول : إنه التزم فى كل مقاماته بالنزعة التعليمية (١) .

ويشبه ابن الجوزى فى نزوع مقاماته إلى الوعظ (٢) ، أبا القاسم الزمخشرى ، الذى كتب خمسين مقامة فى الوعظ . قال فى المقدمة عن نفسه بضمير الغائب :

"انتدب للرجوع إلى رئاس عمله فى إنشاء المقامات ، حتى تممها خمسين مقامة ، يعظ فيها نفسه وينهاها أن تركن إلى ديدنها الأول بفكرٍ فيه ، وذِكْرٍ له إلا على سبيل التندم والتحسر ، ويأمرها أن تَلِجَّ فى الاستقامة على الطريقة المثلى" (٣) .

بيد أن ابن الجوزى يتفوق على الزمخشرى ، فى تنوع الموضوعات ، وحسن العرض ، من خلال الأداء القصصى لمقاماته ، فى حين التزم الزمخشرى فى مقاماته الأسلوب التوجيهى المباشر (٤) .

ومن الجدير بالاهتمام ، أننا نجد فى المقامتين (٤٦،١١) من مقامات ابن الجوزى ، مايشبه النقد والتعريض لمذهب الاستجداء والكُدية ، الذى كانت تقوم عليه المقامات

---

(١) د . يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٩،١٨٧ . وذكر الأستاذ عبد الحميد العلوجى عنوانًا لمقامات ابن الجوزى ، استقاه من بعض الكتب ، يؤكد الغرض التهذيبى والتعليمى لهذه المقامات ، وهو : المقامات الجوزية فى المعانى الوعظية وشرح الكلمات اللغوية .
انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٢٤،٣٠ ، د . ناجية عبد الله إبراهيم : قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى ص ١١٤ .

(٢) شوقى ضيف : المقامة ص ٧٧ ، عصر الدول والإمارات ص ٤٣٨

(٣) مقامات الزمخشرى ص ١٣-١٤ .

(٤) د . يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٨٩،١٨٧ .

قبل ابن الجوزى .

ففى المقامة الحادية عشرة : فى ذم الأكل فى قوة العز. يدعو الراوى الناس لتناول الطعام ، فيلوح له أبو التقويم فى هيئة أعرابى رث الثياب ، فيشمئز منه ، ويقول لصاحب له: "أما هذا فلا" فيجيبه أبو التقويم بقوله : "لأنت الخارج إذا قبل" فيندم الداعى ، ويصر عليه ليقبل الدعوة ، بعد أن رأى غضبه ، فيرد عليه أبو التقويم :"ماغضبت لفوت القوت والرغيف ، ولكن لأنى رأيت الضعيف عيف" . وبعد الحاح يذعن أبوالتقويم ، ويتناول من المائدة لقيمات ثم يكفُّ ، وحين سئل عن ذلك قال :

"افهم حكمة من أحيا ، واعلم فائدة المحْيَى ، إن كنتَ العِلْمَ تأمُلْ ، إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل ، إن خير المطاعم ما استخدمت ، وإن شرها ماخدمت" (١) .

وفى المقامة السادسة والأربعين : فى الزهد فى المال يقول أبو التقويم لمن سأله :

"لاشك أن المال بالطبع محبوب ، وأن تحصيل ذاته لِلَذَّاتِه مطلوب ، ولكن لابحيث مايفسد الأديان والقلوب . وإنما هو مخلوق لغرض معترض ينوب ، فهو ممدوح لكونه يقضى الحوائج، محمود لأنه مستعجل فى المراد رائج ، ولعمرى إنه ماتسبب هم إلا بالحاجة إليه . ولاوقع رياء إلا بالحيلة عليه .." (٢) .

ولم يهمل ابن الجوزى الجانب الأدبى فى مقاماته ، وذلك

---

(١) مقامات ابن الجوزى ص ٨٧،٩٠-٩١ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٢٥٠-٢٥٣ .

(٢) مقامات ابن الجوزى ص ٣٧٧ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٥٣٨ .

- كما رأيناه - فى مقامته عن الربيع ، والمقامة الهزلية ، ومقامة الأمثال ، وحديثه عن أخبار العشاق .

ويمكن أن نضيف إليه ، الحوار الطريف الذى أجراه فى علوم اللغة واستخداماتها اللفظية ، فى المقامة الرابعة والعشرين (١) .

وقد صاغ ابن الجوزى مقاماته ، فى شكل قصصى ممتع ، وأكثر من الإقتباس من القرآن الكريم والحديث والأمثال (٢) . ورأينا فى بعض مقاماته ، محاكاته للجملة القرآنية (٣) ، وهو الأمر الذى سبق أن رأيناه فى مواعظه وخطبه وقصصه .

وكان ابن الجوزى ، مغرماً بالجناس والترادف والتشخيص ومختلف ألوان البديع ، والتزم السجع فى أحيان كثيرة ، بغرض إيجاد التلاؤم النغمى الذى يطرب القارئ ، إلا أن أكثر سجعه كان مُتكلفاً ، بالإضافة إلى اتيانه بالألفاظ الغريبة ، التى أدت إلى تعمية المعنى فى بعض الأحيان (٤) .

كما فى قوله ، فى المقامة السابعة والأربعين : فى الاستسقاء :

"كان بلدنا كثير النبات حتى الفاغية (٥) . فكنا فى بُلَهْنِيَة (٦) من العيش ورفاهية ، فأقلع الغيث فانقلع الزرع ،

---

(١) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص د .

(٢) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص أ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٦٠ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٩ .

(٣) انظر مقاماته فى القصص القرآنى ، من المقامة الثانية حتى السادسة .

(٤) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص أ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٦٠-١٦١ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٩ .

(٥) الفاغية : نور الحناء .

(٦) البلهنية والرفاهية : سعة العيش .

وعبس الثرى ويبس الضَّرْع . فضفا(١) لدينا وجف بنا الصفف والجفف(٢) واحتوى علينا النشف(٣) والقشف(٤) . فنفضنا المزاود . وانفضنا(٥) وقضمنا(٦) بعد ماخضمنا(٧) وطفقنا نتناول السلع والأرْى(٨) . بعد أن كنا نأكل العَسَل(٩) والأرْى(١٠)" .

ومع هذه المبالغة فى إيراد الغريب من الألفاظ ، فإنه يمكن أن نستشف الغرض التعليمى من ذلك ، بدليل أن ابن الجوزى ، كان يفسر ماورد فى مقاماته من الغريب .

وقد اعتنى ابن الجوزى بالشعر فى مقاماته ، سواء ماكان من نظمه أو من نظم غيره ، وقد بلغ قرابة الألف ومائة بيت ، فجاء معظمه رائقاً لطيفاً(١١) ، واكب الأسلوب القصصى للمقامات - كما رأينا فى المثالين السابقين - وهاهو الشعر يؤدى دوراً مؤثراً فى ذم البخل ، فى المقامة الحادية والعشرين : فقد سئل أبو التقويم كيف يداوى البخل ؟ فقال : "اعلم أن مالك ما أتلفت . ومالك ماخلّفت . وتيقن أن البخيل فقير لايؤجر على فقره :

---

(١) ضفا : نما وكثر .
(٢) الصفف والجفف : شدة العيش .
(٣) النشف : ذهاب الماء فى الأرض .
(٤) القشف : سوء الحال وضيق العيش .
(٥) انفضنا : لم يبق لنا شىء .
(٦) القضم : بمقدم الأسنان .
(٧) الخضم : بأقصى الأسنان .
(٨) السلع والأرى : الحنظل .
(٩) الأرى : العسل .
(١٠) مقامات ابن الجوزى ص ٣٨٤ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٥٤٥ .
(١١) ابن الجوزى : مقامات ابن الجوزى (مقدمة المحقق) ص أ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ١٦٠ ، ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة ص ٢٧٩ .

يُفْنِى الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ
وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوُرَّاثِ مَايَدَعُ
كَدُودَةِ الْقَزِّ مَاتَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا
وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

ياهذا أطلق يدك فى التصدق ، على جميع الأحياء ، حتى على أحياء الموتى ، وإذا جُزْتَ على المحبَّسين فى القبور ، فلاتبخل بآيتين فإنها صدقة سهلة ، واجمع لقلعة الحبس مايكفيك أيام الحصار (١) . قال : زدنى زادك الله .

قال : اعلم أن القدرة بَرْقٌ خُلَّبٌ (٢) ، والدولة ريح قُلَّب (٣) .

إذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فاغْتَنِمْهَا ... فَإِنَّ لِكُلِّ عَاصِفَةٍ سُكُونُ (٤)
ولاتَغْفَلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيهَا ... فَمَاتَدْرِى السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ" (٥)

وخلاصة القول : إن مقامات ابن الجوزى ، كانت وعظية تعليمية فى غالبيتها ، بيد أنها مع ذلك مثلت تطورًا للمقامة الأدبية ، سواء فى شكلها أو فى مضمونها .

---

(١) الحصار : يريد به القبر وأيام الرقاد فيه .
(٢) برق خُلَّب : أى خادع لاطائل منه .
(٣) قُلَّب : أى كثيرة التقلب .
(٤) فى البيت إقواء . فمن حق (سكون) أن تكون منصوبة خبرًا لإن . انظر تعليق محقق مقامات ابن الجوزى ص ١٧٧ .
(٥) مقامات ابن الجوزى ص ١٧٦-١٧٧ ، على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٣٣٢-٣٣٣ .

الفصل الثانى

نثره التأليفى

المبحث الأول : نثره العلمى .

المبحث الثانى : نثره التوجيهى .

المبحث الثالث : صيد الخاطر .

المبحث الأول

نثره العلمى

المراد بالنثر العلمى : هو ماكان القصد منه عرض البراهين ، وتقرير الحقائق ، وشرح المذاهب ، لذا فهو نثر خالٍ من السجع والازدواج غالباً ، لانشغال الكاتب بسرد الحقائق ، بصورة تجعله لايهتم بتنميق الإنشاء (١) .

والنثر العلمى يتضمن الفكرة واللفظ ، ويخلو من العاطفة والخيال ، اللذين يعول عليهما النثر الفنى . وإذا دخل النثرَ العلمى التشبيهُ أو التمثيلُ ، فذلك لقصد الإيضاح والتفصيل فحسب (٢).

ومعظم نثر ابن الجوزى ، يمكن إدراجه فى مجال النثر العلمى ، لأن طبيعة موضوعات مصنفاته اقتضت منه ذلك (٣) .

وكذلك فإن :"ابن الجوزى لم يكن من الكُتَّاب المتأنقين، الذين قصدوا أن يكتبوا بإسلوب أدبى فنى خاص ، فقد غلبت فى كتبه النزعة التاريخية ، والأسلوب التاريخى فى سرد الأخبار ، وكان حريصاً فى الكثير منها على التقيد بالإسناد" (٤).

وكان أسلوب ابن الجوزى فى كتبه سهلاً واضحاً ، امتاز بمتانة العبارة ، وفصاحتها (٥) .

ولعل مرجع هذه السهولة ، وهذا الوضوح فى أسلوبه ، هو تأثره بالمنهج الوعظى الذى اتخذه أسلوباً له طيلة حياته ،

---

(١) د. زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع ١/١٥٢ .
(٢) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٣٢٩ .
(٣) انظر مصنفات ابن الجوزى فى الباب الأول .
(٤) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٤٨-٤٩ .
(٥) ابن الجوزى : المصباح المضىء (مقدمة المحققة) ١/٣٩ .

لأن الوعظ يستدعى الابتعاد عن الأسلوب العلمى الجاف ، الذى يصعب على العامة فهمه (١) .

ونظرًا لخبرة ابن الجوزى بالعامة ، ومعرفته الأسلوب الملائم لمخاطبتهم (٢) ، فقد عمد إلى انتقاء ألفاظه وعباراته ، بصورة تمكنه من تجسيد مايريد من المعانى فى نفوس القراء ، بشكل واضح وفى أقل عدد من السطور ، حتى وإن كان بصدد الحديث عن مسألة فقهية تقتضى الإفاضة فى الشرح .

يقول ابن الجوزى فى ذكر مايحل للزوجة من مال زوجها "واعلم أن فصل الخطاب فى هذا الباب ، أنه متى كان الرجل يفرض للمرأة ، مايجب عليه لها من النفقة ، لم يجز لها أن تأخذ من ماله شيئًا ، إلا عن أمره ، الا أن تعلم أنه إذا اطلع على ذلك لم يكرهه ، وكذلك إن تمدقت بما تعلم أنه يأذن فيه جاز . فأما إذا علمتْ أنه يكره ذلك لم يجز لها ، وإنما يجوز أن تأخذ مقدار نفقتها بالعدل إذا كان يمنعها ذلك" (٣) .

وقال ابن الجوزى عن بعض الرواة الذين أوردوا الأحاديث الموضوعة :

"والقسم الرابع : قوم غلب عليهم السلامة والغفلة ، ثم انقسم هؤلاء فمنهم من كان يُلقَّنْ فيتلقن ، ويقال له : قل فيقول ، وقد كان بعض أولاد هؤلاء أو ... (٤) يضع له الحديث

---

(١) ابن الجوزى : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (مقدمة المحققة) ص (ج – د) .
(٢) ابن الجوزى : القرامطة (مقدمة المحقق) ص ٢٢ .
(٣) كتاب أحكام النساء ص ٣٣٥ .
(٤) بياض فى الأصل ويعتقد محقق الكتاب أن مكانه : رواته .

فيدون ولايعلم ، ومنهم من كان يروى الأحاديث ، وإن لم تكن سماعاً له ظناً منه أن ذلك جائز ، وقد قيل لبعض متغفليهم : هذه الصحيفة سَماعُك ؟ فقال : لا ولكن مات الذى رواها فرويتها مكانه " (١) .

وفى مجال المناقب ، قال عن فضل الإمام أحمد بن حنبل وتمكنه فى علوم القرآن والحديث :

"وأما النقل : فقد سلّم الكلُّ انفراده فيه بما لم ينفرد به سواه ، من الأئمة من كثرة محفوظه منه ، ومعرفة صحيحه من سقيمه ، وفنون علومه ، وقد ثبت أنه ليس فى الأئمة الأعلام قبله ، من له حظ فى الحديث كحظ مالك (٢) .

ومن أراد معرفة مقام أحمد فى ذلك من مقام مالك ، فلينظر فرق مابين المسند والموطأ ، وقد كان أحمد رضى الله عنه يذكر الجرح والتعديل والعلل من حفظه إذا سئل كما يقرأ الفاتحة " (٣) .

وكان ابن الجوزى يعبر عن آرائه الفكرية بكل يسر وسهولة ، يقول عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرى :

"وقد استخرجت معنيين عجيبين :

أحدهما : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحد اليوم : أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقيل له :

---

(١) كتاب الموضوعات ٣٦/١ .

(٢) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى (٩٣ - ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإمام المذهب المالكى . انظر فى ترجمته :
ابن الجوزى صفة الصفوة ١٧٧/٢-١٨٠ ، تلقيح فهوم الأثر ص ٦٢٦ ، الزركلى : الأعلام ٢٥٧/٥-٢٥٨ .

(٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٤٩٧ .

محمد شُقَّ له القمر وموسى شُقَّ له البحر لقال : هذا محال .

فجعل الله - سبحانه - هذا القرآن معجزًا لمحمد صلى الله عليه وسلم يبقى أبدًا ، ليَظهر دليل صدقه بعد وفاته ، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء ، إذ هو مصدِّق لهم ومخبر حالهم .

والثانى : أنه أخبر أهل الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان (١) ، ولعائشة بالبراءة (٢) ، وهذه شهادات على غيب . فلو لم يكن فى التوراة والإنجيل صفته ، كان ذلك منفِّرًا لهم عن الإيمان به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما خلاف ما شهد لهما به نَفَرا عن الإيمان" (٣) .

وسيطول بنا المقام إذا ما حاولنا تتبع نثره العلمى ، نظرًا لكثرة مؤلفات ابن الجوزى ، إلا أنه يمكن القول من خلال ماسبق (٤) : إن الوضوح - وهو الصفة الأصيلة فى الأسلوب العلمى - والسهولة ، مضطردان فى نثره العلمى .

---

(١) حاطب بن أبى بلتعة اللخمى ، صحابى جليل شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة (٣٠هـ) .
وهنا يريد ابن الجوزى قصة الرسالة التى بعثها حاطب لأهل مكة قبيل فتحها ، من أجل أن يتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابته ، انظر شهادة رسول الله له بالصدق : صحيح مسلم ٤/١٩٤١-١٩٤٢ كتاب فضائل الصحابة . وانظر فى ترجمته :
ابن عبد البر : الاستيعاب ١/٣١٢-٣١٥ ، ابن الجوزى : تلقيح فهوم الأثر ص ٢٠ .

(٢) المراد براءة السيدة عائشة رضى الله عنها من حادثة الإفك . انظر هذه الحادثة :
ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢/٢١-٢٩ .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١/٢٧١-٢٧٢ .

(٤) أحمد الشايب : الأسلوب ص ١٠٣ .

المبحث الثانى

نثره التوجيهى

برز ابن الجوزى فى مجال النثر ، بروزًا واضحًا ، شهد له فيه عدد من المؤرخين والباحثين المعاصرين :

قال ابن جبير :"وأما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويعطل المثل بقُس وسحبان" (١) .

وقال ابن البزورى : "وتفرد بالمنثور ، وفاق على أدباء عصره" (٢) .

ووصفه صاحب كتاب "التاج المكلل" بالبلاغة والأدب (٣) .

كذلك وصفه الشيخ أبو الحسن الندوى بالكاتب المترسل البليغ (٤) .

وقال عنه الدكتور مصطفى عبد الواحد :"كان أديبًا رائق العبارة ..." (٥) .

وقال عنه الأستاذ محمد بحر العلوم ، إنه "أديب بارع

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٠٧ . وقُسّ بن ساعدة الإيادى ، هو أحد حكماء العرب وخطبائهم فى الجاهلية وصفه الجاحظ بقوله: "كان خطيب العرب قاطبة " البيان والتبيين ١/٥٢ . وانظر العسكرى : جمهرة الأمثال ١/٢٤٩ ، الزركلى : الأعلام ٥/١٩٦ . وسحبان بن زفر بن إياس الوائلى (المتوفى ٥٤هـ) كان بليغًا حتى ضُرب به المثل فقيل :"أخطب من سحبان" و"أفصح من سحبان" . انظر : العسكرى : جمهرة الأمثال ١/٢٤٨ ، الميدانى : مجمع الأمثال ١/٤٤٠ ، الزركلى : الأعلام ٣/٧٩ .

(٢) أبو الطيب القنوجى : التاج المكلل ص ٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٤ .

(٤) مختارات من أدب العربى ١/١٥ .

(٥) ابن الجوزى : ذم الهوى (المقدمة) ص ٧ ، صفة الصفوة (مقدمة المحقق) ١/١٣ ، غريب الحديث (مقدمة المحقق) ١/٢٧ .

في منثوره ومنظومه ، في قلمه وبيانه "[1] .

بيد أن ابن الجوزي لم يحترف صناعة الإنشاء ، كما لم يُعرف عنه انقطاعه للأدب . فقد عاش رحمه الله داعيًا إلى الله تعالى ، وقد سخَّر لذلك كل إمكاناته التي حباه الله بها ، ومنها قلمه ، فجاءت معظم مصنفاته في سبيل هذه الغاية .

وقد ظهرت في بعض تلك المصنفات ، موهبته النثرية وهي: صيد الخاطر ، وذم الهوى ، وتلبيس إبليس أو (نقد العلم والعلماء) ، والطب الروحاني ، والحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ ، ولفتة الكبد في نصيحة الولد .

ففي هذه الكتب تناول الكثير من القضايا ، التي تهم المجتمع الإسلامي ، في قالب فني جميل يقوم على الترسل ، الذي لايكتنفه أي غموض .

لذا يؤكد بعض الباحثين أن أسلوب ابن الجوزي لم يتأثر بما عرا عصره (القرن السادس) من الاهتمام بالبديع ، والجري وراء حلى الألفاظ[2] .

ويرى آخرون أن أسلوبه ، أقرب مايكون إلى أسلوب كتَّاب العصر الحديث . فأنت تقرأ له وكأنك تقرأ لكاتب معاصر ، فلاتقع منه على تعبير غامض ، أو جملة قلقة أو كلمة صعبة ، وتنساق ألفاظه مع المعاني ، التي يريدها انسياقا

---

(١) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين (المقدمة) ص ١٩ .

(٢) ابن الجوزي : ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٧ ، سلوة الأحزان (مقدمة المحققتين) ص ١٦-١٧ ، صفة الصفوة (مقدمة المحقق) ١/١٣ ، غريب الحديث (مقدمة المحقق) ١/٢٧ ، أنور الجندي : نوابغ الإسلام ص ٢٩٥ . وانظر التمهيد .

طبيعيا .(١)

وقد أوتى ابن الجوزى فى هذه الكتب ، حاسة أدبية جعلته قادرًا على اختيار الألفاظ فى مواطنها ، وعلى التعبيرات النادرة بالإضافة إلى التصوير الدقيق ، والتلوين فى الصورة(٢)

وانفسح أمامه فيها مجال التحليل ، فأتى بالفكر العميق والرأى الناصح .(٣)

ويعد كتاب "صيد الخاطر" أبرز هذه الكتب ، أطلق فيه سوانحه ، ووصل نثره فيه إلى قمته ، فهو بحق : أروع ماسطرته يد ابن الجوزى .

لذا فإن دراسة هذا الكتاب - وهو موضوع المبحث القادم - تغنينا عن دراسة الكتب الأخرى ، وتتيح لنا كذلك التعرف على أسلوب ابن الجوزى الفنى .

ويمكن أن نلحق بنثر ابن الجوزى التوجيهى ، أقوالاً قالها فى مناسبات عديدة ، حتى أصبحت حِكَمًا تصلح للاستشهاد بها ، نظرًا لما تحمله من معان نبيلة ، استطاع صياغتها فى عبارات سهلة موجزة ، يسهل على الناس ترديدها .

ومنها قوله :"شهوات الدنيا أنموذج ، والأنموذج يُعرض ولايُقبض" .(٤)

---

(١) ابن الجوزى : فضائل القدس (مقدمة المحقق) ص ٤٩ ، د.الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٥ .

(٢) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/د ، ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٧ .

(٣) ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى (مقدمة المحقق) ١/د .

(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١ . وقد شرح الشيخ على الطنطاوى هذا القول فى مقدمته لصيد الخاطر فقال :"أى أنها أنموذج للذات فى الآخرة ، يراها المرء معروضة فى الدنيا ليختار منها مايريد اقتناءه فيها ، يقدم ثمنها عملاً صالحًا يشتريها به فى أسواق الجنة" ص ١٦ .

وقـال مرة :"من وقف على صراط الاستقامة ، وبيده ميزان المراقبة ، ومحك الورع يستعرض أعمال النفس ، وبَردّ البهرج إلى كير التوبة ، سلم من ردِّ الناقد يوم التنقيض" (١) .

وقـال :"بقايا الشهوات ، فى سوق الهوى متبهرجات ، يمسكن ثياب الطبع ، فإن خرج الزاهد من بيت عزلته خاطر بذنوبه" (٢) .

وقال :"من قنع طاب عيشه ، ومن طمع طال طيشه" (٣) .

وقـال :"عقارب المنايا تلسع ، وخدرات جسم الأمل يمنع الإحساس" (٤) .

وقال :"الحياة فى إناء العمر ترشح بالأنفاس" (٥) .

وقال :"الطاعة تنشط اللسان ، والمعاصى تذل الإنسان" (٦) .

وقـال :"الدنيا دار الإله ، والمتصرف فى الدار بغير أمر صاحبها لص" (٧) .

وقال :"المتعرض للنبلة أبله" (٨) .

وقال :"ما اجتمع لامرئ أمله ، إلاوسعى فى تفريطه أجله" (٩) .

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١ . وهنا عمد ابن الجوزى إلى التمثيل فجعل الاستقامة مما يوقف عليه ، ومراقبة الله مما يمسك باليد ، وجعل الورع محكاً لما يصدر عن النفس من أعمال ، وجعل للتوبة كِيراً مثل كير الحداد يحرق فيه مايعتمل فى النفس من زيف وبهرج كاذب ، ثم بين أن من كان هذا دأبه ، فإنه سيسلم من كل نقد يوم الحساب ، بإذن الله .

(٢) المصدر السابق . وهنا يشير ابن الجوزى إلى أن الشهوات التى تميل إليها النفوس ، بما جُبلت عليه من طبع يميل إلى الهوى ، إنما علاجها الزهد ، وبغيره تقع تلك النفوس فى براثن الذنوب .

(٣) المصدر السابق ، سبط ابن الجوزى ٤٩١/٨ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٩١/٨ .

(٥) المصدر السابق . وهنا استعارة مكنية لطيفة . حيث صور تتابع أنفاس الإنسان إلى أن ينتهى عمره برشح الماء من الإناء حتى ينتهى ويجف .

(٦) المصدر السابق .

(٧) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٤٢١/١-٤٢٢ .

(٨) المصدر السابق ٤٢٢/١ .

(٩) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٣٧٥/٢١ .

المبحث الثالث

صيد الخاطر (١)

ومن عنوان الكتاب يمكن إدراك المضمون ، وهو اقتناص الخواطر ، وتقييدها بالكتابة . وقد تحدث ابن الجوزى فى المقدمة عن فحوى الكتاب فقال :

"لما كانت الخواطر تجول فى تصفح أشياء تَعرض لها ، ثم تُعرض عنها فتذهب ، كان من أولى الأمورحفظ مايخطر لكيلا يُنسى. وقد قال عليه الصلاة والسلام :"قيدوا العلم بالكتابة " (٢) .

وكم قد خطر لى شىء ، فأتشاغل عن إثباته فيذهب ، فأتأسف عليه . ورأيت من نفسى أننى كلما فتحت بصر التفكر ، سنح له من عجائب الغيب ، مالم يكن فى حساب فانثال عليه من كثيب التفهيم مالايجوز التفريط فيه ، فجعلت هذا الكتاب قيداً ، لصيد الخاطر" (٣) .

وكان ابن الجوزى يتتبع فى كل خاطرة ، من خواطر هذا الكتاب (وحى الساعة) يسجل فيها مايخطر على باله ، بصورة

---

(١) نظراً لقيمة هذا الكتاب نشر بتحقيقات عديدة ، ومما اطلعت عليه :
(أ) تحقيق الشيخين على وناجى الطنطاوى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
(ب) تحقيق الشيخ محمد الغزالى ١٩٦٠م .
(ج) تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
(د) تحقيق الأستاذ محمد عبد الرحمن عوض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
(هـ) تحقيق الأستاذ آدم أبو سنينة ١٩٨٧م .

(٢) نقل الشيخ على الطنطاوى عن الشيخ ناصر الدين الألبانى: أن هذا الحديث موقوف على أنس بن مالك رضى الله عنه . وفى سنن الدارمى مايؤكد ذلك :"... حدثنى ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أن أنساً كان يقول لبنيه : يابنى قيدوا هذا العلم" ١٢٧/١ . وسمع مثل ذلك أيضاً عن عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما . المصدر السابق ١٢٧/١-١٢٨ .

(٣) (طبعة الطنطاوى) ص ٤٣ .

تلقائية ، بشكل أدى به إلى التناقض فى بعض الأحيان ، إذ كان يسوق الرأى ، وقد ساق من قبل رأيًا ضده ، ويذم أمرًا كان قد وقع هو فيه (١) .

ولهذا الكتاب مزايا عديدة ، تجعله من كتب الأدب الرفيعة ، التى تمنح قارئها المتعة والفائدة معًا .

وقد وضح الشيخ على الطنطاوى – وهو أبرز من حقق هذا الكتاب – بعضًا من مزاياه ، فقال :

"وليس فى هذا الكتاب بلاغة الجاحظ (٢) وابن قتيبة (٣) ، ولاصناعة ابن العميد (٤) ، ولافحولة الجرجانى (٥) ، ولكنَّ فيه شيئًا ليس مثله عند أولئك جميعًا ، هو هذه السهولة وهذه السلاسة وهذا الصدق فى تصوير الخواطر ، وهذا الإلمام بالمسائل النفسية والاجتماعية والدينية ، ومافيه من وثبات ذهنية عجيبة ، ومايقوم به من تحبيب الأدب الى الطلاب .

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ على الطنطاوى) ص ٦ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، الليثى (١٦٣ – ٢٥٥هـ) أحد أبرز أعلام الأدب العربى ، وصاحب التصانيف المشهورة .
انظر فى ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٢/١٢-٢٢٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٧٠/٣-٤٧٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٢١/٢-١٢٢ ، الزركلى : الأعلام ٧٤/٥ .

(٣) انظر ترجمته فى الباب الأول .

(٤) أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب ، وزير ركن الدولة بن بويه . كان من أئمة الكتابة والترسل فى عصره ، حتى قيل :"بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد" . مات سنة (٣٦٠هـ) .
انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠٣/٥-١١٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣١/٣-٣٤ ، الزركلى : الأعلام ٩٨/٦ .

(٥) الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ، إمام أهل البلاغة ، ويعد كتاباه : دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة من أعظم كتب البلاغة العربية . توفى سنة (٤٧١هـ) .
انظر فى ترجمته : اليافعى : مرآة الجنان ١٠١/٣ ، الزركلى : الأعلام ٤٨/٤-٤٩ .

وهذا الكتاب لو نشر اليوم على أنه لبعض الكُتّاب العصريين لقامت له الصحف الأدبية وقعدت، وهلّلت له وكبَّرت، وأحلتَّه الذروة والسنام " . (١) (٢)

وصيد الخاطر طراز فريد فى الأدب الدينى، بما تضمنه من فكر صادق واستعراض لقضايا السلوك الإنسانى، بالإضافة إلى التأمل الوجدانى، الذى لاتبلى جدته أو ينتهى أمده . (٣)

ولاتخلو نظرة فى هذا الكتاب من موعظة يُتعظ بها، أو فائدة يستفاد منها، أو طرفة يونس بها . (٤)

فـ "فى هذا الكتاب صور رائعة للتوجيه الإسلامى النظيف، وأصداء عالية لنداء الفطرة الإنسانية الزاكية . ومشاعر مشبوبة للضمير اليقظ والنفس اللوامة، والهمة البعيدة والرقة الحانية، والطموح الوثاب، والحذر الذكى والصراحة المنسابة " . (٥)

ونجد فيه مزجًا بين الفقه والأدب . (٦)

وقد استطاع ابن الجوزى فى كتابه هذا أن يتحسس علل مجتمعه، ثم قدم لها العلاج الشافى . (٧)

---

(١) وقريب من هذا ماقاله الشيخ محمد الغزالى فى مقدمته للكتاب: "وبالرغم من أنه قد مضت تسعة قرون على تأليفه، فإن قارئه يشعر بأنه أمام كتاب حديث الإخراج" . ص ٣ .

(٢) مقالات فى كلمات ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ محمد الغزالى) ص ٣ .

(٤) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ على الطنطاوى) ص ٥ .

(٥) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الغزالى) ص ٥ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق ص ٣، (مقدمة محمد عبد الرحمن عوض) ص ١٩، عبد الله حمد العويشق : الأدب فى خدمة الحياة والعقيدة ص ٢٤٥ .

وانطلق فيه فى الكثير من آفاق الفكر والمعرفة والأدب والفن ، حيث كان :"يسوق خلال فصوله شوارد الشواهد ، ويقيِّد نوافر الأوابد " بالإضافة إلى الروايات الإخبارية (١) ، وحديثه الشائق عن ذاته .

والكتاب بعد ذلك ذو قيمة عالية ، ظهرت فيه موهبة ابن الجوزى ، فلم يُقلد أحدًا ، بل استطاع أن يصنفه بطريقة لم يعرفها أحد من المصنفين (٢) - على حد قول الشيخ الطنطاوى - .

ولم تستطع القرون التسع أن تقلل من قيمة هذا الكتاب لذا يجد الإنسان المعاصر فيه بغيته ، فـ"خواطر ابن الجوزى تقدم للقارىء هدنة يلتقط فيها أنفاسه ،وسط زحام الحياة اللاهث ، وماديتها الطاغية ، فإذا بالقارىء يُلقى بنفسه بين هذه الصفحات ليجد فيها كل مايريد من فكر .. وتوجيه .. ونصيحة .. " (٣) .

وفى النصف الأول من هذا القرن ، نجد أديبًا كبيرًا من أدباء هذا العصر ، وهو الأستاذ أحمد أمين يُقلد ابن الجوزى، حيث سمى ديوان مقالاته بـ "فيض الخاطر" (٤) .

وقد اشتمل هذا الديوان على مجموعة من المقالات الأدبية والاجتماعية ، نشر بعضها فى مجلة "الرسالة" وفى مجلة "الهلال" والبعض الآخر لم ينشر فى هذه ولاتلك ، ثم استحسن الكاتب أن يجمعها فى كتاب وصلت أجزاؤه الى عشرة (٥) .

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٤١ .
(٢) المصدر السابق ص ٥ .
(٣) المصدر السابق (مقدمة محمد عبد الرحمن عوض) ص ٢٠ .
(٤) المصدر السابق (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٥ .
(٥) فيض الخاطر . الجزء الأول . المقدمة (بدون رقم) .

ولـم يذكـر الأسـتاذ أميـن شيئًا عن مصدر هذه التسمية الجامعـة لديوان مقالاته ، هل هى من عنده ؟ أم استوحاها من غيره ؟ إلا أن الأستاذ عبد الحميد العلوجى أشار إلى وجود نسخة مخطوطة من كتاب صيد الخاطر بعنوان : فيض الخواطر ، فى دار الكتب المصرية ١:٣٢٩ ، وذكر أنه طبع بهذا العنوان فى القاهرة سنة ١٣٤٥هـ (١) .

فالغالب على الظن إذن أن الأستاذ أحمد أمين قد استوحى عنوانه من صيد الخاطر ، الذى لابد أن يكون قد اطلع عليه – وهو الباحث والمحقق – أو مرَّ عليه ذكره على أقل تقدير (٢) .

وعلـى الرغم من التشابه الكبير فى التسمية ، بين صيد الخاطر وفيض الخاطر ، فإن الأول أدق فى الدلالة . لأن مايتصيد من الخاطر يوحى بالجهد الفكرى ، الذى يبذل فى سبيل اقتناصه ثم تقييده بالكتابة .

أما الفيض فليست له تلك الرؤية الإبداعية ، بل يمكن أن يُفهم منه الترف العقلى ، فما يفيض به الخاطر قد يكون مثمرًا ، وقد يكون زبدًا لاقيمة له .

ولايستبعد أيضًا أن يكون الأستاذ أمين قد أنشأ مقالاته – أو بعضها – بوحى من صيد الخاطر ، لأن خواطر هذا الكتاب تطرقت إلى الكثير من القضايا الدينية والأدبية والاجتماعية،

---

(١) مؤلفات ابن الجوزى ص ١١٨ .
(٢) تحدث الأستاذ أحمد أمين فى كتابه الذى ترجم فيه لحياته ، عن إسناد وظيفة مدير إدارة الثقافة إليه فى الجامعة العربية عام ١٩٤٦م ، ومما قاله :"فأنا وإخوانى فى الإدارة الثقافية ، ننشىء معهدًا للمخطوطات، نريد به أن نصور كل المخطوطات القديمة فى العالم ، على أفلام صغيرة ، ونشترى الآلات اللازمة لذلك ، ونصور أهم المخطوطات فى دار الكتب ، وفى الجامعة المصرية ..." . حياتى ص ٢٦٩ .

بصورة أشبهت المقالات فى شكلها ومضمونها ، فلعل هذا الكتاب كان من ضمن ماطالعه الأستاذ أحمد أمين ، حينما كان بصدد كتابة مقالاته ، كما جاء فى قوله :"بعض هذه المقالات وليد مطالعات هادئة ، وبعضها نتيجة عاطفة مائجة " (١) .

أسلوب الكتاب :

تقترب خواطر صيد الخاطر من مضمون المقالة وشكلها - كما سبق الإشارة إلى ذلك - من حيث اهتمام ابن الجوزى بتوضيح آرائه الخاصة فى الكتاب (٢) . كذلك يمكن اعتبار كل خاطرة فيه مقالاً قائماً بذاته ، يعالج موضوعاً مستقلاً ، بحيث تنطبق عليه من الناحية الفنية الخاصة صفة المقال (٣) .

وأسلوب الكتاب يقوم على الترسل والوضوح ، وهما من خصائص المقالة الأدبية (٤) .

ومع ذلك فلايمكن الحكم على صيد الخاطر إلا من منطلق أنه كتاب أدبى عمد مؤلفه فيه إلى حشد كل وسائل المتعة ، مع اهتمامه البالغ بالجانب التهذيبى .

فإن اقترب الكتاب بعد ذلك من المقالة ، فليس معناه أن نعده مقالاتفى كتاب . وإذا علمنا أن المقالة لم تُعرف فى عالمنا العربى إلا فى النصف الثانى من القرن الميلادى الماضى ، أى بعد تاليف الكتاب بأكثر من ستة قرون (٥) ، عندئذ

---

(١) فيض الخاطر . الجزء الأول . المقدمة (بدون رقم) .
(٢) أحمد الشايب : الأسلوب ص ٩٤ .
(٣) محمد مندور : الأدب وفنونه ص ١٨٢ .
(٤) المرجع السابق ص ١٨٨ .
(٥) المرجع السابق ص ١٧٤ .

ندرك مدى أصالة هذا الكتاب وتفوقه على عصره .

وقد تعرض الشيخ على الطنطاوى لأسلوب صيد الخاطر ، ومما قاله : "يسمو حيناً حتى يبلغ الذروة ، ويكون منه المعجب المطرب ، حتى كأنه شعر مطبوع" (١) .

وذلك كما فى قول ابن الجوزى : "من تفكر فى عواقب الدنيا أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر .

ما أعجب أمرك يامن يوقن بأمر ثم ينساه ، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .

تغلبك نفسك على ماتظن ، ولاتغلبها على ماتستيقن .

أعجب العجائب ، سرورك بغرورك ، وسَهْوك فى لهوك عما قد خبىء لك" (٢) .

ويمكن تقسيم هذا النص إلى أربعة مقاطع ، ويلاحظ فى كل مقطع تساوى الجمل ، واتحاد فواصلها فى الوزن والحرف الأخير وهو مايعرف بالسجع (٣) .

على أنه جاء عفو الخاطر ، لدرجة بدت فيه هذه العبارات ، وكأنها مقطوعات شعرية فى رقتها وسلاستها .

ومثل هذا نجده أيضاً فى حديثه الذى وجهه إلى نفسه : "واعجباً كلما صعد العمر نزلت ، وكلما جدَّ الموت هزلت ، أتُراكِ ممن خُتم له بفتنة ، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة . كان أول عمرك خيراً من الأخير ، كنتِ فى زمن الشباب أصلح منك فى زمن أيام المشيب" (٤) .

---

(١) المقدمة ص ٤١ .
(٢) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٤٥ .
(٣) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٢٨٧ .
(٤) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٨٣ .

وابن الجوزى هنا يعمد إلى الاستعارة ، بصورة تقرب المعنى إلى النفس ، كما فى قوله :

"واعجبا كلما صعد العمر نزلت،وكلما جدَّ الموت هزلت".

فهذه النصيحة التى وجهها إلى القارىء ، من خلال توجيهها إلى نفسه ، أضحت حديثًا يثير المشاعر ، نظرًا لتوافر العاطفة الصادقة ، من حسرة على مافات ، وخوف من سوء العاقبة . وقد وفق فى اختيار الألفاظ السهلة ، والعبارات الرقيقة ،فبدى هذا النص شعرًا لمن يراه لأول وهلة .

وهنالك نماذج أخرى فى الكتاب ، من هذا النثر الذى يقترب من الشعر أشار إليها الشيخ على الطنطاوى (١) .

ويبدو أن هذا الأسلوب ، قريب إلى نفس ابن الجوزى ، حيث نجد نصوصًا فى غير هذا الكتاب ، من هذا النثر المطرب ، كما رأينا فى بعض أقواله فى الحكمة (٢) ، وكما فى قوله متضرعًا إلى الله تعالى : "إلٰهى ، لاتعذب لسانًا يخبر عنك ، ولاعينًا تنظر فى علوم تدل عليك ، ولاقدمًا تمشى إلى خدمتك ، ولايدًا تكتب حديث رسولك .

فبعزتك لاتدخلنى النار ، فقد علم أهلها أنِّى كنتُ أذبُّ عن دينك .

ومنه : ارحم عبرة تترقرق على مافاتها منك ، وكبدًا تحترق على بعدها عنك .

إلٰهى ، علمى بفضلك يطمعنى فيك ، ويقينى بسطوتك يؤيسنى منك ، وكلما رفعتُ ستر الشوق إليك،أمسكه الحياء منك.

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٤١، ٤٦، ١٧٦-١٧٧ .
(٢) انظر المبحث السابق .

إلهى ، لك أذِلُّ ، وبك أُذِلُّ ، وعليك أدُلُّ " .(١)

فهذا النص المؤثر يتفق مع مارأيناه فى الأمثلة السابقة ، فى رقة عباراته ، وتقارب جمله واتحادها فى الوزن والحرف الأخير ، وكأنه نص شعرى .

ولايسير أسلوب ابن الجوزى فى كتابه صيد الخاطر ، على نمط واحد ، بل كان يعمد إلى التنويع ، ليبعد الملل عن القارئ ، وهاهو يجرى حوارًا مع نفسه ، فيقول :

"ومازلت أغلب نفسى تارة وتغلبنى أخرى ، ثم تدّعى الحاجة إلى تحصيل مالابد لها منه . وتقول :

فما أتعدى فى الكسب المباح فى الظاهر .

فقلت لها : أو ليس الورع يمنع من هذا ؟

قالت : بلى .

قلت : أليس القسوة فى القلب تحصل به ؟

قالت : بلى .

قلت : فلاخير لك فى شئ هذا ثمرته " .(٢)

وقال أيضًا :"رأيت نفسى كلما صفا فكرها ، أو اتعظت بدارج ، أو زارت قبور الصالحين ، تتحرك همتها فى طلب العزلة ، والإقبال على معاملة الله تعالى . فقلت لها يومًا وقد كلمتنى فى ذلك : حدثينى مامقصودك ؟ ومانهاية مطلوبك ؟ أتراك تريدين منى أن أسكن قفرًا لاأنيس به فتفوتنى صلاة الجماعة . ويضيع منى ماقد علمته لفقد من أعلّمه ، وأن آكل

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٢٢-٤٢٣ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٤/٣٣١ .

(٢) (طبعة الطنطاوى) ص ١٤٤ .

الجشب (١) الذى لم أتعوده ، فيقع نضوى طلحا (٢) فى يومين . وأن ألبس الخشن الذى لا أطيقه . فلا أدرى من كرب محمولى أين أنا ؟ وأن أتشاغل عن طلب ذرية تتعبد بعدى مع بقاء القدرة على الطلب بالله ! مانفعنى العلم الذى بذلت فيه عمرى إن وافقتك ؟ " (٣) .

وفى المثالين السابقين ، استطاع ابن الجوزى ، وبهذا الحديث مع نفسه بما حواه من استفهام ودهشة واستنكار ، أن يجعل القارىء ينساق معه فى شوق حتى يأتى على آخره .

وإن كانت عناصر الحوار فى حديثه الثانى غير مكتملة ، فهو لم يورد وجهة النظر الأخرى - أى نفسه - فلم يتح لها فرصة التعبير عن آرائها ، واكتفى بقوله :"فقلت لها يومًا ، وقد كلمتنى فى ذلك" ، بل لم ينتظر منها الإجابة ، حين ألقى عليها السؤال :"حدثينى مامقصودك ؟ ومانهاية مطلوبك ؟" إلا إذا كان فى رأيه أنه قد أفحمها ، حتى آثرت الصمت (٤) .

ويميل ابن الجوزى أحيانًا فى كتابه هذا إلى تخير الألفاظ والعبارات الهادئة ، التى لاصخب فيها . فبدت هذه العبارات ، وكأنه يهمس بها إلى جليس معه كما جاء (٥) فى قوله :

"رأيت كثيرًا من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ، ولايتحاشون من غيبة ، ويكثرون من الصدقة ولايبالون بمعاملات الربا، ويتهجدون بالليل ويؤخرون الفريضة عن الوقت ، فى

---

(١) أى الخلط من الطعام وهو الردىء .
(٢) طلح البعير فهو طلح ، أى أعيا وتعب والنضو المهزول .
(٣) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٩٤-٩٥ .
(٤) وقد أورد ابن الجوزى أكثر من حكاية تاريخية تعتمد على الحوار فى روايتها . انظر المصدر السابق ٢٢٩-٢٣٠، ٣٨٦ .
(٥) المصدر السابق (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٤١ .

أشياء يطول عدّها من حفظ فروع وتضييع أصول ، فبحثت عن سبب ذلك ، فوجدتُه من شيئين :

أحدهما العادة ، والثانى غلبة الهوى فى تحصيل المطلوب ، فإنه قد يغلب فلايترك سمعاً ولابصراً (١) " .

وكان الأسلوب المرسل ، الذى تحرر من كل تكلف أوغموض ، هو الأسلوب الغالب فى هذا الكتاب – كما رأينا فى الأمثلة السابقة – ومن ذلك قول ابن الجوزى عن علو همته :

"ما ابتلى الإنسان قط بأعظم من علو همته . فإن من علت همته يختار المعالى ، وقد لايساعد الزمان ، وقد تضعف الآلة فيبقى فى عذاب . وإنّى أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به فى عذاب ، ولاأقول : ليته لم يكن ، فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل ، والعاقل لايختار زيادة اللذة بنقصان العقل .

ولقد رأيتُ أقواماً يصفون علو هممهم ، فتأملتها فإذا بها فى فن واحد (٢) ، ولايبالون بالنقص فيما هو أهم (٣) " .

وقد استعان ابن الجوزى فى أسلوبه بعبارات واصطلاحات من اللغة العباسية – لغة عامة بغداد – التى ضاعت ، ولم يبق منها إلا بقايا منثورة فى بعض الكتب ، كالبخلاء والفرج بعد الشدة (٤) .

ومن ذلك قوله :"فيُذهب دينه على البارد (٥) " أى على أهون سبب ، واستخدامه كلمة (البرطيل) بمعنى الرشوة (٦) .

---

(١) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٥٥ .
(٢) يريد أن همتهم مقتصرة على أمور الدنيا .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٥ .
(٤) المصدر السابق (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٤١ .
(٥) المصدر السابق ص ٣٠٠ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٠٩، ٣٠٠ .

والكتاب بعد ذلك لايخلو من بعض الخلل فى أسلوبه . ففى نص من نصوصه لجأ المؤلف إلى اختصار المعنى ، فأدى به ذلك إلى التعقيد والتعمية ، حيث قال :(١)

"عرضت لى حالة لجأت فيها بقلبى إلى الله تعالى وحده، عالمـًا بأنه لايقدر على جلب نفعى ودفع ضرى سواه ، ثم قمت أتعرض بالأسباب . فأنكر علىَّ يقينى .

وقال : هذا قدح فى التوكل ، فقلت : ليس كذلك . فإن الله تعالى وضع من الحِكَم ، وكان معنى حالى أن ماوضعت لايفيد وإن وجوده كالعدم" .(٢)

فهو يريد أن يقول فى المقطع الأخير :"إن الحكم والأسباب من خلق الله ، فإن كان الأخذ بها لايفيد كان وجودها كعدمها" .(٣)

وفى نص آخر نجد أسلوب ابن الجوزى يقصر عن التعبير عما فى نفسه ، إذ يقول :

"رأيت الخلق كلهم فى صف محاربة ، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى . ويضربونهم بأسياف اللذة . فأما المخلطون فصرعى من أول اللقاء ، وأما المتقون ففى جهد جهيد من المجاهدة ، فلابد مع طول الوقوف فى المحاربة من جراح فهم يجرحون ويداوون ، إلا أن القتل محفوظ ، بلى ، إن الجراحة فى الوجه شين باق فليحذر ذلك" .(٤)

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٤١ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٨-٩٩ .
(٣) المصدر السابق (تعليق الشيخ الطنطاوى فى الحاشية) ص ٩٩ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧٥ .

وهو يريد أن يقول : إن هؤلاء المتقين أمنوا القتل ، ولكنهم لم يأمنوا الجراح ، مثّل بذلك ليبين أنهم لايقعون فى الكفر ، ولكنهم لايخلصون من المعاصى .(١)

وهذا الخلل اليسير لايمكن أن يؤثر فى أسلوب الكتاب الذى جاء فى معظمه مشرقًا متحررًا من كل تكلف .

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر (تعليق الشيخ الطنطاوى فى الحاشية) .

الفصل الثالث

مصنفاته الأدبية

المبحث الأول : مصادره الأدبية .

المبحث الثاني : النصوص الشعرية والنثرية .

المبحث الثالث : العشق .

المبحث الرابع : الفكاهة .

المبحث الخامس : النماذج البشرية .

المبحث الأول

مصادره الأدبية

نهج ابن الجوزى فى مصنفاته ، نهج من سبقه ، من أصحاب "عيون الأخبار" و"الأمالى" و"الأغانى" وغيرهم ، ممن اعتمدوا على الرواية فى تأليفهم (١) .

وقد كان مصدره فى الكثير من روايات شيوخه ، وبخاصة فى كتابه "ذم الهوى" . وكان من أبرزهم شيخته شهدة بنت أحمد الأبرى (٢) ، التى روى عنها كثيرًا عن جعفر بن أحمد السرَّاج (٤١٧ ـ ٥٠٠هـ) صاحب كتاب "مصارع العشاق" ، حتى بلغت رواياته عنها (١٠٣) رواية .

وقد وضح ابن الجوزى سر اعتماده على شيخته هذه ، حين ترجم لابن السرَّاج فى كتابه "المنتظم" فقال :"حدثنا عنه أشياخنا ، وآخر من حدث عنه شهدة بنت الأبرى . قرأتُ عليها كتابه المسمى بمصارع العشاق ، بحق سماعها عنه" (٣) .

وروى ابن الجوزى كذلك ، فى "ذم الهوى" عن غيرها من شيوخه ، الذين رووا عن ابن السرَّاج وغيره ، ومن هؤلاء : محمد بن ناصر (٤) وعبد الوهاب الأنماطى (٥) وعبد الرحمن القزاز ، الذى روى عنه ابن الجوزى (٦٦) رواية عن الخطيب البغدادى

---

(١) محمد خلف الله : دراسات فى الأدب الإسلامى ص ١٦٢ .
(٢) انظر شيوخ ابن الجوزى فى الباب الأول .
(٣) ١٥١/٩-١٥٢ ، وانظر أيضا فى ترجمة ابن السرَّاج : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٠/١-١٠٣ ، الزركلى الأعلام ١٢١/٢ .
(٤) انظر ص ٢٨٦، ٢٩٨ ومواضع أخرى من الكتاب .
(٥) انظر ص ٢٣٨-٣٥٤ ومواضع أخرى من الكتاب .

(٣٩٢ – ٤٦٣هـ) لسماعه من شيخه هذا كتاب "تاريخ بغداد"(١) للخطيب(٢)، وغير هؤلاء كثير(٣).

وروى ابن الجوزى فى بعض مصنفاته الأدبية، عن معاصريه الذين كان يصفهم بالمعارف والإخوان والأصدقاء(٤).

وروى أيضاً عن تلميذه محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين ابن خلف البغدادى القطيعى (٥٤٦ – ٦٣٤هـ)(٥).

وذكر ابن الجوزى فى أحيان قليلة، طرفاً من تجاربه مع الناس(٦).

ونظراً لتفتح عقل ابن الجوزى، فقد كان يلتقط مايقع عليه بصره مما يرى أنه يخدم هدفه، فروى عن التراث

---

(١) أحمد بن على بن ثابت البغدادى، أحد الحفاظ والمؤرخين. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/٩٢-٩٣ الزركلى: الأعلام ١/١٧٢.

(٢) ابن الجوزى: مشيخة ابن الجوزى ص ١١٧-١١٨.

(٣) وقد روى ابن الجوزى كثيرا عن شيوخه فى العديد من كتبه ومنها:
أخبار الأذكياء.
صيد الخاطر.
أخبار الحمقى والمغفلين.
أخبار الظراف والمتماجنين.
كتاب القصاص والمذكرين وانظر (مقدمة د. الصباغ) ص ١٠٩-١١٥.

(٤) انظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢١، ١٣٤، ١٨٠، ١٨٦-١٨٨.
صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١٢٢، ٢٠٥، ٢٣١، ٣٢٤.
أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٨٧، ١٧١، ٢٣٩.
أخبار الظراف والمتماجنين ص ٣، ١٣٦، ١٣٨.
ذم الهوى ص ٤٩٣.

(٥) انظر فى ترجمته: ابن العماد: شذرات الذهب ٥/١٦٢-١٦٣، الزركلى: الأعلام ٥/٣٢١، وانظر تلاميذ ابن الجوزى فى الباب الأول.
وانظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ٩٧، ١٠٥-١٠٦، ١٢٦-١٢٧، ١٣٦، ١٤٣، ١٥١-١٥٣.
ذم الهوى ص ٢٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٧٦، ٣٨٤، ٤٩١، ٥٦٢، ٦٣٧.
أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٦٦، ٢٨١.
أخبار الظراف والمتماجنين ص ٥٦.

(٦) انظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٥٨، ١٨٢، ١٨٦.

الأجنبى ، حيث نقل عن اليونان[1] وحكمائهم الذين وصفهم بالأوائل[2] ، ونقل كذلك أخبارًا عن الفرس[3] ، وبنى اسرائيل[4] ، والهنود[5] .

ونقل ابن الجوزى فى مصنفاته الأدبية ، عن بعض أئمة العربية وكبار أدبائها ، دون أن يشير إلى المصادر التى نقل منها ، ويبدو أنها لم تكن كلها مرويات مُسنده . ومن أولئك :

الأصمعى (١٢٢ - ٢١٦هـ)[6] ،

---

(١) د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٤ .

(٢) انظر : ذم الهوى ص ٥٨٣،٣١٤،٣١٢،٣٠٧،٢٨٩ ، أخبار النساء ص ١٥٥-١٥٦ ، أخبار الحمقى والمغفلين ص ٢٣ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ٣٢ ، صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٢٤٤ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٦١ ، وانظر د. إحسان عباس : ملامح يونانية فى الأدب العربى ص ١٩١،٢١ .

(٣) انظر أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٩٧،١٧٤، ٢٦٨،٢٠٦ ، ذم الهوى ص ٥٧٨ ، أخبار الحمقى والمغفلين ص ٩٢ ، صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٤٠٧،٢٨٨ .

(٤) انظر ذم الهوى ص ٢٤٨-٢٧١ ، أخبار النساء ص ١٧٤ .

(٥) انظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ٩٢ ، أخبار النساء ص ٨٤ ، ذم الهوى ص ٣١٥ .

(٦) عبد الملك بن قريب الباهلى ، أبو سعيد الأصمعى ، راوية العرب ، وأحد أبرز أئمة اللغة والعلم والأدب ، انظر فى ترجمته :
الخطيب : تاريخ بغداد ٤١٠/١٠-٤٢٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٠/٣-١٧٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٥/٢-٣٦ ، الزركلى : الأعلام ١٦٢/٤ .
وانظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٦٤،١٢٠،١١٨،١١٠،١٠٨، أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٠٢،٩٣،٧٩،٦٥،٥١،٤٧،٥ ، ١٢٩،١٤٤،١٥٨-١٥٩ ، أخبار النساء ص ٥١،٤٨-٤٧،٤٣،١٢، ١٢٥-١٢٧،١٣٨-١٣٩،١٤١،٢٠٦ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٦٢-٢٦١،٢٥٨،٢٥٣،٢٤٦،٢٤٤،٢١٨،١٢٤ ، ذم الهوى ص ٣٤٧،٣٤٥ ، صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٣٤٨ .

والجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ)(١) ، وابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ)(٢) ، والمبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ)(٣) ، وأبوبكر الصولى (المتوفى ٣٣٥هـ)(٤) ، وغيرهم .

وكثير من النصوص الواردة فى مصنفات ابن الجوزى الأدبية ، نجدها فى معظم أمهات الكتب الأدبية كـ "البيان والتبيين"(٥) ، و"الحيوان"(٦) للجاحظ ، و"عيون

---

(١) سبقت ترجمته . انظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ٨٤،٨٨، ١٠٧،١٢٩،١٣٢-١٣٣،١٣٥-١٣٨،١٦٩،١٧١،١٧٣،١٧٧،١٨٣،١٨٥ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ٧٧،١٤٦،١٥١ ، أخبار النساء ص ١٧٥،٢١٠،٢١٧،٢٣٤ ، ذم الهوى ص ٣١٥ ، صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٣٩٤ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٩٨،١٢١،١٣٦،١٦٦،٢٢٢،٢٦٢،٢٧٠.

(٢) سبقت ترجمته ، انظر : أخبار النساء ص ١٠٨ ، أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٨٤ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٢،١١٥ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٤٢،٩٧،١٢١،٢٧٤ .

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى ، أبو العباس المعروف بالمبرد ، أحد أعلام اللغة والأدب . انظر فى ترجمته :
الخطيب : تاريخ بغداد ٣/٣٨٠-٣٨٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٣١٣-٣٢٢ ، الزركلى : الأعلام ٧/١٤٤ .
وانظر : أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٣،١٤٦،١٨٩ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ٤٦،٥٤،٧٥،١٢٧،١٤٤ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٦٣،١٦٥،١٨٠، ٢٢٢،٢٧٣ .

(٤) محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبو بكر الصولى ، من علماء الأدب ، كان واسع الرواية كثير الحفظ ، وله مؤلفات عديدة ، انظر فى ترجمته :
الخطيب : تاريخ بغداد ٣/٤٢٧-٤٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ ، الزركلى : الأعلام ٧/١٣٦ .
وانظر : أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٩٧، ٢٤٤،٢٦٠،٢٦٣-٢٦٤ ، أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٤،١٨٨، ذم الهوى ص ١٧٢ .

(٥) انظر مثلا حديث الجاحظ عن النوكى (الحمقى) ٢/٢٢٣، ٢٢٥-٢٢٦،٢٣٨،٢٤٢ ، وحديث ابن الجوزى عنهم فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٦،٣٨،٥٣-٥٥،١٦٣ .

(٦) انظر حديثه عن الحمقى من القصاص ٣/٣٤-٣٥،٢٩٧ ، وانظر كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٢٢-٣٢٣، أخبار الحمقى والمغفلين ص ٢٧،١٢٦ .

الأخبار" لابن قتيبة (١)، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه (٢)، وغير ذلك من الكتب .

غير أن ابن الجوزى ، أورد بعض تلك النصوص بسند خاص به ، وبخاصة فى كتابه "ذم الهوى" .

وكما سبق فإن كتاب "مصارع العشاق" لابن السراج ، هو مصدر معظم أخبار "ذم الهوى" ، ولكن على الرغم من ذلك فإن ابن الجوزى حافظ فى أكثرها على سنده الذى استقى منه الخبر ومن ذلك قوله : "أخبرتنا شهدة بنت أحمد ، قالت : أنبأنا جعفر بن أحمد ، قال : أنبأنا أبو طاهر محمد بن على بن العلاف ، قال حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ، قال : حدثنا جعفر الخُلْدِى ، قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسى ، قال : حدثنى على بن عبد الله القمىّ ، قال : قال لى عبد الله بن جعفر المدينى : قلت لأبى زهير المدينى ما العشق ؟ قال : الجنون والذل ، وهو داء أهل الظرف" (٣) .

ونجد النص السابق فى مصارع العشاق بسند أقل :

"أخبرنا أبو طاهر محمد بن على العلاف بقراءتى عليه ، قال : حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المروروذى ،

---

(١) انظر أخبارا عن النساء ، المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٩، ٣٠، ٩٢، ٩٧ ، وانظر أخبار النساء ص ١٠، ٢١، ٤٦، ٢٣٢ ، وانظر كذلك :المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٣٤-١٣٥ ، وانظر ذم الهوى ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٢) انظر خبرًا عن الحمقى ١٧٢/٧ ، وانظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٨ .
انظر خبرًا عن الظِراف ١٣٥/٨ ، وانظر أخبار الظراف والمتماجنين ص ٤٠ .
انظر خبرًا عن النساء ١٥٥/٧ ، وانظر أخبار النساء ص ١٠ .

(٣) ص ٢٩٢ .

قال : حدثنا جعفر بن محمد الخالدى (١) ، قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسى ، قال : حدثنى على بن عبد الله القمّى ، قال : قال لى عبد الله بن جعفر المدينى ، قلت لأبى زهير المدينى: ما العشق ؟ قال : الجنون والذل ، وهو داء أهل الظرف" (٢) .

ومن ذلك أيضًا ، هذا النص الذى ذكره ابن الجوزى ، وفى سنده أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى :

"أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصارى قال : أخبرنا محمد بن مرزوق قال : أخبرنا أحمد بن على بن ثابت (٣) قال : أخبرنا الحسن بن الحسين النعالىّ قال : أخبرنا أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى قال : أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنى أحمد بن خالد قال : حدثنى عثمان الورّاق قال : رأيت العتّابى (٤) يأكل خبزًا على الطريق بباب الشام ، فقلتُ له : ويحك أما تستحى ؟ فقال لى : أرأيت لو كنّا فى دار فيها بقر ، أكنت تحتشم أن تأكل وهى تراك ..." (٥).

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانى نفس الخبر ، فقال : "أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنا ابن مهرويه (٦) قال : حدثنى عثمان الورّاق ، قال رأيت العتابى ..." (٧) .

---

(١) الصواب ماجاء فى ذم الهوى : جعفر بن محمد الخُلْدى . انظر تعليق محقق الكتاب ، الزركلى : الأعلام ١٢٨/٢ .
(٢) ١٢/١ .
(٣) هو الخطيب البغدادى صاحب "تاريخ بغداد" .
(٤) كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابى ، شاعر وكاتب ، اتصل بالرشيد والمأمون وكذلك بالبرامكة ، اتهم بالزندقة توفى سنة (٢٢٠هـ) . انظر فى ترجمته : الأصفهانى : الأغانى ٢/١٢-٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٤٨٨/١٢-٤٩٢ ، الزركلى : الأعلام ٢٣١/٥ .
(٥) كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣١٩-٣٢٠ .
(٦) هنا يلاحظ نقص راوٍ قبل عثمان الورّاق ، انظر سند ابن الجوزى .
(٧) الأغانى ٤/١٢ .

وأتى ابن الجوزى فى "ذم الهوى" بقصة رجل حَلَفَ بأن يغسل يده أربعين مرة ، إذا أكل نوعًا من الطعام فقال :

"أنبأنا أبوبكر محمد بن عبد الباقى ، قال : أنبأنا أبو القاسم على بن المحسِّن التنوخى ، عن أبيه ، قال : حدثنى أبو الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن النرَّسى ، قال : كنتُ جالسًا بحضرة أبى وأنا حَدَثٌ ، وعنده جماعة ، فحدثنى حديث وصول النِّعم إلى الناس ، بالألوان الظريفة . وكان ممن حضر صديق لأبى ، فسمعته يحدِّث أبى ، قال : حضرت عند صديق لى من التجار ، كان يحرز بمائة (١) ألف دينار فى دعوة ، وكان حسن المروءة ، فقدم مائدته ، وقُدِّم عليها دنكيريكة (٢) فلم يأكل منها ، فامتنعنا ..." (٣).

وذكر التنوخى هذه الحكاية فى "الفرج بعد الشدة" فقال :

"حدثنى أبو الفرج أحمد بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن النرَّسى ، من أهل باب الشام ببغداد ، وقد كان خلف أبا الحسن على بن أبى طالب بن البهلول التنوخى على القضاء بهيت (٤) ، وماعلمته إلا ثقة ، قال : سمعت فلان التاجر ، يحدِّث أبى ـ وأسمى التاجر وأُنسيته أنا ـ قال :

---

(١) المراد أن ثروته تقدر بمائة ألف دينار .
(٢) كذا جاءت ، ثم جاءت مرة أخرى فى نفس الكتاب "ديكيريكة" ص ٣٧٠-٣٧١ ، ويظهر أن الصواب هو : "ديكبريكة" وهى طعام مكون من اللحم والحمص والخل ، وقد يحلى بالسكر . انظر التنوخى : نشوار المحاضرة ١٧٧/٤ .
(٣) ص ٣٦٣ ، والحكاية موجودة بكاملها ، وبنفس السند فى نشوار المحاضرة ١٧٧/٤-١٩٠ بيد أننى لم أعول عليها لأن المحقق عبود الشالجى ، أخذها من المنتظم لابن الجوزى ٢٥٤/٦-٢٦١ .
(٤) هيت : اسم بلد على الفرات .

حضرت عند صديق لى من البزازين ، وكان مشهورًا ، فى دعوة ،فقدّم فى جملة طعامه زيرباجة (١) ، ولم يأكلها ، فامتنعنا من أكلها ..." (٢) .

ومما سبق يتضح لنا أن الرواية بالإسناد ، هى المصدر الأول لمصنفات ابن الجوزى الأدبية ، ولكن لايعنى ذلك أنه لم يستعن بالمصنفات الأدبية ، وبخاصة فيما له علاقة مباشرة بكتبه الأدبية ، كـ "الأجوبة المسكتة " لابن أبى العون (المتوفى ٣٢٢هـ) و"التطفيل" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ) و"محاضرات الراغب الأصفهانى" (المتوفى ٥٠٢هـ) ، بالإضافة إلى مصنفات الجاحظ ، وكتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة ، وغير ذلك (٣) .

وقد أقر ابن الجوزى فى أحيان قليلة ، باستعانته ببعض الكتب الأدبية فى مصنفاته ، ومنها قوله :

"وقد ذكر أبوبكر بن داود فى كتاب الزهرة ، حكاية موت عفراء مبسوطة ، قال : لما انصرف عروة بن حزام من عند عفراء بنت عقال فتوفى وحيدًا ، مرّ به ركب فعرفوه ، فلما

---

(١) وفى هذه الرواية تغيير صنف الطعام ، والزيرباجة : طعام يصنع من اللحم ، ويطبخ بالدارهينى والخل ، ويضاف إليه الحمص والكسبرة والفلفل والمصطكى واللوز المقشور ، ويقطر عليه ماء الورد .

(٢) ٣٥٨/٤ .
وانظر الخبر الذى رواه ابن الجوزى عن أبى الحسن بن هلال الصابى فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ٩٤ ، والخبر موجود فى كتاب الهفوات النادرة للصابى ص ٢٤٤-٢٤٥ ، وانظر الحديث عن أبى بكر محمد بن داود الأصبهانى فى ذم الهوى ص ١١٩-١٢٠ ، وفى سنده الخطيب البغدادى ، والخبر موجود فى تاريخ بغداد ٢٦٠/٥-٢٦٢ .

(٣) ابن الجوزى : أخبار الأذكياء (مقدمة المحقق محمد مرسى الخولى) ص ك ، أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ١٢١ .

انتهوا إلى منزلها صاح بعضهم :

أَلاَ أيُّهَا القَصْرُ المُغَفَّلُ أهْلُهُ
بِحقٍّ نَعَيْنَا عُرْوَةَ بْنَ حِزَامِ (١)

فأجابته فقالت :

أَلاَ أيُّهَا الرَّكْبُ المَخْبُونُ ويْحَكُمْ
بِحقٍّ نَعيْتُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامِ ؟

فأجابوها :

نَعَمْ قَدْ تَرَكْنَاهُ بأرْضٍ بَعِيْدَةٍ
مُقِيمًا بِهَا فِي دَكْدَكٍ (٢) وأكَامِ

فقالت لهم :

فإنْ كَانَ حَقًّا مَاتَقُولُونَ فاعْلَمُوا
بَأنْ قَدْ نَعَيْتُمْ نُورَ (٣) كُلِّ ظَلاَمِ
فَلاَلَقِي الفِتْيَانُ بَعْدَكَ لَذَّةً
وَلاَرَجَعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلاَمِ
وَلاَوضَعَتْ أُنْثَى تَمَامًا بِمِثْلِهِ
وَلاَفَرِحَتْ مِنْ بَعْدِهِ بِغُلاَمِ
وَلاَ لاَ بَلَغْتُمْ حَيْثُ وجَّهْتُمْ لَهُ
وبَغَضْتُمْ (٤) لَذَّاتِ كُلِّ طَعَامِ

ثم سألتهم أين دفنوه ؟ فأخبروها فسارت إلى قبره ،
فلما قربوا من موضع قبره قالت : إني أريد قضاء حاجة

---

(١) جاء الشطر الثاني في كتاب الزهرة :
نَعَيْنَا إلَيْكُمْ عروةَ بْنَ حِزَامِ

(٢) جاء في الزهرة سبسب وهي المفازة بدلاً من دكدك وهي الرمل المستوى . (الجوهري : الصحاح) ١٤٥/١ .

(٣) جاء في الزهرة بدر بدلاً من نور .

(٤) في الزهرة نغصتم بدلا من بغضتم .

فأنزلوها ، فانسلتْ إلى قبره فأكبَّتْ عليه ، فما راعهم إلاصوتها ، فلما سمعوها بادروا إليها فإذا هى ممدودة على القبر ، قد خرجت نفسها فدفنوها إلى جانبه " (١) .

ويظهر أن كتاب "جمهرة الأمثال" لأبى هلال العسكرى ، كان مصدر ابن الجوزى عند تعرضه للأمثال ، إذ يقول :"فأما ضربهم المثل بمن قد عُرف حمقه ، فقال أبو هلال العسكرى :

تقول العرب :"أحمق من هبنقة" وستأتى أخباره و"أحمق من حذنة" ، قيل هو رجل بعينه ، وقيل هو الصغير الأذن ، الخفيف الرأس ، القليل الدماغ ، وكذلك يكون الأحمق . وقيل حذنة امرأة كانت تمتخط بكوعها ..." (٢) .

وقال ابن الجوزى فى "أخبار الحمقى والمغفلين" : "وحكى أبو منصور الثعالبى فى كتاب "غرر النوادر" (٣) قال : تأذى أبو الغصن جحا (٤) بالريح مرة فقال يخاطبها : ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذى حبسك حتى أكلت خراك" (٥) .

وأورد ابن الجوزى فى أحد كتبه الوعظية ، موعظة صرح

(١) ذم الهوى ص ٤١٧-٤١٨ ، أبوبكر محمد بن داود الأصبهانى الزهرة ١/٤٨٠ .
(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٤ ، وانظر : العسكرى جمهرة الأمثال ١/٣٨٥-٣٩٥ .
واستعان ابن الجوزى أيضا بجمهرة الأمثال ١/٣٩٦ فى أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٨٣، ٢٩٢ .
(٣) ذكر الزركلى كتاب "غرر البلاغة" ضمن مصنفات الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩هـ) ، وذكر أنه مخطوط ، الأعلام ٤/١٦٤ ، ولم يذكر "غرر النوادر" فلعل الكتابين واحد .
(٤) وهو من الشخصيات الأسطورية ، وقد جعله ابن الجوزى ممن ضرب المثل بحمقه وتغفيله . انظر أخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٩-٤٣ .
(٥) ص ٤٠ .

أنه أخذها من كتاب أطواق الذهب للزمخشري (١) .

وأحيانًا تكون إشاراته لمصادره مبهمة ، كما في قوله : "وُجِد في بعض الكتب" (٢) .

وقوله :"وقد ذُكر في كتب الحيل مايشحذ الخواطر ، وأتينا بجملة منه في كتاب الأذكياء" (٣) .

وفي أحيان أخرى ، لايشير ابن الجوزي إلى مصادره مطلقًا كما فعل مع كتاب "اعتلال القلوب" لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (المتوفى ٣٢٧هـ) (٤) .

فعلى الرغم من أن الخرائطي جاء في (٧٧) رواية في "ذم الهوى" فإن ابن الجوزي لم يأت بذكر لكتابه هذا .

وقد أثبت المستشرق الألماني "ستيفان ليدر" STEFAN LEDER (٥) بعد أن رجع إلى نسخة مصورة من المخطوط "اعتلال القلوب" (٦) ، أن ابن الجوزي استعار بعض عناوين الأبواب والفصول ، ونقلها حرفيًا في كتابه "ذم الهوى" دون أن يشير إلى ذلك . ورجَّح امتلاكه لنسخة من "اعتلال القلوب" استفاد

---

(١) كتاب الياقوتة في الوعظ ، المنشور مع كتاب مختصر رونق المجالس لعثمان بن يحيى بن عبد الوهاب الميري ص ٤٦ .
ومن أمثلة ذكر ابن الجوزي لمصادره انظر : ذم الهوى ص ٢٢٧ ،أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعي) ص ٧٧،٧٩.

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٢ .

(٣) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوي) ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) من حفاظ الحديث ، وهو من السامرة بفلسطين . انظر ابن العماد : شذرات الذهب ٣٠٩/٢ ، الزركلي : الأعلام ٧٠/٦.

(٥) في كتابه :
IBN AL-GAUZI
UND SEINE KOMPILATION
WIDER DIE LEIDENSCHAFT
وهو في الأصل بحث علمي قيِّم لذم الهوى باللغة الألمانية، تقدم به لنيل درجة الدكتوراه من جامعة فرانكفورت عام ١٩٨٢م ، ثم نشره في كتاب في عام ١٩٨٤م ، في المعهد الألماني للدراسات الشرقية ببيروت ، وقد اشتمل الكتاب في آخره على خلاصة موجزة بالعربية والإنجليزية .

(٦) ميكروفيلم مصور عن نسخة أولوكامي في بورصه ١٥٣٥ ، موجود في صالة بحث الدراسات الشرقية ، بجامعة فرانكفورت .

منها فى تصنيف كتابه (١) .

وبالرجوع إلى نسخة أخرى للمخطوط (٢) ، وجدتُ مايؤكد كلامه ففى الورقة الأولى من المخطوط ، إشارة واضحة إلى أن أبا الفضل محمد بن ناصر وأبا منصور موهوب بن محمد الجواليقى ، ممن رووا هذا الكتاب ، وهما من أبرز شيوخ ابن الجوزى (٣) ، لذا لايستبعد أن يكون قد قرأ الكتاب عليهما أو على أحدهما ثم إن التشابه واضح – وأحياناً التطابق – بين أبواب "اعتلال القلوب" و"ذم الهوى" .

فمن التطابق :

"بابماينفى عن القلوب صداها" (٤) .

"باب الافتخار بالعفاف" (٥) .

ومن التشابه الكبير بين أبواب وفصول الكتابين :

"باب ذم الهوى واتباعه" (٦) يقابله فى ذم الهوى "فى ذم الهوى والشهوات" (٧) .

"باب ذم الزنا وأليم عقابه" (٨) يقابله فى ذم الهوى "فى ذم الزنا" (٩) .

---

(١) pp. 57-60 .

(٢) نسخة مصورة من مكتبة الخزانة العامة بالرباط ، برقم ٢٥٩ق ، موجودة فى مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى برقم ١٩٢ و ٤٥٥ مواعظ .

(٣) انظر شيوخ ابن الجوزى فى الباب الأول .

(٤) انظر الخرائطى : اعتلال القلوب ، الورقة (١٦) ، ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٦٩ .

(٥) انظر الخرائطى : اعتلال القلوب ، الورقة (٥٣) ، ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٢١٨ .

(٦) الخرائطى : اعتلال القلوب ، الورقة (٢٨) .

(٧) ص ١٢ .

(٨) الخرائطى : اعتلال القلوب . الورقة (٦٢) .

(٩) ص ١٨٨ .

"باب التحرز من النساء والخلوة معهن" (١) يقابله في ذم الهوى :

"في ذكر تحريم الخلوة بالأجنبية" (٢) .

"في التحذير من فتنة النساء" (٣) .

"باب الفتنة بالمرد والتحرز من إدامة النظر إليهم والخلوة معهم" (٤) يقابله في ذم الهوى :"في النهي عن النظر إلى المردان ومجالستهم" (٥) .

"باب غض البصر عن المحارم ومافيه" (٦) يقابله في ذم الهوى "في الأمر بغض البصر" (٧) .

ولإن كان ابن الجوزي لم يشر إلى كتاب "اعتلال القلوب" بعد ذلك ، فإن أبواب وفصول كتابه "ذم الهوى" تشير إلى إفادته من الكتاب .

وعلى ذلك ، فمصادر ابن الجوزي في مؤلفاته الأدبية ،

---

(١) الخرائطي : اعتلال القلوب ، الورقة (٩٤) .
(٢) ص ١٤٧ .
(٣) ص ١٥٢ .
(٤) الخرائطي : اعتلال القلوب ، الورقة (٩٦) .
(٥) ص ١٠٥ .
(٦) الخرائطي : اعتلال القلوب ، الورقة (١٠٣) .
(٧) ص ٨٢ .
وقد قام المستشرق "ستيفان ليدر" STEFAN LDEDR ، بوضع جدولين ، أحدهما لمرويات الخرائطي في ذم الهوى ، ذكر فيه أرقام صفحات الكتاب ، وفي المقابل ذكر مايقابله من صفحات كتاب اعتلال القلوب ، الذي جاءت فيه تلك المرويات أيضاً . أما الجدول الثاني فكان مقارنة لعناوين الأبواب في الكتابين . pp. 112-114

هم رجال السند ، الذين روى عنهم[1] ، وكذلك الكتب الأدبية ، التى أشار إلى بعضها وسكت عن بعضها الآخر .

---

(١) بالغ ابن الجوزى فى ذم الهوى بذكر رجال السند ، حتى إن المحقق الدكتور مصطفى عبد الواحد يرى أنه شغل من الكتاب ثلثه (انظر المقدمة) ص ٢١ .
وفى المقابل نجده يكتفى بذكر راوى الخبر فقط ، فى أغلب الأحيان ، كما فى أخبار النساء ، وأخبار الحمقى والمغفلين ، وأخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار الأذكياء .

المبحث الثانى

النصوص الشعرية والنثرية

جاء ابن الجوزى فى الكثير من مصنفاته ، بحشد من الشواهد الشعرية والنثرية ، التى دلت على خلفيته الأدبية (١) .

ففى مجال الشعر أكثر ابن الجوزى من الاستشهاد به فى الكثير من مؤلفاته الوعظية : "حتى ليرى القارىء أنه لا يكاد يتكلم فى جزئية ما إلا ويأتى بما يدعم المعنى ، أو يتضمنه من الشعر" (٢) .

إذ يبدو أنه كان يرى فيه وسيلة جيدة ، للتأثير فى قرائه وسامعيه (٣) .

وتتنوع أغراض الشعر فى مصنفات ابن الجوزى ، بتنوع مضمون تلك المصنفات فنجده مثلاً يذكر ما قيل فى التضرع إلى الله ، والتوبة إليه ، والزهد فى الدنيا ، فى كتابه "الثبات عند الممات" (٤) وذكرَ ما قيل فى الحمق والتغفيل ، وما قاله الحمقى أو تمثلوا به فى كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" . وجاء بالكثير من الأبيات ، التى قيلت فى الظُّرْفِ والظِراف ، فى كتابه "أخبار الظراف والمتماجنين" وذكرَ فى كتابه "أخبار الاذكياء" ما قيل فى الذكاء ، وما نظمه الفطناء أو تمثلوا به من شعر طريف . وأورد فى

(١) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .

(٢) ابن الجوزى : التذكرة فى الوعظ (مقدمة المحقق) ص ١١-١٢ ، وانظر : على جميل مهنا : ابن الجوزى ومقاماته الأدبية ص ٤٢ .

(٣) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ص م ، ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .

(٤) انظر ص ١٩، ٢٧، ٢٩-٣٠، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٥، ٥٠، ٥٥-٥٦ .

وفى كتاب "ذم الهوى"ما قيل فى ذم الهوى والشهوات،وذكر فيه (١) "أخبار النساء" شعرًا كثيرًا فى العشق والنساء ، ومعظمه من عيون الشعر العربى ، كذلك أتى فيهما بمقتطفات من محاورات الشعراء فى مجالسهم (٢) .

وحينما تحدث ابن الجوزى فى الباب الواحد والأربعين ، من كتابه "ذم الهوى" عن المشتهرين بالعشق ، ذكر لكل واحد منهم أبياتًا من مستحسن شعره (٣) .

وقد أطال فيما اختاره لمجنون ليلى ، جميل بثينة (٤) ، وكان متوسطًا فيما اختاره من شعر العباسى بن الأحنف (٥) وأوجز الحديث عن شعر عروة بن حزام ، وذى الرُّمة ، وكُثيِّر عزة (٦) .

ونظرًا لاهتمام ابن الجوزى بالشعر ، نجده يفرد فى مصنفاته ، فى مجال التراجم الخاصة ، بابًا : فيما تمثل به صاحب الترجمة من الشعر أو قاله – إن كان ممن ينظم الشعر –

---

(١) انظر ص ٣٢-٣٥ .
(٢) انظر ذم الهوى ص ٤٢٠-٤٢١ ، أخبار النساء ص ١٠٠-١٠١ .
(٣) انظر ص ٣٨٠-٤٤٧ .
(٤) جميل بن عبد الله بن معمر العذرى ، أحد الشعراء العذريين ، عشق بثينة حتى عُرف بها ، توفى سنة (٨٢هـ) انظر فى ترجمته :
ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٤٣٥-٤٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٣٦٦-٣٧١ ، الزركلى : الأعلام ٢/١٣٨ .
(٥) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفى اليمامى ، أبو الفضل الشاعر ، تميز شعره برقة الحاشية ، وجميع شعره فى الغزل ، توفى سنة (١٩٢هـ) . انظر فى ترجمته :
ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٤١٩-٤٢٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/٢٠-٢٧ ، الزركلى : الأعلام ٣/٢٥٩ .
(٦) ابن الجوزى : ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٠ .
وكثير عزة ، هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة الخزاعى ، عُرف بصاحبته عزة ، التى شبب بها فى شعره ، توفى سنة (١٠٥هـ) . انظر فى ترجمته :
ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٤٤٤-٤٤٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/١٠٦-١١٣ ، الزركلى : الأعلام ٥/٢١٩ .

وباباً آخر : فى المنتخب من مدائحه ومراثيه (١).

وقد انفرد ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ، بإيراد نصوص شعرية ، لا وجود لها فى المجامع الشعرية المطبوعة ، ولا فى دواوين الشعراء (٢).

وحفظت لنا مصنفات ابن الجوزى – وبخاصة كتبه الوعظية وكتبه فى التراجم الخاصة والعامة مثل صفة الصفوة وغيرها –

---

(١) انظر الوفا بأحوال المصطفى ٢/٤٥٨-٤٥٩ . على أن ماذكر فى هذا الكتاب من الشعر يقل عن غيره من كتب السير .
انظر مقدمة المحقق ١/ق ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٨٧-١٨٨، ٢١٢-٢١٣ .
وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ١٦٩-١٧٢، ٢٦١-٢٧١، ٣٣٢-٣٣٦ . وفى هذا الكتاب تعرض ابن الجوزى للحركة الشعرية فى عهد الخليفة عمر بإيجاز ، فذكر ماقاله كبار شعراء العصر الأموى فيه ، كما ذكر موقف عمر منهم.
مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٠٤-٢٠٦، ٤٢٤-٤٣٣ .
مناقب معروف الكرخى وأخباره ص ٦٤٩ .

(٢) ابن الجوزى : تحفة الواعظ (مقدمة المحقق) ص ١٧٦ ، بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب (مقدمة المحقق) ص ٩٣ ، بستان الواعظين (مقدمة المحقق) ص ٢٢ التبصرة (مقدمة المحقق) ١/م ، ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٣ ، المصباح المضىء (مقدمة المحققة) ١/٧٠-٧١ ، د. حسن عيسى على الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٤٩ .
وقد أحصيتُ مايزيد عن الستين بيتاً ، لعدد من كبار الشعراء كأبى العتاهية وابن المعتز وابن الرومى والبحترى وغيرهم ، أشار عدد من محققى كتب ابن الجوزى أنهم لم يجدوها فى دواوين أولئك الشعراء ، حيث انفرد ابن الجوزى بذكرها .
انظر المدهش ص ١٨٣، ٣٠٠، ٣٦٧، ٤١٧، ٤٥٨ ، بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب ص ٩٥، ٩٨-١٠٠، ١٠٢ ، ذم الهوى ص ٩٥ ، التبصرة ٢/١٦٧ .
وذكر الدكتور حسن عيسى على الحكيم : أن كتاب المنتظم لابن الجوزى ، انفرد بذكر أبيات من الشعر ، لاتوجد فى دواوين أصحابها ، مثل السيد الحميرى (المتوفى ١٧٩هـ) والإمام الشافعى (المتوفى ٢٠٤هـ) ودعبل الخزاعى (المتوفى ٢٤٦هـ) وغيرهم .
انظر د. حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٥٥١-٥٥٣ .
وأسأل الله تعالى ، أن أتمكن من تناول هذا الجانب بشكل مستقل فى المستقبل القريب إن شاء الله .

تراثاً شعرياً إسلامياً ، لم يهتم به أصحاب المجموعات والمختارات الأدبية ، وهو شعر الزهد ، الرقائق والتأمل والاعتبار ، وهذا الشعر يمثل إضافة قيمة لديوان الزهد الإسلامى ، ولكن من المؤسف أن ابن الجوزى لم يُعن بنسبة كثير من هذا الشعر لقائليه (١) .

يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد فى مقدمته لكتاب "التبصرة" لابن الجوزى : "والحق أن ابن الجوزى قد أسدى إلى الأدب الإسلامى ، صنيعة لاتنكر ، حين جمع فى كتابه ، هذا الحشد الضخم من المختارات الشعرية ، التى تصور كيف تمثل الأدب العربى معانى الإسلام ، وكيف عبر عن الحقائق التى آمن بها الوجدان العربى ، ولو أن ابن الجوزى عُنى بنسبة هذا الشعر إلى قائليه لتمت الفائدة ، ولاستطعنا أن نصدر حكمنا فى مواقف العصور الأدبية من قضية الأدب الإسلامى على نحو دقيق" (٢) .

ومما يزيد من قيمة هذا الشعر ، أنه لم يكن نظماً متكلفاً (٣) ، بل كان معظمه شعرا جيدا فى شكله ومضمونه ، ومن ذلك ، قول الشريف الرضىّ :

---

(١) ابن الجوزى : التبصرة (مقدمة المحقق) ١/م ، تحفة الواعظ (مقدمة المحقق) ص ١٧٦ ، بستان الواعظين (مقدمة المحقق) ص ٢٢ ، د. حسن الحكيم : كتاب المنتظم لابن الجوزى ص ٢٤٩ .

(٢) ١/ن .

(٣) المصدر السابق ، تحفة الواعظ (مقدمة المحقق) ص ١٧٦ . ونظراً لاهتمام ابن الجوزى بشعر الزهد فى مصنفاته ، نرى عدداً من الباحثين المهتمين بهذا المجال ، يستعينون به فى بحوثهم :
(أ) عبد الستار السيد متولى : أدب الزهد فى العصر العباسى ، نشأته وتطوره وأشهر رجاله (رسالة دكتوراه جامعة الأزهر)
انظر ص ٥١-٥٢،٢٨٢ .
=

تَفُوزُ بِنَا المَنُونُ وتَسْتَبِدُّ — ويَأخُذُنَا الزَّمَانُ ولايَرُدُّ
وانْظُرْ مَاضِيًّا فِي إِثْرِ مَاضٍ — لَقَدْ أيْقَنْتُ أنَّ الأمْرَ جِدٌّ (١)
رُويْدًا بِالفِرَارِ مِنَ المَنَايَا — فلَيْسَ يَفُوتُهَا السَّارِى المُجِدُّ
فَأيْنَ مُلُوكُنَا المَاضُونَ قِدَمًا — أعِدُّوا للنَّوائِبِ واسْتَعِدُّوا
أعَارَهُمُ الزَّمَانُ نَعِيمَ عَيْشٍ — فَيَاسُرْعَانَ مَا اسْتُلِبُوا وَرُدُّوا
هُمُ فَرَطٌ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ — نَمُدُّهُمُ وإنْ لَمْ يَسْتَمِدُّوا (٢)

وقول أبى العتاهية (٣) يعظ هارون الرشيد :

عِشْ مَابَدَالَكَ سَالِمًا — فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُورِ
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ — لَدَى الرَّوَاحِ وفِي البُكُورِ
فإذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ — فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا — مَاكُنْتَ إلاَّ فِي غُرُورِ (٤)

= (ب) علي نجيب عطوى : شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة (في الأصل رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية) .
انظر ص ١٠٠، ١١١، ١٥١، ١٥٩، ١٧٩، ١٨١-١٨٢، ١٨٥.
(ج) شادية حسن عبد الرحمن زيني : سابق البربري والإتجاه الإسلامي في شعره (رسالة ماجستير - جامعة أم القرى) .
انظر ص ٣٨، ٤٢-٤٣، ١٤٢، ١٤٧، ١٧٤، ١٩٤ .
(د) عمر الطيب العباس : الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (رسالة ماجستير - جامعة أم القرى) .
انظر ص ٧٠، ١٦٣-١٦٤، ١٦٧، ١٨٥، ١٨٧ .
(هـ) عائض بنيه الردادي : شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني (من سلسلة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية - ٤) .
انظر ص ٢٧، ٣٥، ٥١-٥٢، ١٦٤، ١٩٥، ١٩٧-١٩٨ .

(١) في الديوان : في عقب ماض .
(٢) ابن الجوزي : المدهش ص ١٥٩ ، والأبيات موجودة في ديوان الشريف الرضيّ مع أبيات أخرى لم تذكر هنا . انظر ٢٨٣/١ .
(٣) سبقت ترجمته في الباب الثاني .
(٤) ابن الجوزي : الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ص ٩٠، المصباح المضيء ١٧٧/٢-١٧٨، ولم أجد هذه الأبيات بنصها في ديوان أبي العتاهية ، ولكن توجد أبيات قريبة منها، انظر د. شكري فيصل : أبو العتاهية حياته وشعره ص ١٦٦

ومما ذكره ابن الجوزى فى كتابه "ذم الهوى" من الشعر الذى ينهى عن الرذيلة ويحث على مكارم الأخلاق ، قول على بن الحسن الإسكافى (١) :

مَا إنْ دَعَانِى الهَوَى لِفَاحِشَةٍ
إلاَّ نَهَانِى الحَيَاءُ والْكَرَمُ
فَلاَ إلَى فَاحِشٍ مَدَدْتُ يَدِى
ولاَمَشَتْ لِى بِرِيْبَةٍ قَدَمُ (٢)

وقول العباس بن الأحنف :

أمَا وَالَّذِى نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ
وأنْزَلَ فُرْقَاناً وأوْحَى إلَى النَّحْلِ (٣)
لَقَدْ وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِنْكَ بَلِيَّةً
عَلَىَّ أُقَاسِيهَا وخَبْلاً مِنَ الْخَبْلِ
وإنِّى وإيَّاكُمْ وإنْ شَفَّنِى الهَوَى
لأَهْلُ عَفَافٍ لاَيُدَنَّسُ بَالجَهْلِ (٤)

وفى مجال النثر اهتم ابن الجوزى بالقصص والأخبار الأدبية فى مصنفاته ، فبالإضافة إلى ماوضعه من مصنفات مستقلة للحكايات التى ترمى إلى غرض وعظى (٥) ، نجده يورد فى

---

(١) لم أجد ترجمته .
(٢) ص ٢٣٨ .
(٣) رواية الشطر الأول فى الديوان :
أمَا وَالَّذِى نَاجَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ
(٤) ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٢٣٨ ، وانظر ديوان العباس ابن الأحنف ص ٢٣٥ . والبيت الثالث غير مذكور فى الديوان .
(٥) كتاب عيون الحكايات ، ذكر ابن الجوزى أن فيه خمسمائة حكاية مسندة . انظر كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٣٧٢ ، وكتاب ملتقط الحكايات وفيه (٥٧) حكاية مسندة . انظر نثر ابن الجوزى الوعظى فى الفصل الأول من هذا الباب .

بعض كتبه ، ـ وبخاصة كتبه الإخبارية وذم الهوى ـ الكثير من القصص والأخبار الأدبية (١) .

وجاء ابن الجوزى فى "صيد الخاطر" بقصص عجيبة عن البخلاء ، لم يورد الجاحظ فى كتابه "البخلاء" مثلها (٢) .

وكان ابن الجوزى يهدف من ذكر تلك القصص ، وعظ الناس وتحذيرهم من البخل ، لذا لم يهتم بذكر شخصيات البخلاء ، بل لم يذكر أسماءً فى تلك القصص ، بعكس الجاحظ ، الذى جمع فى بخلائه بين الجدّ والهزل (٣) .

ومن هذه القصص ، ماجاء فى قول ابن الجوزى : "حكى لى صديق لنا ، أن رجلاً مات ودُفن فى الدار ، ثم نُبش بعد مدة ليُخرج فوُجِد تحت رأسه لَبِنَة مقيَّرة (٤) ، فسُئل أهله عنها فقالوا :

(١) وأورد ابن الجوزى قصصًا شائقة فى كتبه الأخرى ، منها : "صفة الصفوة" وفيها ذكر قصة أبى الغياث المكى والحزام الملىء بالذهب ٢/٢٦٠-٢٦٤ ، وقد ذكر هذه القصة الشيخ على الطنطاوى فى كتابه "قصص من التاريخ" ص ٨١-٩٠ ، وذكر ابن الجوزى أيضًا قصة الرشيد مع الفضيل بن عياض ٢/٢٤٢-٢٤٦ ، وقصة ولد الرشيد المعروف بالسبتى ٢/٣٠٩-٣١٧ (وانظر كذلك المصباح المضىء ٢/٢٦٠) وقصة الحجاج مع الأعرابى الصائم ٤/٣٧٧-٣٧٨ ، وقصة الأصمعى مع قاطع الطريق ٤/٣٨١-٣٨٢ .
وفى كتاب "الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ" أورد أخبارًا عجيبة عن حافظة المتنبى والأصمعى وغيرهما ص ٤٦-٨٨ .
وذكر فى كتاب "تلقيح فهوم الأثر" قصة هتاف المرأة فى خدرها بنصر بن حجاج ص ٦٦٤-٦٦٦ ، والخبر موجود فى "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" ص ٨٥-٨٨ ، و"ذم الهوى" ص ١٢٤-١٢٥ .

(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٤١ .

(٣) قال الجاحظ فى مقدمة كتابه البخلاء : "وقلت : اذكر لى نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء ، ومايجوز من ذلك فى باب الهزل ومايجوز منه فى باب الجد ، لأجعل الهزل مستراحًا والراحة جمامًا ، فإن للجدّ كدًّا يمنع من معاودته ، ولابد لمن التمس نفعه من مراجعته ..." ص ١ .

(٤) مدهونة بالقار ، وهو القطران (الزفت) .

هو قيَّر هذه اللبِنَة وأوصى أن تُترك تحت رأسه فى قبره ، وقال: إن اللَّبِنَ يَبْلى سريعًا وهذه لمَوْضِعِ القار لاتبلى . فأخذوها فوجدوها رزينة (١) ، فكسروها فوجدوا فيها تسعمائة دينار فتولاها أصحاب التركات ....

وحدثنى بعض أصحابنا عن حالة شاهدها من هذا الفن .

قال :

كان فلان له ولدان ذكران وبنت ، وله ألف دينار مدفونة ، فمرض مرضًا شديدًا فاحتوشه أهله ، فقال لأحد ابنيه: لاتبرح من عندى . فلما خلا به قال له : إن أخاك مشغول باللعب بالطيور ، وإن أختك لها زوج تُركى ، ومتى وصل من مالى إليهما شىء أنفقوه فى اللعب ، وأنت على سيرتى وأخلاقى ولى فى الموضع الفلانى ألف دينار ، فإذا أنا مُتُّ فخذها وحدك .

فاشتد بالرجل المرض فمضى الولد فأخذ المال، فعوفى الأب فجعل يسأل الولد أن يرد المال إليه فلايفعل ، فمرض الولد وأشفى (٢) ، فجعل الأب يتضرع إليه ويقول : ويحك خصصتك بالمال دونهم فتموت ويذهب المال ، ويحك لاتفعل ، فما زال به حتى أخبره بمكانه ، فأخذه .

ثم عوفى الولد ومضت مدة فمرض الأب ، فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال ، وبالغ فلم يخبره ومات وضاع المال" (٣) .

ونظرا لولع ابن الجوزى بالوعظ ، فقد أورد فى بعض

---

(١) المراد ثقيلة .
(٢) أى أشرف على الموت .
(٣) صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ٣٢٥-٣٢٦ .

كتبه ، كثيراً من رقائق الوعظ وأقوال الزهاد وخطبهم،وبعضها (١) يعد من جوامع الكلم وروائع البيان (٢) .

ومن ذلك ماروواه ابن الجوزى عن مواعظ العلماء لعمر بن عبد العزيز رحمه الله (٣) : "لما استخلف عمر ، دخل عليه سالم ابن عبد الله (٤) ومحمد بن كعب (٥) ، وهو مكتئب حزين ، فأقبل على أحدهما فقال : عظنى . فقال : ياأمير المؤمنين ! إن الله لم يجعل أحدا من خلقه فوقك ، فلاترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك ، واجعل الناس أصنافا ثلاثة : الكبير بمنزلة الأب ، والوسط بمنزلة الأخ ، والصغير بمنزلة الولد .

---

(١) انظر ماجاء فى مصنفات ابن الجوزى التالية : صفة الصفوة ٢/٣٢،٢٣٥،٢٤٣-٢٤٤ ، ٣/٢٣٤-٢٣٦ ، التبصرة ١/٢١٢-٢١٤،٢٣٩-٢٤٠ ، ٢/١٨٤،٢٧٤ ، ومواضع أخرى .
المصباح المضىء ، معظم الجزء الثانى اشتمل على المواعظ . انظر ٢/٥،٢٥،١٩١،٢٢٧ .
التذكرة فى الوعظ ص ١٤٧-١٤٩ .
الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ص ٨٧-٩٠ .
كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. الصباغ) ص ٢٠٩-٢٩٣ .
مناقب أمير المؤمنين عمربن الخطاب ص ١٧٨-١٨٧،١٩٣-٢٠٩
سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ١٤٢-١٦٨،٢٢٩-٢٦٠ .
مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٩٦-٢٠٤،٢٩٢-٢٩٥ .
مناقب معروف الكرخى وأخباره ص ٦٥٠ .

(٢) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين (مقدمة د.الصباغ) ص ١٠٢ .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٦١ - ١٠١هـ) الخليفة الأموى الراشد ، أفرد له ابن الجوزى كتاباً ، جمع فيه أخباره وسماه : "سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز" .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، وأحد سادات التابعين وعلمائهم ، توفى سنة (١٠٦هـ) . انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢/٩٠-٩١ ، الزركلى : الأعلام ٣/٧١ .

(٥) محمد بن كعب القرظى (المتوفى ١١٧هـ) من زهاد التابعين وعبادهم ، قيل عن وفاته : إنه كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليهم فماتوا . انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢/١٣٢-١٣٤ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١/٢٧٧ .

فبرّ أباك ، وصلّ أخاك ، واعطف على ولدك ، واعلم أنك أول خليفة يموت .

فأقبل على الآخر فقال : عظني . فقال :

يا أمير المؤمنين ! إن الدنيا عِطَنٌ (١) مهجور ، وأكل منزوع، وعرض بلاءٍ ، ومستقر آفات ، يحيط بها الذلّ ، ويفنيها الثكل ، لكل فرحة منها ترحة ، ولكل سرور منها غرور ، وقد رغب عنها السعداء ، وانتُزعت من أيدى الأشقياء .

فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء " (٢) .

ومن ذلك أيضا قول السرى السقطى (٣) : "الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسه وشدته وغمّه لم يبق منه شىء ، واليوم الذى أنت فيه صديق مودّع لك طويل الغيبة عنك ، سريع الرحلة عنك، وغداً فى يديك تأميله ، ولعلك من غير أهله " (٤) .

ولم يهمل ابن الجوزى المثل فى مصنفاته ، فهذا الأستاذ عبد الحميد العلوجى يذكر أن له مصنفاً مستقلاً فى ذلك ، بعنوان "الأمثال" ، بيد أنه وضعه فى آثاره الضائعة أو التى فى حكمها (٥) .

ومن الجهود الطيبة لابن الجوزى فى هذا الحقل ،

---

(١) العطن : مبارك الابل عند الماء . (الجوهرى : الصحاح) ٢١٦٥/٦ .
(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ١٥٦ .
(٣) سرى بن المغلس السقطى الصوفى ، من أهل بغداد ، وفيها توفى سنة (٢٥٣هـ) ، وهو خال أبى القاسم بن جنيد . انظر فى ترجمته : ابن الجوزى : صفة الصفوة ٣٧١/٢-٣٨٦ ، الزركلى : الأعلام ٨٢/٣ .
(٤) صفة الصفوة ٣٨٣/٢ .
(٥) مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١٣ .

اهتمامه بما جاء فى القرآن الكريم من أمثال ، وكذلك ماجاء منها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم .

غير أنه قصر جهده على مجرد الإحصاء والسرد ، وكان يمكن أن يكون جهده أكثر إفادة ، لو اهتم بالتفسير والشرح والتحليل وعقد الموازنات ، بجانب ذكر الأمثال .

فهو يذكر أن أمثال القرآن الكريم ، تبلغ ثلاثة وأربعين مثلا (١) .

ومن هذه الأمثال (٢) ، قول الله تعالى : {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ} (٣) ، {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} (٤) ، {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا} (٥) ، {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً} (٦) ، {واضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (٧) ، {أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} (٨) ، {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ} (٩) ، {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ} (١٠) .

ومن أجل بيان بلاغة القرآن الكريم ، أتى ابن الجوزى ببعض الأمثال التى تعارف عليها الناس ، ثم جاء بما يقابلها فى المعنى من القرآن الكريم ، وتوقف عند هذا الحد ، فلم يحاول إبراز مميزات النص القرآنى المعجز على ماعداه من الأمثال .

يقول ابن الجوزى : "وكم من كلمة تدور على الألسن مثلا

---

(١) المدهش ص ١٦-١٧ ، رؤوس القوارير ص ٣٠-٣١ .
(٢) انظر المدهش ص ١٦-١٧ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٤
(٤) سورة الأعراف : ١٧٦
(٥) سورة النحل : ٧٥
(٦) سورة النحل : ١١٢
(٧) سورة الكهف : ٤٥
(٨) سورة النور : ٣٩
(٩) سورة الروم : ٢٨
(١٠) سورة الجمعة : ٥

جاء القرآن بألخص منها وأحسن . فمن ذلك قولهم : "القتل أنفى للقتل" . مذكور فى قوله تعالى {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}(١)

وقولهم : "ليس المخبر كالمعاين"(٢) مذكور فى قوله تعالى : {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}(٣) .

وقولهم : "ماتزرع تحصد" مذكور فى قوله تعالى : {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}(٤) .

وقولهم : "للحيطان آذان" مذكور فى قوله تعالى : {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}(٥) .

وقولهم : "الحِمْية رأس الدواء" مذكور فى قوله تعالى : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَاتُسْرِفُوا}(٦) .

وقولهم : "احذر شرَّ من أحسنت إليه"(٧) مذكور فى قوله تعالى : {وَمَانَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}(٨) .

وقولهم : "من جهل شيئًا عاداه" مذكور فى قوله تعالى : {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ}(٩) ، {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}(١٠) .

وقولهم : "خير الأمور أوساطها"(١١) مذكور فى قوله تعالى : {وَلَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}(١٢) .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩
(٢) انظر الميدانى : مجمع الأمثال ٩٥/٣ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٠
(٤) سورة النساء : ١٢٣
(٥) سورة التوبة : ٤٧
(٦) سورة الأعراف : ٣١
(٧) انظر الميدانى : مجمع الأمثال ٢٥٥/١ .
(٨) سورة التوبة : ٧٤
(٩) سورة يونس : ٣٩
(١٠) سورة الأحقاف : ١١
(١١) انظر العسكرى : جمهرة الأمثال ٤١٩/١ ، الميدانى : مجمع الأمثال ٤٣٠/١ .
(١٢) سورة الاسراء : ٢٩

وقولهم : "من أعان ظالماً سلطه الله عليه" مذكور في قوله تعالى : {كُتِبَ عليهِ أنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأنَّهُ يُضِلُّهُ} (١) .

وقولهم : "لمّا أنضج رمّد" (٢) مذكور في قوله تعالى : {وَأعطى قَليلاً وأكْدَى} (٣) .

وقولهم : "لاتلد الحيّة إلاحيّة" مذكور في قوله تعالى : {ولاَيَلِدُوا إلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا} (٤) (٥) .." .

وأورد ابن الجوزي كذلك بعضاً مما جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الأمثال (٦) ، التي جاءت في عبارات وجيزة ، وقد اكتفى ابن الجوزي كعادته بالسرد .

ومن هذه الأمثال ، قوله صلى الله عليه وسلم :

"لايُلْدَغ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين" (٧) .

"الآن حمى الوطيس" (٨) .

"من بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه" (٩) .

---

(١) سورة الحج : ٤

(٢) انظر ابن الجوزي : غريب الحديث ٤١٤/١ ويضرب هذا المثل لمن يصنع معروفاً ثم يفسده .

(٣) سورة النجم : ٣٤

(٤) سورة نوح : ٢٧

(٥) المدهش ص ١٧-١٨ ، رؤوس القوارير ص ٣٠-٣١ .

(٦) انظر صفة الصفوة ٢٠٣/١-٢١٨ .

(٧) المصدر السابق ٢٠٣/١-٢٠٤ ، الوفا بأحوال المصطفى ٤٥٦/٢ ، والحديث في الصحيحين : انظر فتح الباري ، كتاب الأدب ٥٢٩/١٠ ، صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ٢٢٩٥/٤ .

(٨) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٢٠٤/١ ، وجاء الحديث في صحيح مسلم :"هذا حين حمي الوطيس" ، كتاب الجهاد والسير ١٣٩٩/٣ .

(٩) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٢٠٥/١ ، الوفا بأحوال المصطفى ٤٥٧/٢ ، وجاء الحديث في صحيح مسلم وأوله : "من نفّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة"كتاب الذكر والدعاء والتوبة ٢٠٧٤/٤ .

"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة"(١) .

"الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"(٢) .

"الحرب خدعة"(٣) .

"اليد العليا خير من اليد السفلى"(٤) .

وأتى ابن الجوزى كذلك ، بالكثير من الأمثال فى عدد من كتبه(٥) ، جاء ببعضها على سبيل الاستشهاد ، أو لأجل تعزيز ماذهب إليه من رأى ، وورد بعضها الآخر عرضا .

بيد أنه أفرد فى كتاب "تلقيح فهوم الأثر" بابًا سماه : "فى ذكر قصص قوم جرى المثل بأسمائهم"(٦) ، وبابًا آخر : "فى ذكر كلمات يستعملها الناس فى كلامهم لها أصول"(٧) . وفى هذين البابين ، قام ابن الجوزى بذكر قصص بعض الأمثال وأصولها ، ففى الباب الأول قال عن عرقوب الذى ضُرب المثل به فى إخلاف الوعد :

"كان عرقوب رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله

---

(١) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢٠٦/١ ، وجاء الحديث مطولاً فى صحيح مسلم ، وبتقديم الفضة على الذهب ، كتاب البر والصلة والآداب ٢٠٣١/٤ .

(٢) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢٠٧/١ ، وجاء الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٢/٤ .

(٣) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢٠٨/١ ، والحديث فى الصحيحين : انظر فتح البارى ، كتاب الجهاد ١٥٨/٦ ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ١٣٦١/٣ .

(٤) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢١١/١ ، والحديث فى الصحيحين : انظر فتح البارى ، كتاب الزكاة ٢٩٤/٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ٧١٧/٢ .

(٥) وبخاصة فى "أخبار الحمقى والمغفلين" فقد جعل الباب السابع من الكتاب : "فى ضرب العرب المثل بمن عرف حمقه" ص ٣٤-٣٥ .
وكذلك "أخبار الأذكياء" (تحقيق أسامة الرفاعى) حيث جعل الباب الثالث والثلاثين : "فى ذكر ماضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء" ص ٢٩٠-٢٩٥ ، وانظر أيضا ص ٢٨٣-٢٨٤ .

(٦) ص ٧٠٨-٧١١ .

(٧) ص ٧١٢-٧١٣ .

شيئا فقال : إذا طلع نخلي ، فلما طلع أتاه فقال : إذا أبلح ، فلما أبلح أتاه فقال : إذا أزهى ، فلما أزهى أتاه فقال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، فقال : إذا صار تمرًا، ثم جذه بالليل ولم يعطه شيئًا ، وهو الذى ذكره كعب بن زهير فى قوله :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مثلا
ومَامَواعيدها إلاّ الأباطِيل » (١)

وقال ابن الجوزى فى الباب الآخر :"ويقولون : "فلان نسيج وحده" وأصله أن الثوب الرفيع لاينسج على منواله غيره. (٢) ويقولون :"فلان لئيم راضع" وأصله أن رجلًا كان يرضع الغنم (٣) والإبل ولايحلبها لئلا يُسمع صوت الحلْب ، فقيل ذلك لكل لئيم - ويقولون لمن رفع صوته :"قد رفع عقيرته" وأصله أن رَجلًا قُطعت إحدى رِجليه ، فرفعها ووضعها على الأخرى ، وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته : قد رفع عقيرته .." (٤) .

وبعد ، فإن مصنفات ابن الجوزى حفظت لنا تراثًا أدبيًا كثيرًا - تفرد ابن الجوزى بذكر بعضه - .

وقد أظهر ابن الجوزى مقدرة فائقة فى الاعتناء به فى كتبه ، فأحسن ترتيبه وتبويبه - وبخاصة فى أخباراته - بصورة جعل الرجوع إليه أمرًا ميسورا .

---

(١) ص ٧٠٩ ، وانظر قصيدة البردة لكعب بن زهير ص ٩٧-٩٨ ، العسكرى : جمهرة الأمثال ٤٣٣/١ ، الميدانى : مجمع الأمثال ٣٣٠/٣ .
(٢) انظر العسكرى : جمهرة الأمثال ٣٠٣/٢ .
(٣) انظر المصدر السابق ٢٢٠/٢ ، الميدانى : مجمع الأمثال ٢٢٢/٣ .
(٤) تلقيح فهوم الأثر ص ٧١٢ .

فهو يأتى فى كل كتاب بما يناسبه من النصوص ، وكذلك الحال داخل كل باب ، يضع كل نص تحت مايلائمه من الأبواب وفق منهج دقيق ، فبعث فى ذلك التراث الأدبى الحياة ، وأزال عنه الغموض .

وقد تميزت معظم النصوص النثرية فى كتبه بالإيجاز (١) ، وبوضوح العبارات وجودتها ، مما يدل على حسن اختياره لما ينقله من النصوص .

---

(١) انظر أخبار الأذكياء ، وأخبار الحمقى والمغفلين ، وأخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار النساء .

المبحث الثالث

العشق

يعد الفقهاء أبرز من تناول موضوع العشق بالدراسة (١).

ولعل السبب فى ذلك، يعود إلى تأثرهم من التغير الواضح فى السلوك الاجتماعى المحيط بهم، نتيجة للترف، وضعف الوازع الدينى، وتراخى قبضة العلماء، فأدى ذلك إلى انتشار الحانات، وتفشى العشق، ومخادنة القيان والغلمان. فظهر التحذير والاعتراض عند عدد من الفقهاء، وأظهر مايكون عند ابن الجوزى فى "ذم الهوى" وابن قيم الجوزية (٢) فى "روضة المحبين" (٣).

وقد استهل ابن الجوزى كتابه بقوله: "شكا إلىّ بعض من أثرت شكواه إشارة هِمَّتِى فى جمع هذا الكتاب، من بلاء ابتلى به، وهوًى هَوَى فيه، وسألنى المبالغة فى وصف دواء دائه،

---

(١) انظر الحديث عن بدايات التأليف فى الحب:
د. مصطفى عبد الواحد: دراسة الحب فى الأدب العربى ١/١١-٣٥.
د. الطاهر أحمد مكى: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣١٩-٣٣٢.
د. محمد سعد الشويعر: الحصرى وكتابه زهر الآداب ص ١٨٣-١٨٥.
د. محمد حسن عبد الله: الحب فى التراث العربى ص ٤٨-٥٠.

(٢) محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى (٦٩١ - ٧٥١هـ) أحد علماء الأمة، وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر فى ترجمته:
ابن كثير: البداية والنهاية ١٤/٢٣٤-٢٣٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٦/١٦٨-١٧٠، الزركلى: الأعلام ٦/٥٦. وانظر لقب ابن الجوزى فى الباب الأول.

(٣) د. محمد حسن عبد الله: الحب فى التراث العربى ص ٥٧-٥٨، د. مصطفى عبد الواحد: دراسة الحب فى الأدب العربى ٢/٢٣٤، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ص ١٩-٢٥.

فأهديت له نصيحة وديد لأودائه " .(١)

وهذا الشاكى يُحتمل أن يكون شخصية وهمية ، ليكون ذريعة لتناول موضوع العشق ، الذى يتُحرج منه ، لأنه ينزل عن يفاع الوقار ، كما جاء فى تعبير ابن الجوزى .(٢)

إلا أن الاحتمال الأقرب للواقع ، هو أن يكون الشاكى حقيقيًا ، نظرًا لاتصال ابن الجوزى بالناس ، مُعلِّمًا ، وهاديًا إلى الطريق المستقيم .(٣)

ومن عنوان الكتاب يتضح لنا اهتمام ابن الجوزى ، بذم الهوى والشهوات ، لذا حذر من الأسباب المؤدية للهوى ،(٤)

---

(١) ذم الهوى ص ١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، د. محمد حسن عبد الله : الحب فى التراث العربى ص ٧٢،٦٦ ، د. مصطفى عبد الواحد : دراسة الحب فى الأدب العربى ٣١٧/٢ .

(٣) انظر ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ١٩ ، وقد فعل ابن الجوزى مثل ذلك فى مقدمة التبصرة ١/١ ، وصفة الصفوة ٢٠/١-٢١ ، وفضائل القدس ص ٦٣ .

(٤) يرى المستشرق "ستيفان ليدر" STEFAN LDEDR : أن الكتاب اشتمل على كثير من المتناقضات ، كالحث على الأخلاق والتنسك ، والتحذير من الهوى والعشق كما أشار إلى ذلك عنوان الكتاب ، ثم إيراده مايومىء إلى عدم معارضته للعشق ، حيث جاء فى الكتاب نظريات فى الحب ، وقصص غرامية ، وكذلك ما أبداه ابن الجوزى من تفهم وعطف على العشاق . انظر :
IBN AL-ǦAUZI UND SEINE KOMPILATION
WIDER DIE LEIDENSCHAFT . p.VII
والواقع أن ابن الجوزى كان يرى أن العشق مرض ، كما صرح بذلك : "هذا مرض قد تلف به خلق كثير ، تارة فى أبدانهم وتارة أخرى فى أديانهم ، وتارة فيهما ، ولأجله وضعت كتاب ذم الهوى" (الطب الروحانى ص ١١) وانظر قريبًا من ذلك فى صيد الخاطر (طبعة الطنطاوى) ص ١١٢ .
لذا حذر ابن الجوزى من العشق ، ومن الهوى بشكل عام فى (٤٢) بابًا من أصل (٥٠) ، ومن جهة أخرى حاول علاج من ابتلى بالعشق ، فذكر ماهيته وحقيقته فى الفصل (٣٦) وذكر سببه فى الفصل (٣٧) وعمد فى العلاج - وهو صاحب تصانيف فى الطب - إلى الرفق حينًا ، كما فى الفصل (٤٢،٣٨) - لذا رأينا قصص العشاق - وكذلك الشدة فى =

كسماع الغزل والغناء وعدم غض البصر، وغير ذلك (١) كما جاء في كتابه "أخبار النساء": "ومما يحدث الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن، ويدعوهن إلى الحرص على الرجال، والطلب لهن أمور منها: أن يُظهر لها زوجها شدة الحذر عليها، والاحتفاظ بها، والغيرة في غير موضعها. أو يكون الرجل منهمكاً في الفساد، مظاهراً لها بالزنا. فإن ذلك مما يغريها من طلب الرجال، والحرص عليهم" (٢).

لذلك كله، تميز كتاب "ذم الهوى" بقوة الدافع، وإخلاص الغاية، فلم يُصنف هذا الكتاب ليكون حديثاً مغرياً في الحُبّ وأخباره (٣)، بل كتاب توجيه، تشعر فيه بحرارة الغيرة وعمق الإحساس، فكان بحق حلقة من حلقات الجهاد، التي بذلها رجال مخلصون في سبيل درء الفساد عن هذه الأمة (٤).

= أحيان أخرى، ثم ختم الكتاب بذكر أدوية العشق، في الفصل (٤٩) وذِكر الوصايا والزواجر والمواعظ في الفصل (٥٠)، وعلى ذلك فلاتناقض في الكتاب، وبخاصة أن ابن الجوزي يذكر أنه أتى به على أبلغ ترتيب، وأمر باتباع مافيه، انظر ص ١.

(١) انظر ذم الهوى ص ٢٩٦-٣٠٥.

(٢) ص ٩٢، وانظر الباب الثاني ص ٣٦-٨١، والباب السابع ص ١٦٨-٢٠٨.

(٣) وهو مافعله ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" الذي يقول فيه: "وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً، منها في أصول الحب عشرة فأولها هذا الباب، ثم باب في علامات الحب ..." (ص ٣) وانظر ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٣ ومع أن ابن حزم توفي عام (٤٥٦هـ) إلا أن د. الطاهر مكي يرى أن ابن الجوزي لم يقرأ طوق الحمامة: "وأكاد أجزم أن ابن الجوزي لم يقرأ "طوق الحمامة" أو حتى سمع به، فهو لايأتي على ذكر ابن حزم أبداً، ولايلتقي معه في رأي أو منهج أو فكرة".
(دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٥).

(٤) ابن الجوزي: ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ١٨، ٢٤.

ولم يكتف ابن الجوزى بتناول موضوع العشق فى مجتمعه (١) ، بل وصل الماضى بالحاضر ، وعكس من خلال الروايات والأخبار التى نقلها فى "ذم الهوى" دراية واسعة ، بقصص الحب عند الأمم المختلفة ، كاليونان والفرس وبنى إسرائيل (٢) .

ونظرًا لهذه الإحاطة ، عُدّ كتاب "ذم الهوى" من أضخم ماصُنف فى مجال العشق ، إن لم يكن أضخمها على الإطلاق (٣) ، بالإضافة إلى تميزه بحسن الترتيب ، الذى افتقده كتاب "مصارع العشاق" لابن السرّاج (٤) .

وقد عُنى ابن الجوزى كثيرًا فى هذا الكتاب بالقصص التى تحث على الخوف من الله تعالى ، والرجاء بما عنده (٥) ، وأتى أيضا بقصص كثيرة ، ينتصر فى آخرها الوازع الدينى ، فى نفوس أبطال تلك القصص على وساوس الشيطان ومكائده ، فيحول بينهم وبين الوقوع فى المعصية . ومما رواه :

"كان عبد الرحمن بن أبى عمّار (٦) من بنى جشم معاوية ،

---

(١) أورد ابن الجوزى خبرًا من سوسة إفريقية (تونس) ص ٣٤٤-٣٤٥ ، وآخر من الأندلس ص ٦٥٧-٦٥٨ ، وماعداهما فإنه اقتصر على أخبار المشرق فقط . انظر د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٥ .

(٢) د. محمد حسن عبد الله : الحب فى التراث العربى ص ٢٦١، د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٤ ، ابن الجوزى : ذم الهوى (مقدمة المحقق) ص ٢٣ .

(٣) د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٣ . وقال د. عبده بدوى عن ابن الجوزى ، وكتابه ذم الهوى ، فى المقال الذى نشره فى مجلة "منبر الاسلام" العدد الثانى ١٣٩٠هـ :"ولكن أحدا لم يقنن الحب ،ولم ينظره ، ولم يتعرف عليه بعمق مثل الإمام ابن الجوزى" ص ١٣١ .

(٤) د. مصطفى عبد الواحد : دراسة الحب فى الأدب العربى ٣٥٥/٢ ، وانظر مقدمته لكتاب ذم الهوى ص ٢٤ .

(٥) انظر الباب الثانى والثلاثين ص ٢٤١-٢٧٨ .

(٦) انظر الحديث عنه فى كتاب : الأغانى ٨/٦-٩ .

ينزل بمكة ، وكان من عُبّادِ أهلها فسمى القسّ من عبادته ، فمر ذات يوم بسلاّمة وهى تغنى فسمع غناءها ، فرآه مولاها ، فدعاه إلى أن يدخله عليها ، فأبى عليه ، فقال له : فاقعد فى مكان تسمع غناءها ولاتراها ، ففعل . فغنت ، فأعجبته ، فقال له مولاها : هل لك أن أحولها إليك ؟ فامتنع بعض الإمتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشُغِفَ بها وشُغِفَتْ به ، وكان ظريفاً فقال فيها :

أُمَّ سَلامٍ لَوْوَجَدْتِ مِنَ الوَجْـ ـدِ عُشْرَ الَّذِى بِكُمْ أنَا لاَقِى
أُمَّ سَلامٍ أنْتِ هَمِّى وشُغْلِى والعَزِيزِ المُهَيْمِنِ الخَلاَّقِ
أُمَّ سَلامٍ مَا ذَكَرْتُكِ إلاَّ شَرِقَتْ بِالدُّمُوعِ مِنِّى المَآقِى

قال : وعلم بذلك أهل مكة ، فسموها سلامة القَسّ ، فقالت له يوماً : أنا والله أحبك . فقال : وأنا والله أحبك . فقالت : أنا والله أحب أن أضع فمى على فمك . قال : وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يمنعك ، فوالله إن الموضع لخال ؟ فقال لها : ويحك إنى سمعت الله يقول : {الأخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المُتَّقِينَ} (١) ، وأنا والله أكره أن تكون خُلَّةٌ مابينى وبينك فى الدنيا ، عداوةً يوم القيامة .

ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها ، وعاد إلى الطريقة التى كان عليها من النسك والعبادة " (٢) .

ومن قبيل ذلك أيضا :"كان بالبصرة رجل له أكّار (٣) وكانت له امرأة جميلة حسناء كثيرة اللحم ، فوقعت فى نفسه ، فركب

---

(١) سورة الزخرف : ٦٧
(٢) ذم الهوى ص ٢٥٦-٢٥٧ ، أخبار النساء ص ٣٩-٤٠ .
(٣) الأكّار : الحرّاث .

زبيدته (١) إلى قصره ، وقال للأكّار : القط لنا من الرطب وصيره في الدواخل . ثم قال له : إيت به فلانًا وفلانا ، فذهب به ، فلما مضى قال لامرأته : أغلقي باب القصر فأغلقته . ثم قال لها : أغلقي كل باب ، ففعلت ، فقال لها : هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت : نعم ، باب واحد لم أغلقه . قال : وأي باب هو ؟ قالت : الباب الذي بيننا وبين الله عز وجل . فبكا ثم قام عَرِقًا وانصرف ، ولم يواقع الخطيئة " (٢) .

وأبرز ابن الجوزي في كتابه هذا (٣) ، دور العفة في كبح جماح من ابتلى بالعشق ، عن الوقوع في معصية الخالق – عز وجل – ومن ذلك قوله :

"قيل لبعض الأعراب ، وقد طال عشقه بجارية : ما أنت صانع لو ظفرتَ ولايراكما غير الله عز وجل ؟ قال : إذن والله لا أجعله أهون الناظرين ، لكني أفعل بها ما أفعله بحضرة أهلها : حديث طويل ، ولحظ من بعيد ، وترك مايكره الرب ويقطع الحُبّ" (٤) .

وروى ابن الجوزي ، أخبارًا عن جميل بثينة ، وعمر بن أبي ربيعة (٥) ، وذي الرُّمة ،

---

(١) يبدو أن المراد دابة منسوبة إلى زبيد .
(٢) ذم الهوى ص ٢٧٣-٢٧٤ .
(٣) انظر الباب الواحد والثلاثين ص ٢١٨-٢٤٠ .
(٤) ص ٢٣٤ ، وانظر خبرًا قريبًا من هذا في أخبار النساء ص ٤٣ .
(٥) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ، الشاعر المشهور ، ولم يكن في قريش أشعر منه ، توفي سنة (٩٣هـ) . انظر في ترجمته :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٣٦/٣-٤٣٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٠١/١ ، الزركلي : الأعلام ٥٢/٥ .

ونصيب (١) ، تبين عفتهم وتورعهم (٢) عن ارتكاب الفاحشة ، مع ماكان يصدر عن بعضهم من شعر يخالف ذلك . ومما رواه عن جميل :

"... عن ابن سهل (٣) بن سعد الساعدى . قال : كنت بالشام فقال لى قائل : هل لك فى جميل ، فإنه لمابه (٤) ، قال : فدخلتُ عليه وهو يجود بنفسه ، ماتخيل لى أن الموت يكربه ، فقال لى : يابن سعد ماتقول فى رجل لم يسفك دماً حراماً قط ، ولم يشرب خمرًا قط ، ولم يزْنِ قط ، يشهد أن لااله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله منذ خمسين سنة ؟

قلتُ : من هذا ؟ ماأحسبه إلا ناجيًا ، قال الله تعالى : {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} (٥) .

تعنى نفسك ؟ قال : نعم . قلتُ :وكيف وأنت تُشبِّب ببثينة مذ عشرين سنة ؟

فقال : هذا آخر وقت من أوقات الدنيا ، وأول وقت من

---

(١) نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، من الشعراء الفحول ، كان عبدًا فاشتراه وأعتقه عبد العزيز بن مروان ، بعد أن أنشده شعرًا ، توفى سنة (١٠٨هـ) . انظر فى ترجمته :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٨٨-٨٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/٢٦٢-٢٦٣ ، الزركلى : الأعلام ٨/٣١-٣٢

(٢) انظر ذم الهوى ص ٢٢٢-٢٢٤،٢٢٦-٢٢٧ ، وكأن ابن الجوزى يشير بفعله هذا إلى قوله تعالى عن الشعراء : {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَايَفْعَلُونَ} الشعراء : ٢٢٦ .
ومن جانب آخر ، هو حث للناس على ترك الشهوات ، عن طريق توضيح حقيقة سرائر أولئك الشعراء ، الذين يُقبل عليهم الناس ، ويتناقلون أخبارهم وشعرهم .

(٣) ذكر ابن الجوزى فى نهاية الخبر أن اسمه عياش ، بينما فى شذرات الذهب ٩٢/١ ، اسمه عباس ، ويبدو أن هذا هو الصحيح ، وهو ابن سهل الانصارى الصحابى . انظر : ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/٦٦٤-٦٦٥ .

(٤) كناية عن نزول الموت .

(٥) سورة النساء : ٣١

أوقات الآخرة ، فلانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كنتُ وضعتُ يدى عليها لريبة قط ، وإن كان أكثر مانلتُ منها ، إلا أنى كنت آخذ يدها فأضعها على قلبى ، فأستريح إليها ..." (١).

وأشرك ابن الجوزى الشعر بجانب النثر ، من أجل إبراز أثر العفة فى نفوس المحبين ، ومن أبلغ ماروواه هذان البيتان ، وللأسف لم يذكر القائل ، بل اكتفى بقوله :

"ومما أنشدوا فى المبالغة فى وصف العفيف :

يَقظَاتُه ومنَامُه شِرَعٌ (٢) كلٌّ بِكلٍّ فهُوَ مُشْتَبِهُ

إنْ هَمَّ فِى حُلْمٍ بِفَاحِشَةٍ زجرتْهُ عِفَّتُهُ فَيَنْتَبِهُ" (٣)

ويمكن أن نستشف حسرة ابن الجوزى على ما آل إليه حال شباب الأمة ، من خلال الخبر الذى يرويه ، وهو يصور خفوت أثر الوازع الدينى فى اللاحقين ، بعكس ماكان عليه سلفهم :

"كان الرجل يحب الفتاة فيطيف بدارها حولاً ، يفرح إن رأى من رآها ، فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، واليوم يشير إليها وتشير إليه ، فيعِدُها وتعِده ، فإذا التقيا لم يشْكُ حُبّاً ولم ينشد شعراً ، وقام إليها كأنه قد أشهد على نِكاحها أبا هريرة (٤) !!" (٥).

---

(١) ذم الهوى ص ٢٢٢-٢٢٣ .
(٢) المراد به المثل والشبيه .
(٣) ذم الهوى ص ٢٤٠ .
(٤) عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، صحابى جليل كان أكثر الصحابة حفظاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواية له . أسلم فى السنة السابعة ، وتوفى سنة (٥٩هـ) . انظر فى ترجمته : ابن عبد البر : الاستيعاب ١٧٦٨/٤-١٧٧٢ ، ابن الجوزى : صفة الصفة ٦٨٥/١-٦٩٤ ، الزركلى : الأعلام ٣٠٨/٣ .
(٥) ذم الهوى ص ٢٣١ .

وأفرد ابن الجوزى بابًا ، للحديث عن ماهية العشق وحقيقته(١) ، ذكر فيه آراء عديدة ، لحكماء اليونان ثم الإسلاميين ، غير أن تلك الآراء لم تتفق على مفهوم واحد لماهية العشق ، يقول ابن الجوزى :

"وُروى عن الأصمعى أنه قال : لقد أكثر الناس فى العشق، فما سمعتْ أوجزَ ولا أجملَ من قول بعض نساء العرب ، وسُئلت عن العشق ، فقالت: ذل وجنون .

قلتُ : هذه صفة ثمرة العشق ومآله"(٢) .

وبعد تعليقه الدقيق هذا، حدد ابن الجوزى ماهية العشق بقوله :"والتحقيق : أن العشق شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها ، فإذا قوى فكرها فيها تصورت حصولهاوتمنت ذلك فيتجدد من شدة الفكر مرض"(٣) .

وبعد ذلك ، تحدث فى فصل مستقل عن مراتب العشق ، وأتى فيه بأقوال عديدة ومتباينة ، فى ترتيبه ، فى حين أن ابن الجوزى يرى ترتيبه على النحو التالى : الاستحسان ، ثم المودة ، ثم المحبة ، ثم الخُلّة ، ثم الهوى ، ثم العشق ، ثم التتيم ، ثم الوله(٤) .

وقد ختم ابن الجوزى هذا الباب ، بفصل فى الفرق بين المحبة والعشق ، وقال فيه :

"واعلم أن المحبة جنس ، والعشق نوع .

فإن الرجل يحب أباه وابنه ، ولايبعثه ذلك على تلف

---

(١) ذم الهوى ص ٢٨٩-٢٩٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٩٣ .
(٤) المصدر السابق .

نفسه ، بخلاف العاشق .

وقد نُقل أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها ، فارتعدت فرائصه ، وغُشي عليه ، فقيل لبعض الحكماء ما الذى أصابه ؟ فقال : نظر إلى من يحبه فانفرج قلبه ، فتحرك الجسم لانفراج القلب . فقيل له : نحن نحب أهلينا ولايصيبنا ذلك ، فقال : تلك محبة العقل وهذه محبة الروح" (١) .

وروى ابن الجوزى عن الجاحظ قوله :"كل عشق يسمى حُبًّا وليس كل حب يسمى عشقًا ، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة ..." (٢) .

وأفرد ابن الجوزى بابًا كبيرًا "فى ذكر من ضُربت به الأمثال فى العشق" (٣) تتبع فيه أخبارهم ، وروى كثيرًا عن أحوالهم . ومما قاله :"وقد اشتهر بالعشق جماعة يطول ذكرهم وجمهورهم مذكور فى غضون كتابنا ، وإنما ذكرنا الذين اشتدت شهرتهم" (٤) .

فذكر مجنون ليلى ، وعروة بن حزام ، والعباس بن الأحنف وذا الرُّمة ، وتوبة مع ليلى الأخيلية (٥) ، وجميل بثينة ، ومع أن ابن الجوزى ذكر كُثيِّر عزة من ضمنهم ، إلا أنه لايعده من العشاق ، وإن كان شعره يدل على شدة محبته ، لأن فعله يخالف قوله (٦) .

يقول ابن الجوزى :"وقد ذكر فى المشتهرين بالعشق كُثيِّر

---

(١) ذم الهوى ص ٢٩٥ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر الباب الواحد والأربعين ص ٣٨٠-٤٤٧ .
(٤) ص ٤٤٧ .
(٥) انظر طرفا من أخبارهما : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٧/٢-٥٠ .
(٦) انظر : ذم الهوى ص ٤٤٥ .

عزة ، وليس بذلك . فإن عزة تنكرت له فلم يعرفها ، فمال إليها ، فقالت : فأين قولك في عزة ؟ فقال : لو كانت عزة لي لجعلتها مملوكة لك . وسنذكر قصته هذه في باب أدوية العشق عند ذكر التسلي (١) . ومن يكون على مثل هذه الحال ، فليس بصادق في المحبة ، على أن قوماً قد فضّلوا كثّيراً على جميل في المحبة بقوله (٢) " .

ولغرض المبالغة في الاستيفاء بمقابح الهوى ونتائجه ، أورد ابن الجوزي قصة الأم التي عشقت ابنها ، والأخ الذي أحب أخته ، وماترخص ابن الجوزي في إيراد هاتين القصتين مع بشاعتهما ، إلا رغبة منه في تحذير الناس (٣) . ولايطعن إتيانه بالقصتين في التزامه (٤) ، وبعده عن إثارة الغرائز الجنسية .

---

(١) انظر القصة كاملة في : ذم الهوى ص ٦٣٧-٦٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤ . وقد تعرض لهذا الأمر ، قبل ابن الجوزي أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ، وكان مما قاله : "أخبرنا أبو حنيفة قال : حدثنا ابن سلام قال : كان كثّير مُدعياً ولم يكن عاشقاً ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق .." (٣٨/٨) . وأتى بعد ذلك بقصته مع عزة وهي متنكرة ، فلعل ابن الجوزي قد اطلع على هذا الكلام .

(٣) انظر الباب الثاني والأربعين من ذم الهوى ص ٤٤٨-٤٥٧ ، وانظر تعليق المحقق على القصتين .

(٤) ولايمنع هذا ، من الإشارة إلى أن ابن الجوزي قد أورد في بعض كتبه ، قصصاً وأخباراً فيها شيء من ذلك ، وبخاصة في "أخبار النساء" ولكنه في ذلك لايزيد على ماجاء به المصنفون قبله . انظر محمد خلف الله : دراسات في الأدب الاسلامي ص ١٦٩ . ومع ذلك ، فينبغي عدم التسرع في اتهامهم - رحمهم الله - ولعل خير مايقال في هذا المقام ، ماجاء في كلام ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين : "وقد روينا عن ابن عائشة أحاديث ملاحاً في بعضها رفث ، وإن رجلاً قال له : أيأتي من مثلك هذا ؟ فقال له : ويحك أما ترى أسانيدها ؟ ما أحد ممن رويتُ عنه ، هو أفضل من جميع أهل زماننا ، ولكنكم ممن قبح باطنه فرأى ظاهره ، وإن باطنَ القوم فوق ظاهرهم" ص ١٤ .

استمع إليه وهو يكنى ولايصرح ، عند حديثه عن صفات المرأة الحسناء :"وقد قيل : لاتكون المرأة حسناء حتى يبيضّ منها أربعة : وهى : اللون وبياض العين ، والأسنان ، والأظفار . ويسودّ منها أربعة : وهى شعر الرأس ، وشعر الحاجبين ، وأشفار العينين ، وسواد العين . ويحمرّ منها أربعة : اللسان ، والشفتان ، والوجنات ، وثَمّ . ويتسع منها أربعة : الجبهة ، والراحتان ، والوركان ، والصدر . ويضيق منها أربعة : خَرق الأنف ، وخرق الأذنين ، ومشق الفم ، وثَمّ ..." (١) .

وأتاح ابن الجوزى لقارىء "ذم الهوى" فرصة للمقارنة ، بذكر أكثر من رواية للخبر الواحد ، كما فى هذا الخبر :

"كان عبد الله بن حسن (٢) يطوف بالبيت ، فنظر إلى امرأة جميلة ، فمشى إلى جانبها ، ثم قال :

أَهْوَى هَوَى الدِيْنِ واللّذّاتُ تُعْجِبُنِى

فَكيْفَ لِى بِهَوى اللّذّاتِ والدِيْنِ

فقالت له : دع أحدهما تنل الآخر .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، فبلغنا عن ... لقى عبد الله بن حسن امرأة جميلة فى الطواف فلما نظرت إليه وإلى جماله ، مالت نحوه وطمعت فيه ، فأقبل عليها وقال :

---

(١) ذم الهوى ص ٦٣٥-٦٣٦ ، وقد سار ابن قيم الجوزية على نهج ابن الجوزى ، حينما ذكر النص السابق .
انظر روضة المحبين ص ٢٤٧ .

(٢) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (٧٠ - ١٤٥هـ) رضى الله عنهم ، تابعى وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ولما ظهر العباسيون قدم على السفاح فأكرمه ، ثم حبسه المنصور ، فمات فى سجنه .
انظر الخطيب : تاريخ بغداد ٤٣١/٩-٤٣٤ ، الزركلى : الأعلام ٧٨/٤ .

أَهْوَى هَوَى الدِيْنِ واللَذَّاتُ تُعْجِبُنِى
فَكيْفَ لِى بِهَوى اللذَّاتِ والدِيْنِ
نَفسِى تُزَيِّنُ لِى الدُنْيا وزِينتَها
وزَاجِرِى مِنْ حَذَارِ المَوْتِ يَثْنِينِى

فتركته ومضت" (١).

وحاول فى بعض الأحيان ترجيح إحدى روايتى الخبر على الأخرى (٢)، وبلغ الحرص به مرة، أنه استقصى ثلاث روايات لخبر واحد (٣).

وقد ألهت ابن الجوزى فكرة جمع الأخبار، فى أحيان قليلة عن نقد تلك الأخبار وتمحيصها، كما فى الفصل الذى وضعه للحديث عمن أفتتن من الأفاضل بالأحداث (٤).

ومن الطريف أن ابن الجوزى ذكر قصصاً تنتهى بنهاية سعيدة، جعلها تحت عنوان :"سياق ذكر جماعة حصل لهم مرادهم من تزوج النساء المحبوبات أو ملك الجوارى" (٥) ومن ذلك قوله :

"... إن بعض أهل البصرة اشترى صبية، فأحسن تأديبها وتعليمها، وأحبها كل المحبة، وأنفق عليها حتى أملق، وحتى مَسَّها الضُرُّ الشديد، فقالت الجارية : إنى لأرثى لك يامولاى مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعتنى واتسعت بثمنى فلعل الله أن يمنع لك وأقع أنا بحيث يحسن حالى، فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا.

قال : فحملها إلى السوق، فعُرِضَتْ على عمر بن عبيد

---

(١) ص ٢٤-٢٥، وانظر ص ٢٥٢، ٢٥٦-٢٥٨، ٢٨٧، ٤٩٠، ٤٩٩-٥٠١.
(٢) انظر ص ٣٧٧، ٤١٥، ٤٧٢، ٤٩٦.
(٣) انظر ص ٣٥٥-٣٦٠، د. عبد الحميد إبراهيم : قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى ص ٣٢٥.
(٤) انظر ص ١١٦-١٢٢، وانظر مقدمة المحقق ص ٢١-٢٢.
(٥) انظر ص ٦٠٤-٦٣٣.

الله بن معمر التّيْمي (١)، وهو أمير البصرة يومئذ ، فأعجبته ، فاشتراها بمائة ألف درهم .

فلما قبض المولى الثمن وأراد الانصراف ، استعبر كل واحد إلى صاحبه باكيًا ، وأنشأت الجارية تقول :

هَنِيئًا لَكَ المَالُ الَّذِى قَدْ حَوَيْتَهُ
وَلَمْ يَبْقَ فِى كَفِّىَ غَيْرُ التذكُّرِ

أقُولُ لِنَفْسِى وهْىَ فِى غَشْيِ كُرْبةٍ
أقِلِّى فَقَدْ بَانَ الحَبِيبُ أو أكْثِرِى

إذَا لَمْ يَكُنْ للأمْرِ عِنْدَكِ حِيلَةٌ
ولَمْ تَجِدِى شَيْئًا سِوَى الصَّبْرِ فَاصْبِرِى

فاشتد بكاء المولى ، ثم أنشأ يقول :

فَلَوْلَا قُعودُ الدَّهْرِ بِى عَنْكِ لَمْ يَكُنْ
يُفَرِّقُنَا شَيْءٌ سِوَى المَوْتِ فاعْذُرِى

أرُوحُ بِهَمٍّ فِى الفُؤادِ مُبَرِّحٍ
أنَاجِى بِهِ قَلْبًا شَدِيدَ التَّفَكُّرِ

عَلَيْكِ سَلَامٌ لازِيَارةَ بَيْنَنَا
ولاوَصْلَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فقال ابن معمر : قد شئت ، خذها ولك المال ، وانصرفا راشدين ، فوالله لاكنت سببًا لفرقة محبَّيْنِ" (٢) .

وأورد ابن الجوزى قصة تنتهى "بنوع من الخيال يومىء إلى انتصار الحب على الجاه والثروة ، وعلى العادات والتقاليد . فعروة وعفراء حين حال المال بينهما فى الحياة

---

(١) عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التَّيْمِى القرشى (٢٢ - ٨٢هـ) سيد بنى تيم فى عصره ، كان من رجال مصعب ابن الزبير بن العوام ، وبعد موته اتصل بعبد الله بن مروان .
انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/١٦٢ ،
الزركلى : الأعلام ٥/٥٤ .

(٢) ذم الهوى ص ٦٢٥-٦٢٦ .

يتعانقان بعد الموت فى هيئة شجرتين ملتفتين" (١) .

وقد جاء فى نهاية قصتهما : "... فانتهيتُ إلى قبرين متلاصقين ، قد خرج من هذا القبر ساق شجرة ، ومن هذا ساق شجرة ، حتى إذا صارا على قامةٍ التقيا . فكان الناس يقولون: تآلفا فى الحياة وفى الموت !" (٢) .

وإذا صفينا مادة "ذم الهوى" من طابع القصة - وقد جاءت معظم أخبار الكتاب فى أسلوب سهل شائق لاغموض فيه (٣) - نجده مرآة لما كان يجرى فى المجتمع العربى ،وفى بغداد على وجه خاص ، من تصرفات خارجة عن الدين فى بعض الأحيان (٤) .

لذا فهذا الكتاب يعد أحد الدراسات الإسلامية ، لمشكلة العشق من نواحيها النظرية والواقعية ، بما تضمنه من نصوص من القرآن الكريم ، والسُّنة المطهرة ، وأقوال علماء السلف (٥)

وكان لابن الجوزى كذلك ،آراء وتعليقات قيمة - رأينا بعضها فى حديثه عن ماهية العشق وحقيقته - ونظرًا لما أبداه من تفهم عميق لمن ابتلى بالعشق ، ومابذله لهم من نصح وتوجيه ، وصفه المستشرق الألمانى ("ستيفان ليدر" STEFAN LEDER) بالطبيب الروحانى "SEELENARZT" (٦) .

---

(١) د. عبد الحميد إبراهيم : قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى ص ٦ ، وانظر ص ٣٧٠ .

(٢) ذم الهوى ص ٤١٨ ،وانظر قصة ليلى الأخيلية مع توبة ص ٤٣٣

(٣) د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٥ ، د. عبد الحميد إبراهيم : قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى ص ٢٣٧ .

(٤) (مقدمة المحقق) ص ١٨ ، د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٢٥ .

(٥) (مقدمة المحقق) ص ٢٣ .

(٦) IBN AL-ĞAUZĪ UND SEINE KOMPILATION WIDER DIE LEIDENSCHAFT . p. VII .

ومما لايخفى على القارىء الكريم ، أن هذا الوصف مستمد من أحد كتب ابن الجوزى المطبوعة ، التى سبق الرجوع إليها وهو كتاب "الطب الروحانى" .

ومن آراء ابن الجوزى فى الكتاب قوله :

"فإن قال قائل : قد ذكرتَ علاج العاشق بتحصيل المعشوق إن كان مباحًا ، ورجيته بأن ذلك يمكن ، وقد اتفق لجماعة ، فما تقول فى عشق من لاسبيل إلى تحصيله ، كذات الزوج أو محرم على التأبيد كالأمرد ، فهل لهذا الأمر من علاج ؟ مع أنه قد أنحف الجسد وأدام السهر وقارب بصاحبه مرتبة الجنون .

فالجواب : أن العلاج الكلى فى جميع أمراض العشق الحِمْية . وإنما تقع الحِمْية بالعزم الجازم على هجر المحبوب. فإن حصلت هذه الحِمْية حسنت المعالجة ، والعلاج حينئذ يقع للظاهر والباطن . فليبتدىء المريض باللجوء إلى الله سبحانه ، وليكثر من الدعاء ، فإنه مضطر ، وهو يجيب المضطر إذا دعاه (١) ثم ليتعالج ، فإن الأسباب لاتنافى التوكل والدعاء " (٢) .

وقال أيضًا :"فإن قال قائل : فما تقول فيمن صبر عن حبيبه ، وبالغ فى استعمال الصبر ، غير أن خيال الحبيب فى القلب لايزول ، ووسواس النفس به لاينقطع ؟

فالجواب : أنه إذا كففْتَ جوارحك ، فقد قطعت مواد الماء الجارى ، وسينضب ماحصل فى الوادى مع الزمان ، خصوصًا إن طلعتْ عليه شمس صيف الخوف ، ومرت به سموم المراقبة لمن يرى الباطن ، فما أعجل ذهابه .

ثم استغث بمن صبرت لأجله ، وقل : إلهى فعلتُ ماأطقت ، فاحفظ لى مالاطاقة لى بحفظه " (٣) .

---

(١) من قوله تعالى : {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} سورة النمل : ٦٢

(٢) ص ٦٣٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٦٦-٦٦٧ .

وقد اعتمدت بعض المصنفات التى ظهرت بعد ابن الجوزى ، على "ذم الهوى" فى نقل بعض الأخبار ، ومنها كتاب "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" لابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ) (١) . و"ديوان الصبابة" لأحمد بن يحيى بن أبى حجلة (المتوفى ٧٧٦هـ) (٢) .

وأخذ الأستاذ محمود مهدى استانبولى ، مختارات من أهم موضوعات "ذم الهوى" وصنع منها كتابا ، أسماه "أسرار العشاق" قال فى مقدمته : "هذا الكتاب هو اختيارات ومختارات لأهم موضوعات كتاب "ذم الهوى" للإمام ابن الجوزى ، حذفتُ منها الإسناد ، وقدمتُ بعض مباحثه على بعض ليكون مشوقا لمطالعة القارىء" (٣) .

---

(١) أخذ ابن قيم الجوزية الكثير عن ذم الهوى ، ومما صرح به انظر ص ١٠٤، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٩٣، ٤٤٤، ٤٥٢ . وانظر مايقابله فى ذم الهوى ص ٨١، ١٢١، ٢٣١، ٢٦٥، ٦٢٩ .

(٢) انظر ص ٢٦٠-٢٦١ ، وانظر ابن الجوزى : ذم الهوى ص ٤٥٩، د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٣٣٢ .

(٣) ص ١٠-١١ ، وانظر د. ناجية عبد الله ابراهيم : قراءة جديدة من مؤلفات ابن الجوزى ص ٦٦ .

المبحث الرابع

الفكاهة

حفل أدبنا العربى بالمُلح والنوادر والفكاهات فى عصوره المختلفة ، وقد كان لفطرة العربى المحب للطلاقة والمرح والبشاشة أثر فى ازدهار هذا اللون من الأدب ، بالإضافة إلى ماتتركه تلك المُلح فى النفس من آثار إيجابية .(١)

يقول ابن الجوزى فى هذا الصدد :"ومازال العلماء والأفاضل يعجبهم المُلح ، ويهشون لها لأنها تجم النفسَ وتريح القلب من كدّ الفكر" .(٢)

وقد كان اهتمام المصنفين العرب بالفكاهة كبيراً ، فتحدثوا عن أهميتها وآثارها ، ورصع كثير منهم مؤلفاتهم بالطرائف والنوادر ، كما قصر آخرون بعض كتبهم عليها .(٣)

"وهنا يجدر بنا أن نميز بين نوعين من هذا الفنّ الأدبى: نوع يستهدف واضعه طلب اللذة والاستمتاع ليس غير ، ونوع آخر تكون المتعة فيه مجدية ، والفكاهة فاكهة ، والمزحة نافعة" .(٤)

---

(١) انظر د. أحمد الحوفى : الفكاهة فى الأدب ، أصولها وأنواعها ص ٤، ٢٥، ٣١ ، د. محمد رجب النجار : جحا العربى شخصيته وفلسفته فى الحياة والتعبير ص ٢٣٧ ، د. نايف محمود معروف : طرائف ونوادر من عيون التراث العربى ص ٧ ، فتحى أبو عيسى : الفكاهة فى الأدب العربى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى ص ٥ .

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٣ .

(٣) د. نايف محمود معروف : طرائف ونوادر ص ٧ ، د. أحمد الحوفى : الفكاهة فى الأدب ص ١٧ ، وانظر الحديث عن عناية المؤلفين العرب بالفكاهة : المرجع السابق ص ١٧-٢٥ .

(٤) د. نايف محمود معروف : طرائف ونوادر ص ٧ .

وابن الجوزى الذى أسهم فى هذا المجال بعدد من الكتب - وهى : أخبار الحمقى والمغفلين ، وأخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار النساء ، وأخبار الأذكياء ، وكتاب التطفيل ، وكتاب المتعقلين (١) - كان يهدف إلى الترويح عن النفس ، ونقلها من عالم الجدّ إلى المباح من الهزل (٣) ، وإلى أغراض أخرى كذلك ، أفصح عنها فى مقدمات بعض تلك الكتب (٤) .

فقد أورد نوادر الأذكياء لتكون مثالاً يُحتذى بها ، لأن سماعها لمن لديه استعداد للفهم يشحذ الذهن وينبه العقل (٥) .

ولتأديب المعجب برأيه حين يسمع أخبار من يعجزه اللحاق به ، وكذا التعرف على أقدار الناس بذكر أحوالهم (٦) .

وجمع أخبار الحمقى والمغفلين ليبصر العاقل عند سماعها ، بمقدار ماوهبه الله تعالى من نِعم ، حرم منها أولئك الناس ، فيقبل على شكر الله - عز وجل - .

---

(١) وضع الأستاذ عبد الحميد العلوجى هذا الكتاب ضمن آثار ابن الجوزى المخطوطة ، دون تحديد لمكان نسخ المخطوط انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٣٦، ١٣٥، ٢٠٩، ٢٣٦ .

(٢) بعد أن ذكر العلوجى هذا الكتاب ، أشار إلى احتمال أن يكون مصحفاً عن كتاب المغفلين ، وقد وضعه ضمن آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها . انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ١٤٠، ٢١٧ .

(٣) انظر : أخبار الظراف والمتماجنين ص ١ ، أخبار الحمقى والمغفلين ص ١١ . وبالنظر إلى ماتؤديه هذه السلسلة من كتب ابن الجوزى ، من الترويح عن النفس عدّها الأستاذ محمد مرسى الخولى محقق أخبار الأذكياء ، من أدب السمر . انظر المقدمة ص ح .

(٤) انظر المبحث الخاص بتأثر ابن الجوزى بمن سبقه من العلماء فى الباب الأول .

(٥) انظر : أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٧ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ٣ .

(٦) انظر : أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٧ .

كما أن ذكر المغفلين يحث على اتقاء دواعى الغفلة ، إذا كان ذلك داخلاً تحت الكسب ، ولم تكن الغفلة مجبولة فى الطباع (١) .

فابن الجوزى إذن كان يهدف إلى تربية الناس ، عن طريق النادرة ، والخبر الطريف الذى يرويه عن الأذكياء والحمقى والظراف (٢) .

لذا يمكننا أن نعد كتب ابن الجوزى – أو معظمها – فى مجال الفكاهات ، من القسم الثانى الذى سبقت الإشارة إليه ، وهو الذى تكون فيه المتعة مجدية ، والمزحة نافعة .

وقد دافع ابن الجوزى عن كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" لما يوجبه من الضحك ، مؤكداً أن الضحك المعتدل الذى لايكون فى كذب لاشىء فيه ، ومما قاله :

"وقد يجوز للإنسان أن يقصد إضحاك الشخص فى بعض الأوقات، ففى إفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : "لأكلمن رسول الله لعله يضحك ، قال قلتُ : لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتنى النفقة ، فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٣) .

وإنما يكره للرجل أن يجعل عادته إضحاك الناس ، لأن الضحك لايُذم قليله ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه (٤) ، وإنه يكره كثيره لما رُوى عنه عليه

---

(١) انظر : أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠-١١ .
(٢) د. عبد الرحمن صالح عبد الله : ابن الجوزى وتربية العقل ص ٤٤ .
(٣) انظر صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ٢/١١٠٥ .
(٤) انظر صحيح مسلم ، كتاب الايمان ١/١٧٣ .

السلام أنه قال : "كثرة الضحك تميت القلب" (١) والارتياح إلى مثل هذه الأشياء ، في بعض الأوقات كالملح في القدر" (٢) .

ومع أن ابن الجوزي لم يضع قواعد وأصولاً لفن الفكاهة في هذه السلسلة من كتبه (٣) ، إلا أنه لم يكتف فيها بجمع ونقل الأخبار فقط ، بل كانت له بعض الآراء والنظرات الطريفة ، التي تتصل بمضمون تلك الكتب ، فهو في تعريفه للظرف ، يضيف عنصراً جديداً ، وهو حلاوة النكتة (٤) ، التي عبر عنها ابن الجوزي بملاحة الفكاهة ، حيث قال : "الظرف يكون في صباحة الوجه ، ورشاقة القد ، ونظافة الجسم ، والثوب ، وبلاغة اللسان ، وعذوبة المنطق ، وطيب الرائحة ، والتقزز من الأقذار ، والأفعال المستهجنة ، ويكون في خفة الحركة ، وقوة الذهن ، وملاحة الفكاهة والمزاح ، ويكون في الكرم والجود والعفو ، وغير ذلك من الخصال اللطيفة" (٥) .

ويرى ابن الجوزي أن الظرف وعاء لكل ماهو طريف ولطيف فهو يقول : "وكأن الظريف مأخوذ من الظَّرْف الذي هو الوعاء (٦) ، فكأنه وعاء لكل لطيف" (٧) .

---

(١) جاء هذا الحديث في سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ٢/١٤٠٢ وعلق عليه بقوله :"في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات" .
(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٥-١٦ .
(٣) د. أحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ص ٢٢ .
(٤) د. صلاح الدين المنجد : الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس ص ٢٦ ، عبد الكريم المدرس : ظرفاء بغداد ، مقال نشر في مجلة المجلة المصرية العدد (١٣) ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ص ١٢٥ .
(٥) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٤ ، وانظر : فتحي أبو عيسى : الفكاهة في الأدب العربي ص ١٦ .
(٦) انظر الجوهري : الصحاح ٤/١٣٩٨ .
(٧) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٤ ، وانظر : د. عبد الكريم اليافي : دراسات فنية في الأدب العربي ص ٥٤ .

وجعل التورية من الظرف ، كما فى قوله : "ومن الظرف التورية عما يوجب خجل المذنب كقول يوسف : {إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}(١) ولم يذكر الجُبَّ لئلا يستحى إخوته"(٢) .

وابن الجوزى لم يُرِدْ بالمجون فى كتابه "أخبار الظراف والمتماجنين" الانحلال وعدم مبالاة الإنسان بما يصنع(٣) ، وهو أمر قد يبدو للقارىء لأول وهلة !!

يقول فى ذلك :"وبلغنى عن جماعة من المجون مايتفرج فيه ومعنى المجون صرف اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر ، وذلك يدل على قوة الفطنة"(٤) .

وفرق ابن الجوزى بين الحمق والتغفيل من جهة ، وبين الجنون . فالجنون يؤدى إلى الخلل فى الوسيلة والمقصود معًا. أما الحُمق والغفلة فيؤديان إلى الغلط فى الأسلوب مع بقاء المقصود صحيحًا(٥) ، وضرب لذلك مثلاً طريفًا ، حيث ذكر أن طائرًا طار من بين يدى أحد الأمراء ، ولما كان ذلك الأمير أحمقًا فإنه أمر أن يُغلق باب المدينة ، بقصد الإمساك بالطير(٦) .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٠

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٧ ، وانظر مقدمة المحقق ص ١٢١ .

(٣) انظر الجوهرى : الصحاح ٦/٢٢٠٠ .

(٤) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٣ .

(٥) هناك تشابه بين مفهوم ابن الجوزى للحمق ومفهوم الجاحظ له ، ولعل ابن الجوزى المتأخر أفاد من الجاحظ الذى يقول :"الأحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ، ثم يجىء بخطأ فاحش" . (البيان والتبيين ١/٢٤٩) . بيد أن مفهوم الجاحظ للحمق أدق من ابن الجوزى ، الذى حصر خطأ الأحمق فى الوسيلة فقط . وخاصة أن الذى يخطىء فى الوسيلة يكون عرضة للخطأ فى الهدف . انظر د. عبد الرحمن صالح عبد الله : ابن الجوزى وتربية العقل ص ٣٨ .

(٦) انظر : أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٧، وانظر حديث ابن الجوزى عن ماهية العقل ومحله فى أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٣٠-٣١ .

وقد بذل ابن الجوزى جهداً طيباً فى استقصاء الأخبار ، فى هذه السلسلة من كتبه ، حيث ذكر نوادر الأذكياء والظراف وملحهم ، على اختلاف طبقاتهم ، فنقل مايُروى عن الأنبياء عليهم السلام ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، والخلفاء والأمراء ، والعلماء ، والأدباء ، والأعَراب ، والعامة ، والنساء ، والصبيان ، والحيوان ... الخ .(١)

وفى هذا المجال كشفت كتب ابن الجوزى عن جانب لطيف ، من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضى الله عنهم ، وهو جانب المرح والدعابة البريئة عن كل فحش ، فكان مايصدر عنهم طريفاً مجللاً بالوَقار .(٢)

وقد ذكر ابن الجوزى جانباً من مزاح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومنه :

"جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليحمله ، فقال : إنَّا حاملوك على ولد الناقة .

قال : يارسول الله وماأصنع بولد الناقة ؟

قال : وهل تَلِدُ الإبلَ إلا النوقُ ! " .(٣)

(١) من أعجب من وصف كتاب أخبار الأذكياء ، المستشرق مرجليوت الذى قال عنه :"وهو مجموعة من الأقاصيص العجيبة والمسلية ، تضم بعض القصص البوليسية " . (دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة د. حسين نصار ص ١٦٩) .
ويبدو أن هذا المستشرق لم يلفته من الكتاب إلا حيل اللصوص والمتلصصين فقط ، ولعله تعمد ذلك للنيل من شخصية المؤلف ، والغض من شأن الكتاب ، وإلافما معنى تركيزه على هذا الجانب دون سواه ؟!!

(٢) د. عبد الكريم اليافى : دراسات فنية فى الأدب العربى ص ٥٤٠ ، محمد على دقة : هذا الكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) مجلة الخفجى ص ٤٦ .

(٣) أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٥٧ ، والحديث أخرجه الترمذى فى سننه فى أبواب البر والصلة ٢٤١/٣ ، وقال عنه :"هذا حديث صحيح غريب" .

ومن ذلك أيضا ماروى عن موقفه صلى الله عليه وسلم من أحد أصحابه ، فقد "كان بالمدينة رجل يقال له : نعيمان (١) وكان لايدخل المدينة طرفة (٢) إلا اشترى منها ، ثم جاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله هذا أهديته لك .

فإذا جاء صاحبه فطالب نعيمان بثمنه ، جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يارسول الله : اعط هذا ثمن متاعه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أو لم تهده لي ؟" فيقول يارسول الله ، والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببتُ أن تأكله ، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه" (٣) .

ومما رواه ابن الجوزي عن طرائف الصحابة أيضا قوله : "... كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون (٤) ويتبادحون بالبطيخ (٥) ، فإذا كانت الحقائق كانوا الرجال" .

وكذلك ماحكاه عن عبد الله بن رواحة (٦) ، أنه "أصاب

---

(١) نُعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري ، من بني النجار ، من قدماء الصحابة وكبرائهم ، شهد بدرا ، وكانت فيه دعابة زائدة ، توفي سنة (٤١هـ) .
انظر في ترجمته : ابن عبد البر : الاستيعاب ١٥٢٦/٤-١٥٣٠ ، الزركلي : الأعلام ١٤١/٨ .

(٢) المراد الجديد المعجب .

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٤ ، وذكر ابن عبد البر هذه القصة في الاستيعاب ١٥٢٩/٤ .

(٤) يترامون .

(٥) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٢ .

(٦) عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي ، أحد النقباء ، شهد المشاهد كلها إلا الفتح ومابعده ، حيث استشهد في موقعة مؤتة سنة (٨هـ) ، وكان أحد أمرائها .
انظر في ترجمته : ابن عبد البر : الاستيعاب ٨٩٨/٣-٩٠١ ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤٨١/١-٤٨٥ ، الزركلي : الأعلام ٨٦/٤ .

جارية له ، فسمعت به امرأته ، فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له : أفعلتها يا ابن رواحة ؟ فقال : مافعلتُ شيئًا ، فقالت لتقرأن قرآنًا ، وإلا بعجتك بها . قال : ففكرتُ في قراءة القرآن وأنا جُنب فهبت ذلك (١) ، وهي امرأة غيراء في يدها شفرة ، لا آمن أن تأتي بما قالت . فقلتُ :

وفينا رَسولُ اللهِ يَتْلو كِتابَهُ
إذا انْشَقَّ مَعْروفٌ مِنَ الصُّبحِ ساطِعُ
أرانا الهُدَى ، بَعْدَ العَمَى ، فَقلوبُنا
بِهِ مُوقِناتٌ ، إنَّ ماقال واقِعُ
يَبيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ
إذا اسْتَثْقَلَتْ بِالكافِرِينَ المَضاجِعُ

قال : فألقت السكين من يدها ، وقالت : آمنت بالله وكذبت البصر . قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فضحك (٢) ..."

ومما رواه ابن الجوزي عن نوادر العلماء هذا الخبر :

"دخل الشعبي (٣) على عبد الملك (٤) فقال له :

---

(١) رضي الله تعالى عن الصحابة ، فقد كانوا يعظمون كتاب الله ، ويقفون عند حدوده ، فكان أن أعزهم الله .

(٢) أخبار النساء ص ٩٢-٩٣ ، كما ورد هذا الخبر في أخبار الظراف والمتماجنين ص ٢٠-٢١ ، أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعي) ص ٤٨ ، مع اختلاف طفيف في ألفاظ ألفاظ الأبيات في كلا الكتابين .
وذكر ابن عبد البر هذا الخبر ، ولكن مع أبيات أخرى ، ومما قاله :"وقصته مع زوجته في حين وقع على أَمَتِه مشهورة ، رويناها من وجوه صحاح" . (الاستيعاب ٣/٩٠٠)
وجاءت تلك الأبيات في ديوان عبد الله بن رواحة ، وكانت كتب ابن الجوزي من مصادر هذه الأبيات في الديوان . انظر ص ٢٠٦ .

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري (١٩-١٠٣هـ) تابعي يُضرب المثل بحفظه ، وكان من رجال الحديث الثقات .
انظر في ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد ١٢/٢٢٧-٢٣٣ ، الزركلي : الأعلام ٣/٢٥١ .

(٤) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٢٦ - ٨٦هـ) من أعظم خلفاء بني أمية ودهاتهم ، كان عالمًا فقيهًا .
انظر في ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد ١٠/٣٨٨-٣٩١ ، الزركلي : الأعلام ٤/١٦٥ .

كم عطاءك ؟ قال : ألفي درهم . فقال : لحن العراقي ، ثم رد عليه . فقال : كم عطاؤك ؟ قال :ألفا درهم . قال : ألم تقل : ألفي درهم ؟ فقال : لحن أمير المؤمنين ، فلحنت لأنى كرهت أن يكون راجلاً ، وأكون فارساً " (١) .

ومما رواه ابن الجوزى عن نوادر الشعراء قوله :"مدح رجل رجلاً يقال له : يسير فقال فى مدحته :

وفضلُ يسيرٍ فى البلادِ يسيرُ

فقيل له : إنك قد مدحته وإنه لايعطيك شيئًا ، فقال : إن لم يعطنى شيئا ، قلتُ بيدى هكذا وضم أصابعه ، يعنى أنه قليل " (٢) .

وعن العوام روى ابن الجوزى هذه الطرفة فيما رواه من نوادرهم : "بات رجل فى دار قوم ، فانتبه صاحب الدار بالليل ، فسمع ضحك الرجل فى الغرفة ، فصاح به يافلان ، قال لبيك ، قال : كنت فى الدار فما الذى رقاك إلى الغرفة ؟ قال : قد تدحرجت فقال : الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل ، فكيف تدحرجت أنت إلى فوق ؟ قال : فمن هذا أضحك" (٣) .

وجاء ابن الجوزى بكثير من طرائف النساء ونوادرهن ، ومن ذلك قوله راوياً عن أحدهم :

"كنتُ مع ابنة عمى نائماً على سرير ، إذ ظهرت إلىّ بعض جوارىّ ، فنزلتُ ، فقضيت حاجتى ، ثم انصرفت ، فبينما أنا راجع ، إذ لدغتنى عقرب ، فصبرت حتى عدت إلى موضعى من

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٢٩-٣٠ .
(٢) أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٩٤ .
(٣) أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٣٧ .

السرير ، فغلبني الوجع ، فصحتُ ، فقالت لي ابنة عمي : مالك ؟ قلتُ لها : لدغتني عقرب . قالت : وعلى السرير عقرب؟ قلتُ : نزلت لأبول فأصابتني ، ففطنت ، فلما أصبحتْ جمعت خدمها ، واستحلفتهن أن لايقتلن عقرباً في دارها إلى سنة . ثم قالت :

إذَا عُصِيَ اللّهُ فِي دَارِنَا ... فَإِنَّ عَقَارِبَنَا تَغْضَبُ
ودَارٌ إِذَا نَامَ حُرَّاسُهَا ... أقام الحُدودَ بِهَا العَقْرَبُ" (١)

ومما ذكره ابن الجوزى من نوادر الصبيان قوله : "قعد صبى مع قوم يأكلون فبكى ، فقالوا : مالك تبكى ؟ قال : الطعام حار . قالوا : فدعه حتى يبرد ، فقال : أنتم لاتدعونه " (٢) .

وأورد أمثلة كثيرة عن فطنة الحيوان ، ومن ذلك قوله : "قال بعض الصيادين : ربما رأيت العصفور على حائط ، فأومى بيدى ، فكأنني أرميه فلايطير ، فأومى بيدى إلى الأرض كأنني أتناول شيئاً فلايتحرك ، فإن مسست بيدى حصاة طار قبل أن تتمكن منها يدى" (٣) .

وفى كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" ذكر ابن الجوزى من اتصف بالحُمق ، أو صدرت عنه أفعال تدل على ذلك ، وقد حاول استقصاء من عُرِفَ بالحمق والتغفيل (٤) ، فى معظم فئات

---

(١) أخبار النساء ص ١٢١-١٢٢ .
(٢) أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٤٦ ، أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٦٠ .
(٣) أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٢٨٤-٢٨٥ .
(٤) وهذا الكتاب لم يكن مقتصراً على أخبار الحمق والتغفيل فقط ، بل جاء فيه أخبار تدل على الحزم والدهاء ، ففى باب "ذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله" ص ٣٦ ، ذكر ابن الجوزى شخصاً يدعى "أبو عبد الله الجصاص" ص ٤٥-٥٣ ، ولكنه لم يَسْلَمْ بما قيل =

المجتمع ، فذكر المغفلين من العلماء ، والعقلاء ، والأمراء والكُتّاب ، والقصاص ، والمعلمين ..

ومما جاء في هذا الكتاب قوله : "اختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يُحسِن أن يَقضى بينهما ، فضربهما ، وقال الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما" (١) .

ومما رواه عن الحمقى أيضا قوله :"قرأ إمام : ولا الظالين بالظاء المعجمة ، فرفسه رجلٌ من خلفه ، فقال الإمام : آه ضهرى ، فقال له رجل : ياكذا وكذا خذ الضاد من ضهرك ، واجعلها في الظالين وأنت في عافية ، وكان الرّاد عليه طويل اللحية" (٢) .

= عن حمقه وتغفيله ، من خلال الأخبار التي رويت عنه ، لذا عقّب عليها بما يدل على أن الرجل كان يتغافل ، حيث ذكر أخبارًا تدل على حزمه ودهائه ، قال في نهايتها :"ينسبون هذا الرجل إلى التغفيل ، وقد سمعتم ماقال ، فكيف يكون هذا مغفلاً ؟" ص ٥٣ .
وهذا التمحيص يدل بوضوح على دقة علمائنا رحمهم الله كما يشير إلى أن هذا الكتاب ليس مجرد كتاب تسلية !!

(١) ص ٨٨ .

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٧ . ويؤخذ على ابن الجوزى في كتابه هذا ، ذكره أخبارًا عن حمق من طالت لحيته ، كما في المثل السابق ، بل إنه روى عن بعض الحكماء - على حد وصفه - قولهم : إن من طالت لحيته كثر حمقه ..
انظر المصدر السابق ص ٢٤-٢٥،١٠٧،١٣٢-١٣٣ ، د. عبد الرحمن صالح عبد الله : ابن الجوزى وتربية العقل ص ٢٩ .
ولايمكن قبول كل ذلك من ابن الجوزى العالم والفقيه ، مهما كان قصده ، وهو يعلم حق المعرفة أن المسلمين أمروا بإعفاء اللحى ، وكان قدوتهم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم .
وقد جاءت تلك الأخبار وكأنها استهزاء بذوى اللحى - مع أن ابن الجوزى لايقصد ذلك ، بطبيعة الحال - ولعل للضعف الانساني أثرًا في هذه القضية ، فابن الجوزى - كما عرفنا في ترجمة حياته - أكل حب البلاذر فسقطت لحيته ، حتى أصبحت قصيرة ، فلعله وجد سلواه في تلك الأخبار ، التي تتهم من زادت لحيته عن المألوف بالحمق والتغفيل .

وذكر ابن الجوزى أخبارًا عن حمق بعض القصاص ، ومنها هذا الخبر الطريف : "قال بعض القصاص : يامعشر الناس إن الشيطان إذا سُمّىَ على الطعام والشراب لم يقربه ، فكلوا خبز الأرز ولاتُسَمُّوا ، فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسَمُّوا ، حتى تقتلوه عطشا" (١) .

وعندما وصل ابن الجوزى إلى ذكر المغفلين من المعلمين ، تطرق إلى سبب غفلتهم ، فقال : "وهذا شىء قل أن يُخطىء ونراه مُطَّردًا ، ولانظن السبب فى ذلك إلا معاشرة الصبيان" (٢) .

وقد روى ابن الجوزى أخبارًا عن الجاحظ فى حمق المعلمين ، فمن ذلك قوله : "مررت بمعلم وقد كتب لغلام ـ وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وهُو يَعظُهُ . يَابُنَّى لاتَقْصُصْ رُؤيَاكَ عَلَى إخْوَتِكَ فَيَكيدُوا لَكَ كَيْدًا . وأكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهِّلِ الكَافِرِيْنَ أمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (٣) ـ فقلتُ له ويحك فقد أدخلت سورة فى سورة ، قال : نعم ، إذا كان أبوه يدخل شهرًا فى شهر ، فأنا أيضا أُدخل سورة فى سورة ، فلاآخذ شيئا ولاابنه يتعلم شيئا" (٤) .

وتحدث ابن الجوزى أيضا عن تجربته الشخصية مع المغفلين ، ومنها قوله : "دخلتُ على بعض أصدقائى وفيهم مريض العين ، ومعى بعض المغفلين ، فقال له المغفل : كيف عينك ؟ قال : تؤلمنى ، فقال : والله إن فلانا آلمته عينه

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣٥ .
(٣) خلط بين سورة لقمان الشطر الأول من الآية ١٣ ، وبين سورة يوسف الآية ٥ ، وسورة الطارق الآية ١٦-١٧ .
(٤) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٣٧ .

أياماً ثم ذهبت ، فاستحييت واستعجلت الخروج" .(١)

وبعد ، فإن كتب ابن الجوزى فى مجال الفكاهة تبعث المرح والسرور ، بالإضافة إلى اشتمالها على فوائد علمية وأدبية قيمة .(٢)

وقد أخذت بعض الكتب أخباراً عنها ، كما فعل النويرى فى كتابه نهاية الأرب ، حيث نقل أخباراً عديدة عن بعض تلك الكتب ،(٣) وكذلك فعل الملك الأفضل العباس بن على الغسانى (المتوفى ٧٧٨هـ) فى كتابه "نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء" .(٤)

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٥٨ .
(٢) ابن الجوزى : أخبار الظراف والمتماجنين (مقدمة المحقق) ص ١٢١-١٢٢ ، صيد الخاطر (مقدمة الشيخ الطنطاوى) ص ٧ .
(٣) انظر ٤/٢-١٨،٤-١٩ ، ابن الجوزى : أخبار الأذكياء (مقدمة محمد مرسى الخولى) ص ك ، محمد خلف الله : دراسات فى الأدب الاسلامى ص ١٦٤ .
(٤) انظر ص ١٠،٣٠ .

المبحث الخامس

النماذج البشرية

تميز ابن الجوزى بخاصية "انتزاع موضوع بعينه من خلال التراث الإسلامى ، ثم متابعة ماجاء حوله من نصوص وأخبار ، ثم تسوية ذلك كله على نمط عال من الدقة والإحاطة ، وإخراجه فى قالب فنى رفيع" (١) .

ومن ذلك عنايته بتصوير النماذج البشرية فى كتب مستقلة ، فأفرد : للحمقى والمغفلين ، والظراف والمتماجنين والأذكياء ، والمتعقلين (٢) ، والأخيار (٣) ، والمصلين (٤) ، والقصاص ، والمذكرين ، والنساء (٥) .

ولا أعرف أديبًا عربيا تناول مثل هذا العدد من النماذج البشرية فى كتب مستقلة ـ وذلك فيما بين أيدينا من كتب مطبوعة ـ غير ابن الجوزى .

وعلى الرغم من أن عمل ابن الجوزى فى هذه الكتب كان فى معظمه مقتصرًا على النقل والجمع ، فإنه قد ظهر دقة اختياره لتلك النماذج من مجتمعه ، واستطاع كذلك أن يفى بالكثير من جوانبها ، سواء ماكان فى عصره أو قبله .

---

(١) أنور الجندى : نوابغ الإسلام ص ٢٨٨ .

(٢) انظر المبحث السابق .

(٣) وهو بعنوان "أخبار الأخيار" وقد وضعه الأستاذ عبد الحميد العلوجي ضمن آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها . انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١٢ .

(٤) وهو بعنوان "كتاب المصلين" وهو كسابقه حيث وضعه الأستاذ العلوجي ضمن آثار ابن الجوزى الضائعة أو التى فى حكمها . انظر مؤلفات ابن الجوزى ص ٢١٧ .

(٥) ونستثنى من هذه القائمة كتابه "الضعفاء والمتروكين" الذى نشر فى جزئين ، بتحقيق الأستاذ عبد الله القاضى إذ إن هذا الكتاب يدخل فى علم الجرح والتعديل .

وتعد هذه السلسلة من الكتب إضافة للمكتبة العربية فى مجال أدب الطبائع وتصوير الأخلاق ، الذى تزعمه الجاحظ بكتابه البخلاء . (١)

وقد أتاحت لنا مصنفات ابن الجوزى هذه فرصة عقد مقارنات طريفة ، بين تلك النماذج البشرية فيما يتصل بالصفات والخصال والأفعال :

فالأحمق – والمغفل مرادف له عند ابن الجوزى – هو الذى يخطىء فى الوسيلة مع صحة المقصود . وقد بين ابن الجوزى أن الحُمق غريزة فى النفس بصور متفاوتة .

ويمكن معرفة الأحمق من صفاته الخلقية ، ومنها صغر الرأس ، وعدم تناسب البنية ، وصغر الأذن .

ويُعرف كذلك من خصاله وأفعاله ، ومنها ترك نظره فى العواقب ، وثقته بمن لايعرف ، وعجبه بنفسه وكثرة كلامه . (٢)

وأما الذكى فهو الذى يتمتع بسرعة الفهم وحدته ،

---

(١) عبد الملك مرتاض : القصة فى الأدب العربى القديم ص ١٤٩ ، محمد على دقة : هذا الكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) مجلة الخفجى ص ٤٦ .
ويَغلبُ الظن أن أول كتاب صُنف فى هذا المجال فى الأدب العربى ، هو كتاب الأجواد لعلى بن عبيدة الريحانى المتوفى سنة (٢١٥هـ) ، إذ يرى الأستاذ محمد المبارك : أن الجاحظ ألف كتابه البخلاء ، فى أواخر حياته – توفى سنة ٢٥٥هـ – بدليل ماجاء فى كتابه : "يا أبا عثمان إنه لِبأ وغلظه ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة ، وأنت رجل قد طعنت فى السِنّ ، ولم تزل تشكو من الفالج طرفا " ص ١٢٣ .
ويبقى كتاب البخلاء – مع ذلك – أبرز كتاب فى هذا المجال ، وقد أثر فى المؤلفات التى جاءت بعده ، ومنها مؤلفات ابن الجوزى . انظر محمد المبارك : فن القصص فى كتاب البخلاء للجاحظ ص ٤٣-٤٤ .

(٢) انظر : أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٧-٣٠ ، وانظر المبحث السابق .

ويعرف بهيئته المعتدلة ، وبنيته المتناسبة ، وحركة عينيه وكذلك بخصاله وأفعاله المتمثلة فى سكوته واتزانه ومراقبته للعواقب (١) .

وأما الظريف - والماجن مرادف له عند ابن الجوزى ، وإن خصه بقوة الفطنة (٢) - فهو الذى يتمتع بكل ماهو طريف ولطيف ، فى صورته وفى خصاله وأفعاله (٣) .

لذا رأينا ابن الجوزى يكرر الكثير من الأخبار الواردة فى "أخبار الأذكياء" فى "أخبار الظراف والمتماجنين" وكأن الظرف عنده أعم من الذكاء !!

وتناول ابن الجوزى المرأة ، فأورد نصوصًا فى أوصافها الجسدية ، وخصالها ، وبخاصة غيرتها ووفائها وغدرها (٤) .

أما القاص فهو الذى يتتبع القصص السالفة بالحكاية عنها ، والشرح لها .

بينما المُذَكِّر هو الذى يبين للناس نعم خالقهم - عز وجل - ويحذرهم من مخالفته .

وأما الواعظ فهو الذى يخوِّف الناس من عذاب الله ويرقق قلوبهم (٥) .

وقد صورت بعض الأخبار التى رواها ابن الجوزى ، مشاعر تلك الطوائف وعواطفهم ، من خوف ، وجوع ، وفرح ... الخ ومنها :

---

(١) انظر ابن الجوزى : أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ٣٢-٣٥ .
(٢) انظر أخبار الظراف والمتماجنين ص ٣-٤
(٣) انظر المصدر السابق ص ٣-٩ ، وانظر المبحث السابق .
(٤) انظر أخبار النساء ص ٩، ٨٢، ١٢٥، ١٤٤، ٢٢٨ .
(٥) انظر كتاب القصاص والمذكرين (تحقيق د. المباغ) ص ١٥٧-١٦٠ ، وانظر ماقيل عن تجاهل ابن الجوزى للفروق بين تلك المصطلحات بعد ذلك فى المبحث الخاص بقصصه فى الفصل الأول من هذا الباب .

"انفرد الحجاج (١) يوما عن عسكره ، فلقى أعرابيا فقال له: كيف الحجاج ؟ قال : ظالم غاشم ، قال : فهلا شكوتموه إلى عبد الملك ! قال : هو أظلم ، وأغشم . فأحاط به العسكر ، قال : اركبوا البدوى ، فلما ركب سأل عنه فقيل له : هذا الحجاج ، فركض خلفه وقال : ياحجاج قال : مالك ، قال : السر الذى بينى وبينك لايطلع عليه أحد ، فضحك منه وأطلقه ". (٢)

و"قيل لبعضهم أتحب أن تموت امرأتك ؟ قال : لا ، قيل : لم ؟ قال : أخاف أن أموت من الفرح" . (٣)

و"دعا مُغَنٌّ مرة أخًا له ، فأقعده إلى العصر ولم يطعمه شيئًا ، فاشتد جوعه ، فأخذه مثل الجنون ، فأخذ صاحب البيت العود وقال له : بحياتى أى صوت تشتهى أن أسمعك ؟ قال : صوت المقلى" . (٤)

ويمكن التعرف على علاقة هذه النماذج البشرية بمن كان يحيط بهم من أفراد مجتمعهم ، الذى كانوا يعيشون فيه ، من خلال الأخبار التى رواها ابن الجوزى عنهم ومنها :

"... كان بعض الكرماء فى مجلسه ، وعنده جماعة ففرط رجل من جلسائه ، فانقبض لذلك ، واغتم بانقباضه صاحب المجلس ، فلما كان من الغد ، أمر فتُرِك تحت الفرش نفاخة السمك ، فلما جلس الناس تفرقعت من تحت الجلساء ، فقال : ماهذا انظروا ؟ فأخرجت وقد انشقت ، فقال : هذا بالأمس ،

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى (٤٠ ـ ٩٥هـ) .
انظر فى ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٢٩-٥٤، الزركلى : الأعلام ٢/١٦٨ .

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٤) أخبار الأذكياء (تحقيق أسامة الرفاعى) ص ١٧٧ .
المقلى والمقلاة : هو الشىء الذى يقلى عليه .

وهذا اليوم ، وأمر بصفع الفرّاشين ، فزالت الظُنَّة عن الفارط وبرئت ساحته " (١) .

و"كان رجل كثير المخاصمة لامرأته ، وله جار يعاتبه على ذلك ، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها ، فاطلع عليه جاره فقال : ياهذا اعمل معها كما قال الله تعالى : إما إمساك ايش اسمه أو تسريح ما أدري ايش" (٢) .

ومن النماذج السابقة يتضح لنا ، أن ابن الجوزي وفق في تغطية جوانب وأبعاد نماذجه ، داخلياً وخارجياً واجتماعياً (٣) .

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ص ٦٥-٦٦ .

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص ٧٢ . والجار يريد قول الله تعالى :{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} سورة البقرة : ٢٢٩ .

(٣) يرى نقاد الأدب ضرورة اتضاح هذه الجوانب في الشخصيات في أي عمل من الأعمال . انظر : حسين القباني : فن كتابة القصة ص ٧٠ .

الخاتمة

الخاتمة

حاولت فى رسالتى هذه تقديم صورة متكاملة لأدب ابن الجوزى ، وقد اقتضى منى ذلك لم شتات تراثه الأدبى من بطون الكتب ثم دراسته ، وكانت أبرز النتائج التى كشفت عنها هذه الرسالة مايلى :

(١) أوضحت الرسالة فى التمهيد ازدهار حركة الأدب ، فى العراق فى القرن السادس الهجرى ، وبخاصة فى مجال الشعر والوعظ .

* كما بينت الرسالة أن الاهتمام بالمحسنات اللفظية ، لم يكن فى ذلك القرن بتلك الصورة التى رسمها بعض المستشرقين ، الذين زعموا جمود أدب ذلك العصر ، وخلوه من الابداع .

(٢) وأظهرت الرسالة فى الباب الأول ماحبا الله به ابن الجوزى من مواهب وقدرات متعددة فى مجال الأدب ، ومنها ميله إلى الفن – الذى لاينافى دينه وورعه – بفطرته ، وقد تمثل ذلك فى سلوكه مثل أكله ولبسه ... الخ

* وبينت كذلك ثقافة ابن الجوزى الأدبية ، ومحفوظاته الشعرية الغزيرة .

* كما أوضحت الرسالة مساهمة ابن الجوزى فى التصنيف فى مجال الأدب واللغة ، التى جاوزت العشرين كتاباً ، بعضها فى حكم المفقود .

* وتناولت الرسالة سيرة ابن الجوزى ، التى تحدث فيها عن جوانب عديدة من حياته ،وضمّنها نصائح وتأملات قيمة .

* وتعرفت كذلك لجانب من أجوبة ابن الجوزى النادرة ، التى دلت على قوة ذهنه ، وسرعة بديهته ، وظرف شخصيته .

* وبينت ذوقه الأدبى ، الذى تمثل فى أسماء كتبه ، وفى مقدمات بعضها ، وكذلك فى لمساته ونقوله واختياراته فى عدد من كتبه .

* وتطرقت الرسالة إلى اهتمام ابن الجوزى بالتأريخ للأدباء والشعراء وخاصة فى كتابه "المنتظم" .

* وبينت كذلك جانبًا من نظراته النقدية القيمة فى مجال الأدب والاجتماع والفكر .

(٣) وبينت الرسالة فى الباب الثانى أن ابن الجوزى كان مُكثرًا من نظم الشعر ، وأن المؤرخين السابقين وكذلك الباحثين المعاصرين ، أجمعوا على حسن شعره ولطفه .

* وأوضحت كذلك أن ماوصل إلينا من شعره غيض من فيض ، سواء ماكان مخطوطًا ، أو منشورًا فى كتب السير والتراجم .

* وتضمن هذا الباب ديوانًا موثقا ، لما أمكن جمعه من شعر ابن الجوزى ، الذى تجاوز (٤٦٩) بيتًا ، وهو أضعاف ماذكره الأستاذ محمد بحر العلوم - أبرز من تناول شعر ابن الجوزى - فى مقدمته لكتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزى ، حيث جمع له (١١١) بيتا .

* واتضح عند دراسة الخصائص الفنية العامة لشعر ابن الجوزى ، غلبة الطابع التقليدى على أغراضه - وأبرزها الوعظ - وأساليبه وصوره ، وظهر فى بعض هذا الشعر أثر الحفظ بخاصة من شعر أبى العتاهية ، ووضح فيه كذلك أثر عصره الذى عُنى بالمحسنات البديعية ، ومجتمعه الذى ازدهرت

فيه بعض الفنون الجارية على ألسنة العامة مثل كان وكان والدوبيت ، وقد اتسم بعض ذلك الشعر بالجمال والجودة .

(٤) وأظهرت الرسالة فى الباب الثالث تنوع مواهب ابن الجوزى فى مجال النثر :

* ففى مجال النثر الوعظى . كان ابن الجوزى واعظاً عظيماً لم يُرَ مثله ، وأصبح الوعظ على يديه فنّاً مستقلاً ، وكانت مجالسه الوعظية أعجوبة لم يكن لها مثيل ، وقد جمع ابن الجوزى ماكان يقوله فى تلك المجالس فى كتب خاصة ، وهى مواعظ خالصة صاغها فى أشكال أدبية منها : الحكاية والحوار والوصف ... وكان أسلوبه فيها مرسلاً حيناً ومسجوعاً تارة أخرى.

* وكان ابن الجوزى ينشىء خطباً فى مجالسه الوعظية ، بجوار ماكان يقوله من رقائق الوعظ ، وقد أفرد كُتباً مستقلة لخطبه ، معظمها مخطوط .

وخطبه التى بين أيدينا خطب دينية وعظية ، لم يهتم فيها بعناصر الخطبة وأسلوبها ، وقد تميزت بالقِصَر ، وغلب عليها التكلف ، حيث عمد فيها إلى محاكاة الجمل القرآنية ، وجعل كل فاصلة من فواصل خطبه تنتهى بحرف واحد .

* وكان ابن الجوزى من كبار القصاص فى عصره ، وقد صنف كتباً مستقلة فى هذا المجال ، معظمها مفقود . وكان مصدره فى معظم قصصه القرآن الكريم . وجاء أسلوبه فيه مسجوعاً حيناً عمد فيه إلى اقتباس الجمل القرآنية ، وجاء مرسلاً حيناً آخر ومال فيه إلى التفسير والتحقيق .

* وأنشأ ابن الجوزى خمسين مقامة معظمها فى الوعظ ، حاكى من قبله فى عددها وفى بطلها ، وتفرد بجعل نفسه راوية

لمقاماته . كما تميز بكثرة الموضوعات التى تناولها فى مقاماته ، وسما فيها كذلك بالمقامة الأدبية عن الكُدْيَةِ والشحاذة .

* وفى مجال النثر التأليفى ، جاء نثره العلمى سهلاً واضحاً ، كما كان ابن الجوزى فى نثره التوجيهى أديباً مترسلاً. وقد سخر موهبته الفنية لإرشاد الناس وتوجيههم ، وكان أروع ماكتبه "صيد الخاطر" الذى امتاز بمضمونه وأسلوبه الفريد ، كذلك كانت لابن الجوزى فى هذا المجال عبارات جميلة فى الحكمة ، امتاز معظمها بالإيجاز وتساوى الجمل ، واتحاد الفواصل فى الوزن والحرف الأخير .

* وفى مجال مصنفاته الأدبية ، بينت الرسالة أن ابن الجوزى كان يعتمد على الرواية فى كتبه ، وأن شيوخه هم المصدر الأول لمروياته ، بالإضافة إلى نقله عن بعض الكتب الأدبية ، حيث أقر بذلك حيناً وسكت حيناً آخر .

* وحفظت مصنفاته الأدبية - وخاصة الوعظية منها - تراثاً أدبياً عظيماً معظمه فى الزهد ، وقد تفرد ابن الجوزى بذكر بعض النصوص الشعرية فى بعض تلك المصنفات .

* وكان كتابه "ذم الهوى" من أكبر الكتب التى تناولت العشق ، وهو يعد أحد الدراسات الإسلامية الجادة للعشق ، بما تضمنه من نصوص قرآنية ، وأحاديث شريفة ، وأقوال علماء السلف ، بالإضافة الى آراء ابن الجوزى .

* وجمعت كتب ابن الجوزى فى مجال الفكاهة بين المتعة والفائدة ، فقد كانت المتعة فيها مجدية والمزحة نافعة ، وكشفت بعض هذه الكتب عن جانب لطيف من حياة الرسول صلى

الله عليه وسلم ، والصحابة وعلماء السلف رضى الله عنهم .

* وأوضحت الرسالة اهتمام ابن الجوزى بالنماذج البشرية ، فى العديد من كتبه ، حيث تناول فى كل كتاب أنموذجًا مستقلاً ، وهو بذلك يعد الأديب العربى الوحيد الذى جمع مثل هذا العدد من المصنفات فى هذا المجال .

وقد تبين لى من أبواب الرسالة ، بروز غرض الوعظ فى معظم أدب ابن الجوزى ، شعره ونثره .

وفى مجال النثر ، جاء الأسلوب المرسل فى معظم ماكان يكتبه ابن الجوزى ، وجاء الأسلوب المنمق الملئ بالمحسنات البديعية ، فى معظم ماكان يقوله فى مجالسه .

والله أعلم وأعز وأكرم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

أولا : المخطوطات .

* ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ)

(٢) بحر الدموع

ميكروفيلم فى مركز إحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى برقم ٣٩٦٠ مواعظ . عن النسخة الموجودة فى مكتبة جامعة برنستن (مجموعة يهودا) برقم ٣٠٥ .

(٣) درياق الذنوب

ميكروفيلم فى مركز إحياء التراث الإسلامى برقم ٩٣ مواعظ . عن النسخة الموجودة فى الظاهرية برقم ٧١٥٢ .

(٤) صبا نجد

ميكروفيلم فى مركز إحياء التراث الإسلامى برقم ٨٨١ أدب. عن النسخة الموجودة فى مكتبة جامعة برنستن برقم ٩٠٧(٤٢٧٧) .

* الخرائطى : أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل (ت ٣٢٧هـ)

(٥) اعتلال القلوب

ميكروفيلم فى مركز إحياء التراث الإسلامى برقم ١٩٢ و ٤٥٥ مواعظ . عن النسخة الموجودة فى مكتبة الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٥٩ق .

* مصطفى عبد الواحد : الدكتور
(٦) ابن الجوزى ونشره فى مجال الدعوة والتربية
محاضرات مخطوطة لطلبة السنة المنهجية بكلية اللغة العربية (فرع الأدب) جامعة أم القرى .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

* ابن أبى حجلة : شهاب الدين أحمد المغربى (٧٢٥ - ٧٧٦هـ)
(٧) ديوان الصبابة
نشر بآخر كتاب تزيين الأسواق فى أخبار العشاق لداود الأنطاكى . دارحمد ومحيو بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

* ابن أبى الوفاء : محيى الدين أبو محمد عبد القادر القرشى الحنفى المصرى (٦٩٦ - ٧٧٥هـ)
(٨) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية . حيدر آباد الدكن - الهند . الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ .

* ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)
(٩) الكامل
دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(١٠) اللباب فى تهذيب الأنساب
تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . مطبعة دار التأليف القاهرة .

* ابن الأحنف : العباس (ت ١٩٢هـ)

(١١) الديوان

دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

* الأصبهانى : أبو بكر محمد بن داود (ت ٢٩٧هـ)

(١٢) الزهرة

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى . مكتبة المنار الأردن ـ الزرقاء . الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

* الأصبهانى : العماد محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ)

(١٣) خريدة القصر وجريدة العصر ـ القسم العراقى

تحقيق محمد بهجة الأثرى . طبع الجزء الأول فى المجمع العلمى العراقى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، وشارك فى تحقيقه الدكتور جميل سعيد . وطبع الجزء الثانى فى المجمع العلمى أيضا ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .وطبع الجزء الثالث ـ المجلد الأول ضمن سلسلة منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٦م . وكذلك الجزء الرابع ـ المجلد الثانى عام ١٩٧٣م .

* الأصفهانى (الأصبهانى) : أبو الفرج على بن الحسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ)

(١٤) الأغانى

طبعة الساسى . تصحيح أحمد الشنقيطى . مطبعة التقدم بالقاهرة .

* الأنطاكى : داود (ت ١٠٠٨هـ)

(١٥) تزيين الأسواق فى أخبار العشاق

دار حمد ومحيو بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

* البحترى : أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ)

(١٦) الديوان

نشره حسن كامل الصيرفى . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .

* بديع الزمان الهمذانى : أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت ٣٩٨هـ)

(١٧) شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى

شرح محمد محيى الدين عبد الحميد . مكتبة محمد على صبيح وأولاده بمصر . الطبعة الثانية ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

* البغدادى : الخطيب أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)

(١٨) تاريخ بغداد أو مدينة السلام

دار الكتاب العربى بيروت .

* البغدادى : عبد القادر بن عمر (١٠٣٠ - ١٠٩٣هـ)

(١٩) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

* الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)

(٢٠) سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح

ضبطه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان . دار الفكر . الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (٨١٣ - ٨٧٤هـ)

(٢١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

* التنوخي : أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ)

(٢٢) الفرج بعد الشدة

تحقيق عبُّود الشالجي . دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٢٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

تحقيق عبُّود الشالجي . دار صادر بيروت ١٣٩١هـ-١٩٧١م .

* الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)

(٢٤) البخلاء

تحقيق طه الحاجري . دار المعارف بمصر . الطبعة السادسة ١٩٨١م .

(٢٥) البيان والتبيين

تحقيق وشرح عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي . الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(٢٦) الحيوان

تحقيق وشرح عبد السلام هارون . شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية .

* ابن جبير : محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ)

(٢٧) رحلة ابن جبير

تحقيق الدكتور حسين نصار . مكتبة مصر .

* ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

(٢٨) كتاب أحكام النساء

تحقيق ودراسة علي بن محمد يوسف المحمدي . المكتبة العصرية صيدا . بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(٢٩) أخبار الأذكياء
تحقيق محمد مرسى الخولى . دار الأهرام . القاهرة ١٩٧٠م .
ونشر بعنوان "الأذكياء" تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعى . مؤسسة مناهل العرفان بيروت ومكتبة الغزالى دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٠) أخبار الحمقى والمغفلين
نشره زاهد القدسى . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٨٣م

(٣١) أخبار الظراف والمتماجنين
تقديم وتعليق محمد بحر العلوم . المكتبة الحيدرية . النجف . العراق . الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣٢) أخبار النساء (طبع منسوبًا إلى ابن قيم الجوزية) شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا . دارمكتبة الحياة بيروت ١٩٧٣م .

(٣٣) بستان الواعظين ورياض السامعين
راجعه وقدم له الدكتور السيد الجميلى . دار الكتاب العربى بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣٤) التبصرة
تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر . الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(٣٥) التذكرة فى الوعظ
تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح . دار المعرفة بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٦) تقويم اللسان
تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر . دار المعرفة بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٩٦٦م .

(٣٧) تلبيس إبليس (أو نقد العلم والعلماء)
تحقيق وتعليق الدكتور السيد الجميلي . دار الكتاب العربي بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٨) تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير
مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٧٥م .

(٣٩) رسالة تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر
نشرت مع مجموعة مختارة من عيون الأدب العربي في كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٤٠) الثبات عند الممات
تحقيق محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٤١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ
تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد . دار الدعوة الإسكندرية . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٢) دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة ، ممن ينتحل مذهب الإمام أحمد
تحقيق محمد زاهد الكوثري . مطبعة الترقي دمشق ١٣٤٥هـ

(٤٣) ذم الهوى
تحقيق مصطفى عبد الواحد ومراجعة محمد الغزالي . دار الكتب الحديثة . القاهرة . الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

(٤٤) رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير
تصحيح أمين عبد العزيز . مطبعة الجمالية بمصر .
الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .
(٤٥) سلوة الأحزان بما روى عن ذوى العرفان
تحقيق سهير محمد مختار وآمنة محمد نصير . مراجعة
الدكتور على سامى النشار . منشأة المعارف بالإسكندرية
١٩٧٠م .
(٤٦) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز
ضبط وشرح وتعليق نعيم زرزور . دار الكتب العلمية
بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(٤٧) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء
تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد . دار
الحرمين الدوحة . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(٤٨) صفة الصفوة
حققه وعلق عليه محمود فاخورى وخرج أحاديثه محمد رواس
قلعه جى . دار الوعى بحلب . الطبعة الأولى
١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
(٤٩) صيد الخاطر
تحقيق محمد الغزالى . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة
المثنى ببغداد ١٩٦٠م .
وتحقيق على وناجى الطنطاوى . دار الفكر دمشق .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض . دار الكتاب العربى
بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٠) الطب الروحانى
تحقيق محمد السعيد بن بسيونى زغلول . مكتبة الثقافة الدينية القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٥١) غريب الحديث
تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٢) فضائل القدس
تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

(٥٣) القرامطة
تحقيق محمد لطفى الصباغ . المكتب الإسلامى بيروت ودمشق الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٥٤) كتاب القصاص والمذكرين
تحقيق الدكتور محمد بن لطفى الصباغ . المكتب الإسلامى الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
وتحقيق الدكتور قاسم السامرائى . دار أمية للنشر والتوزيع الرياض . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٥٥) لفتة الكبد فى نصيحة الولد
تحقيق الدكتور مروان قبانى . المكتب الإسلامى . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥٦) كتاب اللطف فى الوعظ
دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٧) المدهش

تحقيق الدكتور مروان قباني . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٨) مشيخة ابن الجوزي

تحقيق محمد محفوظ . دار الغرب الإسلامي أثينا . بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٥٩) المصباح المضيء في خلافة المستضيء

تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم . طبع في جزئين على نفقة وزارة الأوقاف العراقية . الأول في مطبعة الأوقاف سنة ١٩٧٦م . والثاني في مطبعة الشعب ببغداد سنة ١٩٧٧م .

(٦٠) مقامات ابن الجوزي

تحقيق الدكتور محمد نغش . دار فوزي للطباعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٦١) ملتقط الحكايات

نشر بهامش كتاب مختصر رونق المجالس للإمام عثمان بن يحيى بن عبد الوهاب الميري . المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٩هـ .

(٦٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل

تقديم عادل نويهض . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦٤) مناقب بغداد
تحقيق محمد بهجة الأثرى . مطبعة السلام بغداد ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م .

(٦٥) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم
نشر منه القسم الثانى من الجزء الخامس إلى العاشر . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن . الهند . الطبعة الأولى ١٣٥٧ - ١٣٥٩هـ .

(٦٦) كتاب الموضوعات
تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

(٦٧) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر
اعتنت بتصحيحه والتعليق عليه السيدة مهر النساء - إيم - أى، تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند . الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
وتحقيق ودراسة محمد عبد الكريم كاظم الراضى . مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٦٨) نواسخ القرآن
تحقيق ودراسة محمد أشرف على الملبارى . المجلس العلمى وإحياء التراث الإسلامى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٦٩) الوفا بأحوال المصطفى
تحقيق مصطفى عبد الواحد . دار الكتب الحديثة بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

(٧٠) الياقوتة فى الوعظ
نشر بآخر كتاب مختصر رونق المجالس للإمام عثمان الميرى . المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٩هـ .
* الجوهرى : إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)
(٧١) الصحاح
حققه أحمد عبد الغفور عطار . نشره حسن عباس الشربتلى الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* ابن حجر : أحمد بن على العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)
(٧٢) فتح البارى بشرح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى
ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقى . وإخراج وتصحيح محب الدين الخطيب . المكتبة السلفية .
* ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)
(٧٣) طوق الحمامة فى الألفة والألاف
تحقيق حسن كامل الصيرفى وتقديم إبراهيم الأبيارى . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
* الحريرى : القاسم بن على (ت ٥١٦هـ)
(٧٤) مقامات الحريرى
دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* الحيص بيص : سعد بن محمد بن سعد الصيفى (٤٩٢ - ٥٧٤هـ)
(٧٥) الديوان
حققه مكى السيد جاسم وشاكر هادى شكر . منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٤م .

* الخفاجي المصرى : شهاب الدين أحمد (٩٧٧ - ١٠٦٩هـ)

(٧٦) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى بمصر . الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)

(٧٧) مقدمة ابن خلدون
دار إحياء التراث العربى . بيروت .

* ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (٦٠٨ - ٦٨١هـ)

(٧٨) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان
تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٩٧٢م .

* الخوانسارى : الميرزا محمد باقر الموسوى (ت ١٣١٣هـ)

(٧٩) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات
تحقيق أسد الله إسماعيليان . مكتبة إسماعيليان طهران ١٣٩٢هـ .

* الدارمى : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ)

(٨٠) سنن الدارمى
طبع بعناية محمد أحمد دهمان . دار إحياء السُّنة النبوية .

* الداودى : شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)

(٨١) طبقات المفسرين
تحقيق على محمد عمر . مكتبة وهبة بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* ابن الدبيثى : أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ)

(٨٢) المختصر المحتاج إليه
انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى . تحقيق الدكتور مصطفى جواد . مطبعة المجمع العلمى العراقى . مطبعة الزمان بغداد .

* ذو الرُّمة : غيلان بن عقبة بن نهيس العدوى (٧٧ - ١١٧هـ)

(٨٣) الديوان
شرح الإمام أبى نصر أحمد بن حاتم الباهلى صاحب الأصمعى. رواية الإمام أبى العباس ثعلب . تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

* الذهبى : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

(٨٤) تذكرة الحفاظ
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند . الطبعة الثالثة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

(٨٥) سير أعلام النبلاء
الجزء الحادى والعشرون . حقق هذا الجزء الدكتور بشار عواد معروف والدكتور يحيى هلال السرحان . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٨٦) العبر في خبر من غبر
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . سلسلة التراث العربي . وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ١٩٦٣م .

* ابن رجب : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد (ت ٧٩٥هـ)

(٨٧) الذيل على طبقات الحنابلة
تحقيق محمد حامد الفقي . مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

* ابن رواحة : عبد الله الأنصاري (ت ٨هـ)

(٨٨) الديوان
تحقيق الدكتور وليد قصاب . دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الزرقاني : محمد بن عبد الباقي (ت ١١٢٢هـ)

(٨٩) مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة
تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ . منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

(٩٠) مقامات الزمخشري
دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* ابن الساعي الخازن : أبو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ)

(٩١) الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير
باعتناء وتعليق مصطفى جواد . المطبعة السريالية
الكاثوليكية بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .
(٩٢) نساء الخلفاء ، والمسمى جهات الأئمة الخلفاء من
الحرائر والإماء
حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد . دار المعارف
بمصر .
* سبط ابن الجوزى : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن
قزاوغلى التركى (ت ٦٥٤هـ)
(٩٣) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
الهند . الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .
* السبكى : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ)
(٩٤) مُعيد النعم ومبيد النقم
حققه محمد على النجار وأبوزيد شلبى ومحمد أبو العيون.
دار الكتاب العربى بمصر . الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م
* السخاوى : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الله
(ت ٩٠٢هـ)
(٩٥) المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة
على الألسنة
صححه وعلق عليه عبد الله محمد الصديق . وقدمه وترجم
للمؤلف عبد الوهاب عبد اللطيف . مكتبة الخانجى
ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
* ابن السرّاج : جعفر بن أحمد (ت ٥٠٠هـ)

(٩٦) مصارع العشاق
دار بيروت ودار صادر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
* السُّكرى : أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ)
(٩٧) شرح أشعار الهذليين
حققه عبد الستار أحمد فراج راجعه محمود محمد شاكر .
مكتبة دار المعرفة . القاهرة .
* السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن (٨٤٩ - ٩١١هـ)
(٩٨) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص
تحقيق الدكتور محمد بن لطفى الصباغ . المكتب الإسلامى
الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(٩٩) طبقات الحفاظ
تحقيق على محمد عمر . مكتبة وهبة القاهرة . الطبعة
الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
(١٠٠) طبقات المفسرين
تحقيق على محمد عمر . مكتبة وهبة القاهرة الطبعة
الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
* أبو شامة المقدسى : شهاب الدين أبو محمد عبد
الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ)
(١٠١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل
على الروضتين
دار الجيل بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٤م .
* الشريف الرضىّ : محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ)
(١٠٢) الديوان
منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات .بيروت .

* الصابى : غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال
(ت ٤٨٠هـ)
(١٠٣) الهفوات النادرة
تحقيق الدكتور صالح الأشتر . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
* أبو الطيب المتنبى : أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)
(١٠٤) الديوان بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان
ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ الشلبى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .
* ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)
(١٠٥) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب
تحقيق على محمد البجاوى . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة .
* ابن عبد ربه : أبوعمر أحمدبن محمد الأندلسى(ت ٣٢٨هـ)
(١٠٦) العقد الفريد
تحقيق الدكتور مفيد قميحة والدكتور عبد المجيد الترحينى . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
* العسكرى :أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
(ت ٣٩٥هـ)
(١٠٧) جمهرة الأمثال
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش .

المؤسسة العربية الحديثة . القاهرة . الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(١٠٨) كتاب المناعتين
تحقيق الدكتور مفيد قميحة . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* العليمى : أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (٨٦٠ - ٩٢٨هـ)

(١٠٩) المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد
حققه محمد محيى الدين عبد الحميد . راجعه وعلق عليه عادل نويهض . عالم الكتب بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)

(١١٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .

* الغسانى : الملك الأفضل العباس بن على بن رسول (ت ٧٧٨هـ)

(١١١) نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء
تحقيق ودراسة نبيلة عبد المنعم داود . دار الكتاب العربى بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على (ت ٧٣٢هـ)

(١١٢) المختصر فى أخبار البشر
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

* ابن الفرات : ناصر الدين محمد عبد الرحيم
(ت ٨٠٧هـ)

(١١٣) تاريخ ابن الفرات
عنى بنشره الدكتور حسن الشماع . دار الطباعة
بالبصرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب
(ت ٨١٧هـ)

(١١٤) القاموس المحيط
تم طبعه فى شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى
وأولاده بمصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

* ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى
(ت ٢٧٦هـ)

(١١٥) أدب الكاتب
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة
التجارية الكبرى بمصر . الطبعة الرابعة
١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

(١١٦) الشعر والشعراء
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر
١٩٦٦م .

(١١٧) عيون الأخبار
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة
والنشر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

* القشيرى : الصِّمة بن عبد الله (ت ٩٥هـ)

(١١٨) الديوان
جمعه وحققه الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل .
النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* القنوجي : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف
الله الحسيني البخاري (١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ)

(١١٩) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول
تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين . المطبعة
الهندية العربية بمباي ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

* ابن قيم الجوزية : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن
أيوب الزرعي الدمشقي (٦٩١ - ٧٥١هـ)

(١٢٠) روضة المحبين ونزهة المشتاقين
تحقيق الدكتور السيد الجميلي . دار الكتاب العربي
بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)

(١٢١) فوات الوفيات
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥١م .

* ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء الدمشقي
(ت ٧٧٤هـ)

(١٢٢) البداية والنهاية
مطبعة السعادة بمصر .

* كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت ٢٦هـ)

(١٢٣) قصيدة البردة

شرح أبى البركات بن الأنبارى . دراسة وتحقيق الدكتور محمود حسن زينى . تهامة بجدة . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧ - ٢٧٥هـ)

(١٢٤) سنن ابن ماجة
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

* مجنون ليلى

(١٢٥) الديوان
جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج . مكتبة مصر بالفجالة .

* الإمام مسلم بن الحجاج : أبو الحسين القشيرى النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١هـ)

(١٢٦) صحيح مسلم
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه . الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

* ابن مفلح : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٧٦٣هـ)

(١٢٧) الفروع
دار مصر للطباعة . الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

* المنذرى : زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى (٥٨١ - ٦٥٦هـ)

(١٢٨) التكملة لوفيات النقلة
تحقيق بشار عواد معروف . مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى (٦٣٠ - ٧١١هـ)

(١٢٩) لسان العرب
دار صادر ودار بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

* الميدانى : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ)

(١٣٠) مجمع الأمثال
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

* النابغة الذبيانى

(١٣١) الديوان
صنعة ابن السكيت أبى يوسف يعقوب بن إسحاق (١٨٦ - ٢٤٤هـ) تحقيق الدكتور شكرى فيصل . دار الفكر ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)

(١٣٢) نهاية الأرب
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

* ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ)

(١٣٣) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

حققه الدكتور حسين محمد ربيع وراجعه وقدم له الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . مطبعة دار الكتب ١٩٧٢م .

* ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ)

(١٣٤) تاريخ ابن الوردى

المطبعة الحيدرية بالنجف . الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان (ت ٧٦٨هـ)

(١٣٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان

منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ)

(١٣٦) معجم الأدباء

اعتنى بنسخه وتصحيحه د . س. مرجليوث . المطبعة الهندية بالموسكى بمصر . الطبعة الثانية ١٩٢٣م .

(١٣٧) معجم البلدان

دار صادر ودار بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

ثالثا : الرسائل الجامعية .

* أحمد عطية الزهرانى

(١٣٨) ابن الجوزى بين التأويل والتفويض

رسالة ماجستير بكلية الشريعة . جامعة الملك عبد العزيز بمكة ١٣٩٦ - ١٣٩٧هـ .

* شادية حسن عبد الرحمن زينى

(١٣٩) سابق البربرى والإتجاه الإسلامى فى شعره

رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الغسانى : الملك الأشرف أبو العباس إسماعيل بن العباس (٧٦١ - ٨٠٣هـ)

(١٤٠) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك

دراسة وتحقيق شاكر محمود عبد المنعم . رسالة علمية قدمت فى التاريخ الإسلامى إلى جامعة بغداد كجزء من متطلبات درجة الماجستير ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* عبد الستار السيد متولى

(١٤١) أدب الزهد فى العصر العباسى نشأته وتطوره وأشهر رجاله

رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية . جامعة الأزهر ١٩٧٢م .

* على جميل على مهنا

(١٤٢) ابن الجوزى ومقاماته الأدبية

تحقيق ودراسة . رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

* عمر الطيب العباس
(١٤٣) الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب رضى الله عنه رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية . جامعة أم القرى ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ .

رابعا : المراجع .

(أ) المراجع العربية والمعربة :

* إحسان عباس : الدكتور
(١٤٤) فن السيرة
دار الثقافة بيروت ١٩٥٦م .
(١٤٥) ملامح يونانية فى الأدب العربى
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧م .
* إحسان النص : الدكتور
(١٤٦) الخطابة العربية فى عصرها الذهبى
دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية ١٩٦٩م .
* أحمد أمين
(١٤٧) حياتى
دار الكتاب العربى . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧١م
(١٤٨) فيض الخاطر
الجزء الأول . مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة . الطبعة الرابعة ١٩٤٨م .
* أحمد محمد الحوفى : الدكتور
(١٤٩) الفكاهة فى الأدب ، أصولها وأنواعها
دار نهضة مصر بالقاهرة .

(١٥٠) فن الخطابة
دار نهضة مصر . الطبعة الرابعة .

* أحمد الشايب

(١٥١) الأسلوب
مكتبة النهضة المصرية . الطبعة السادسة ١٩٦٦م .

(١٥٢) أصول النقد الأدبى
مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

* السيد أحمد الهاشمى

(١٥٣) ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب
مؤسسة خليفة للطباعة .. البوشرية .

* أنور الجندى

(١٥٤) نوابغ الاسلام
دار الاعتصام .

* بروكلمن : كارل

(١٥٥) ماصنف علماء العرب فى أحوال أنفسهم ، نشر فى المنتقى من دراسات المستشرقين
جمع وترجمة وتعليق الدكتور صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

* جب : هـ . ا

(١٥٦) المدخل فى الأدب العربى
ترجمة كاظم سعد الدين . طبع بمساعدة وزارة التربية والتعليم العراقية ١٩٦٩م .

* حسن عيسى على الحكيم : الدكتور

(١٥٧) كتاب المنتظم لابن الجوزى
دراسة فى منهجه وموارده وأهميته . عالم الكتب بيروت .
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* أبو الحسن على الحسنى الندوى
(١٥٨) مختارات من أدب العربى
تعليق عبد الحفيظ البلياوى . دار الشروق جدة .
الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* حسين القبانى
(١٥٩) فن كتابة القصة
مكتبة المحتسب عمّان . الطبعة الثانية ١٩٧٤م .
* حنّا نمر
(١٦٠) دراسات فى الأدب والفن
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت .
الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* خلدون الأحدب
(١٦١) سوانح وتأملات فى قيمة الزمن
مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع جدة . الطبعة
الأولى ١٤٠٧هـ .
* الزركلى : خير الدين
(١٦٢) الأعلام
دار العلم للملايين بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .
* زكى مبارك : الدكتور
(١٦٣) النثر الفنى فى القرن الرابع
دار الجيل بيروت ١٩٧٥م .

* سليمان صائغ الموصلى
(١٦٤) تاريخ الموصل
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٨م .
* شكرى فيصل : الدكتور
(١٦٥) ابو العتاهية أشعاره وأخباره
مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .
* شوقى ضيف : الدكتور
(١٦٦) الترجمة الشخصية
دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية ١٩٧٠م .
(١٦٧) العصر الجاهلى
دار المعارف . الطبعة الثامنة ١٩٧٧م .
(١٦٨) العصر الإسلامى
دار المعارف . الطبعة الثامنة ١٩٧٨م .
(١٦٩) العصر العباسى الأول
دار المعارف . الطبعة السابعة ١٩٧٨م .
(١٧٠) عصر الدول والإمارات
دار المعارف ١٩٨٠م .
(١٧١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى
دار المعارف . الطبعة الثامنة ١٩٧٧م .
(١٧٢) المقامة
دار المعارف . الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .
* صلاح الدين المنجد : الدكتور
(١٧٣) الظرفاء والشحاذون فى بغداد وباريس
دار الكتاب الجديد بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٦٩م .

* الطاهر أحمد مكى : الدكتور

(١٧٤) دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة

مكتبة وهبة القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

* عائض بنيه الردادى

(١٧٥) شعر الدعوة الإسلامية فى العصر العباسى الأول

بإشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . مطبوعات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود حالياً) كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* عبد الحميد إبراهيم : الدكتور

(١٧٦) قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى

مطبعة دار نشر الثقافة . القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

* عبد الحميد العلوجى

(١٧٧) مؤلفات ابن الجوزى

شركة دار الجمهورية للنشر والطبع بغداد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

* عبد الرحمن التكريتى

(١٧٨) الأمثال البغدادية المقارنة

مطبعة الإرشاد بغداد . الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* عبد الرحمن صالح عبد الله : الدكتور

(١٧٩) ابن الجوزى وتربية العقل

شركة مكة للطباعة والنشر بمكة المكرمة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* عبد السلام محمد هارون

(١٨٠) كناشة النوادر

مكتبة الخانجي القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

* عبد الفتاح أبو غدة

(١٨١) قيمة الزمن عند العلماء

مكتب المطبوعات الإسلامية حلب . الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* عبد الكريم اليافي : الدكتور

(١٨٢) دراسات فنية في الأدب العربي

مطبعة دار الحياة . الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .

* عبد الله حمد العويشق

(١٨٣) الأدب في خدمة الحياة والعقيدة

أصله بحث قدم لكلية اللغة العربية بالرياض ١٣٨٩ – ١٣٩٠هـ بإشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* عبد المتعال الصعيدي

(١٨٤) المجددون في الإسلام ، من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر (١٠٠ – ١٣٧٠هـ)

مكتبة الآداب بالجماميز . القاهرة .

* عبد الملك مرتاض

(١٨٥) فن المقامات في الأدب العربي

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ١٩٨٠م .

(١٨٦) القصة في الأدب العربي القديم

دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر . الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

* علي الخاقاني
(١٨٧) شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم
منشورات دار البيان، طبع بمطبعة أسعد ببغداد ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م .
* علي الطنطاوي
(١٨٨) قصص من التاريخ
المكتب الإسلامي . الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(١٨٩) مقالات في كلمات
مكتبة دار الفتح بدمشق . الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م
* علي نجيب عطوي : الدكتور
(١٩٠) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة
المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* عمر موسى باشا : الدكتور
(١٩١) أدب الدول المتتابعة "عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك"
دار الفكر الحديث . الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .
* غرونباوم : غوستاف فون
(١٩٢) دراسات في الأدب العربي
ترجمة الدكاترة : إحسان عباس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال يازجي . دار مكتبة الحياة بيروت . شاركت في النشر مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر . بيروت . نيويورك ١٩٥٩م .
* فتحي محمد معوض أبو عيسى

(١٩٣) الفكاهة فى الأدب العربى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

*

(١٩٤) فهرس اللغة العربية بمركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

* الكتانى : عبد الحى بن عبد الكبير

(١٩٥) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات
اعتناء الدكتور إحسان عباس . دار الغرب الإسلامى بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* كحالة : عمر رضا

(١٩٦) معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية
مكتبة المثنى بيروت ودار إحياء التراث العربى .

* لجنة من أدباء الأقطار العربية

(١٩٧) التراجم والسير
دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

* مجاهد مصطفى بهجت : الدكتور

(١٩٨) التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول
وزارة الأوقاف والشئون الدينية العراقية . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* محمد حسن عبد الله : الدكتور

(١٩٩) الحب فى التراث العربى

من سلسلة عالم المعرفة التى تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

* محمد خلف الله

(٢٠٠) دراسات فى الأدب الإسلامى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

* محمد رجب النجار : الدكتور

(٢٠١) جحا العربى . شخصيته وفلسفته فى الحياة والتعبير

من سلسلة عالم المعرفة التى تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* محمد زغلول سلام : الدكتور

(٢٠٢) الأدب فى العصر الأيوبى

دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .

* محمد أبو زهرة

(٢٠٣) الخطابة أصولها ، تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب

دار الفكر العربى . الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

* محمد سعد الشويعر : الدكتور

(٢٠٤) الحصرى وكتابه زهر الآداب

الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* محمد المبارك

(٢٠٥) فن القصص فى كتاب البخلاء للجاحظ

دار الفكر . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* محمد مندور : الدكتور
(٢٠٦) الأدب وفنونه
دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت .
* محمد نبيه حجاب : الدكتور
(٢٠٧) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول
دار المعارف بمصر . الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
* محمود مهدى استانبولى
(٢٠٨) اسرار العشاق ، كتاب الشباب والمراهقين
دار كرم بدمشق .
* مرجوليوث
(٢٠٩) دراسات عن المؤرخين العرب
ترجمة الدكتور حسين نصار . دار الثقافة بيروت .
* مزهر عبد السودانى
(٢١٠) الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى
منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٠م .
* مصطفى عبد الواحد : الدكتور
(٢١١) دراسة الحب فى الأدب العربى
دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .
* ناجية عبد الله إبراهيم : الدكتورة
(٢١٢) قراءة جديدة فى مؤلفات ابن الجوزى
المكتبة العالمية بغداد . الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
* نايف محمود معروف : الدكتور
(٢١٣) طرائف ونوادر من عيون التراث العربى
دار النفائس بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* نبيل راغب : الدكتور

(٢١٤) دليل الناقد الأدبي

مكتبة غريب بالفجالة .

* نوره الشملان

(٢١٥) أبو ذؤيب الهذلي . حياته وشعره

عمادة شؤون المكتبات . جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* يحيى إبراهيم عبد الدايم : الدكتور

(٢١٦) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث

مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٥م .

* يوسف نور عوض : الدكتور

(٢١٧) فن المقامات بين المشرق والمغرب

دار القلم بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

(ب) المراجع الأجنبية :

* STEFAN LEDER

(218) IBN AL-ǦAUZĪ UND SEINE KOMPILATION

WIDER DIE LEIDENSCHAFT

BEIRUT 1984

IN KOMMISSION BEI FRANZ STEINER VERLAG .

WIESBADEN

خامسا : الدوريات .

* ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على
(ت ٥٩٧هـ)

(٢١٩) بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب
تحقيق وتقديم هلال ناجى . مجلة المورد العراقية
بغداد . المجلد الثانى – العدد الثالث ١٩٧٣م .

(٢٢٠) كتاب تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ
تحقيق وتقديم هلال ناجى . مجلة المورد . المجلد
الثالث – العدد الثالث ١٩٧٤م .

(٢٢١) فهرست كتب ابن الجوزى (منسوب إلى ابن الجوزى)
تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم . فرزة من مجلة
المجمع العلمى العراقى . الجزء الثانى من المجلد
الحادى والثلاثين . جمادى الأولى ١٤٠٠هـ / نيسان
١٩٨٠م .

(٢٢٢) مناقب معروف الكرخى وأخباره
تحقيق وتقديم صادق محمود الجميلى . مجلة المورد .
المجلد التاسع . العدد الرابع ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* خليل بنيان الحسون : الدكتور

(٢٢٣) مع ابن الجوزى فى كتابه "تقويم اللسان"
دراسات عربية وإسلامية بغداد . العدد الثانى . السنة
الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* السبتى : أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن
المُرحل المالقى (٦٠٤ – ٦٩٩هـ)

(٢٢٤) رسالتان فريدتان فى عروض الدوبيت
تحقيق وتقديم هلال ناجى . مجلة المورد – المجلد الثالث – العدد الرابع ١٩٧٤م .
* عبد الكريم المدرس

(٢٢٥) ظرفاء بغداد
مجلة المجلة المصرية . جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ . العدد ١٣ – السنة الثانية يناير ١٩٥٨م .
* عبده بدوى : الدكتور

(٢٢٦) ابن الجوزى
مجلة منبر الإسلام التى تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر . العدد الثانى . السنة ٢٨ . صفر ١٣٩٠هـ .
* على جميل على مهنا : الدكتور

(٢٢٧) ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة . عرض وتحليل
مجلة معهد المخطوطات العربية الكويت . المجلد الثامن والعشرون . رمضان ١٤٠٤هـ – يناير ١٩٨٤م .
* فواز الفواز

(٢٢٨) عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزى والطب
مجلة الطالب التى يصدرها صندوق الطلاب السعوديين فى بريطانيا – العدد الثانى – السنة الخامسة . جمادى الأولى ١٤٠٦هـ – فبراير ١٩٨٦م .
* محمد باقر علوان

(٢٢٩) المستدرك على مؤلفات ابن الجوزى
مجلة المورد . المجلد الأول . العدد الأول والثانى ١٩٧١م .

* محمد جاد البنّا
(٢٣٠) ابن الجوزى .. يتحدث إليكم
جريدة الجزيرة العدد ٤٧٨١ – ١٧ صفر ١٤٠٦هـ – تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥م .

* محمد على دقة
(٢٣١) هذا الكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) عرض وتقديم.
مجلة الخفجى . السنة السادسة عشرة . العدد الثانى . آيار (مايو) ١٩٨٦م .

* محمد نبيه حجاب : الدكتور
(٢٣٢) ظاهرة المقامات نشأتها وتطورها – أثرها فى الآداب الأجنبية
مستخرج من حوليات كلية دار العلوم ، العام الجامعى ١٩٦٨ – ١٩٦٩م . الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية . مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩م .

* نورى شاكر
(٢٣٣) حالة الشعر فى القرن السادس الهجرى
مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد . المجلد الثانى . العدد الحادى والعشرون ١٩٧٧م .

* وديعة طه النجم : الدكتورة
(٢٣٤) القصص نشأته فى الإسلام وتطوره
مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد . العدد العاشر نيسان ١٩٦٧م .

فهرس قوافي ابن الجوزي

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
١	ولمّا رأيتُ	الصفاء	المتقارب	٣	١٢٤
٢	سلّدت	وصَبَا	دوبيت	٢	١٢٥
٣	من مال	طلبا	المتدارك	٢٧	١٢٦
٣	صبّ	وصِبا	المتدارك	١١	١٢٦
٤	عذيرى	قُلّبْ	المتقارب	٤	١٢٩
٥	عرّجوا	قلبى	الخفيف	٥	١٣٠
٦	عودوا	وجيب	دوبيت	٢	١٣١
٧	يودّ	أكاذيب	الطويل	٤	١٣٢
٨	وكنّا	عيوبها	الطويل	٢	١٣٣
٩	لمّا تزايد	الحركات	كان وكان	٧	١٣٤
١٠	إنْ كان	ما أنستْ	دوبيت	٢	١٣٥
١١	اللّهَ أسألُ	نيّتِى	الكامل	١١	١٣٦
١٢	إذا اقنعت	ممقوت	البسيط	٢	١٣٩
١٣	أحى بذكرك	لفنيت	الكامل	١	١٤٠
١٤	قفى	الفؤاد	الوافر	٣	١٤١
١٥	يا نادبًا	حادى	الرجز	٦	١٤٢
١٦	وانحاز	السّداد	الرجز	٩	١٤٣
١٧	ما أشوقنى	نجد	دوبيت	٢	١٤٥
١٨	أما الشباب	المتمرّد	الكامل	١٥	١٤٦
١٩	أين فؤادى	بعد	المنسرح	١١	١٤٨
٢٠	قد رأيت	تعدّى	الخفيف	٧	١٥٠

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
٢١	قد كنتُ	ماعندى	دوبيت	٢	١٥١
٢٢	ياذا الّذى	جهد	السريع	١١	١٥٢
٢٣	عشتُ	رودُ	المنسرح	٨	١٥٤
٢٤	غرّنا	الخمار	الوافر	١٢	١٥٥
٢٥	الحبُّ	أستارى	دوبيت	٢	١٥٧
٢٦	لاتسألونى	خبر	البسيط	١	١٥٨
٢٧	أفنى	صبرى	دوبيت	٢	١٥٩
٢٨	ما أصنع	المكسور	دوبيت	٢	١٦٠
٢٩	سلام	أسيرها	الطويل	١٣	١٦١
٣٠	تبنى	تُختلس	البسيط	١٦	١٦٣
٣١	عبرت	الحَرِضُ	الكامل	٨	١٦٦
٣٢	لاتعطش	رُوضا	السريع	٤	١٦٨
٣٣	أشيب	بيض	الطويل	٣	١٦٩
٣٤	ياهل	لوامعا	الرجز	٦	١٧٠
٣٥	ياصاحبى	نرتع	السريع	١٣	١٧١
٣٦	الناس	واف	دوبيت	٢	١٧٣
٣٧	ما أذكر	رجفا	دوبيت	٢	١٧٤
٣٨	رأيت	راق	الطويل	٢	١٧٥
٣٩	ياساكن	الفراق	مجزوء الكامل	٤	١٧٦
٤٠	كم أصبح	مايفترقا	دوبيت	٣	١٧٧
٤١	ستنقلك	بدارك	الوافر	٣	١٧٨
٤٢	مالى	أحوالى	المواليا	١٠	١٧٩
٤٣	هجرانك	قاتل	مجزوء الدوبيت	١١	١٨١

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
٤٤	فى شغل	عاقل	الرجز	١٠	١٨٢
٤٥	لا أقبل	القتل	دوبيت	٢	١٨٥
٤٦	قد كتمت	قتل	الرمل	٢	١٨٦
٤٧	مالى شغل	عذَل	دوبيت	٢	١٨٧
٤٨	مازلت	الأطولا	الكامل	٤	١٨٨
٤٩	ياحبيب	ذُلِّى	مجزوء الرمل	٥	١٨٩
٥٠	ودَّعُوا	أين حلوا	المديد	٥	١٩٠
٥١	أُعيذك	يكمل	المتقارب	٢	١٩١
٥٢	يابريق	وقياما	الرمل	١٢	١٩٢
٥٣	طال ليلى	المناما	مجزوء الرمل	١٩	١٩٤
٥٤	أبكى	أقدامى	دوبيت	٢	١٩٦
٥٥	الدمع	العزائم	مجزوء الدوبيت	١٤	١٩٧
٥٦	أحبَّة	فدیناكم	الطويل	٤	١٩٩
٥٧	الماء	الظما	مجزوء الكامل	١٧	٢٠٠
٥٨	ياويح	منصرم	الرجز	٣٣	٢٠٢
٥٩	علىَّ نصب	لم أُلم	البسيط	١	٢٠٦
٦٠	تملَّكوا	قلبى لهم	مجزوء الرمل	٨	٢٠٧
٦١	ياسيد	السلطان	الرجز	١٢	٢٠٨
٦٢	تزدحم	لسانى	الرجز	٢	٢١٠
٦٣	ناحت	الحُزن	دوبيت	٢	٢١١

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
٦٤	تهنّ	الأمن	الطويل	١١	٢١٢
٦٥	حنّتْ	البيْنا	الرجز	١١	٢١٤
٦٦	إذا جزتَ	يمينا	المتقارب	٩	٢١٦
٦٧	شقينا	ماشقينا	الوافر	٤	٢١٧
٦٨	ياكثير	لديه	مجزوء الرمل	٣	٢١٨
٦٩	أصبحت	يولمنى	البسيط	٢	٢١٩

فهرس المحتويات

الصفحة

شكر وتقدير ... أ

المقدمة ... و

التمهيد : الحياة الأدبية فى العراق فى القرن
السادس الهجرى ... ١-٨

الباب الأول

ترجمة ابن الجوزى
(٩ – ١١٢)

الفصل الأول : حياته ... ١٠-٣٢

(١) اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ... ١١

(٢) ولادته ونشأته ... ١٤

(٣) مقومات شخصيته ... ١٧

(٤) أولاده ... ٢٤

(٥) محنته ... ٢٧

(٦) وفاته ... ٣١

الفصل الثاني : ثقافته وآثاره العلمية ... ٣٣-٧٠

(١) طلبه للعلم ... ٣٤

(٢) شيوخه ... ٣٦

(٣) تأثره بمن سبقه من العلماء ... ٤١

(٤) مذهبه ... ٤٦

الصفحة

(٥) وظائفه ٤٨

(٦) مكانة ابن الجوزى العلمية

ورأى العلماء فيه ٥١

(٧) ثقافته الأدبية ٥٨

(٨) مصنفاته ٦٠

(٩) تلامذته ٦٩

الفصل الثالث : شخصيته الأدبية ٧١-١١٢

(١) سيرته الذاتية ٧٢

(٢) أجوبته النادرة ٨٥

(٣) ذوقه الأدبى ٩٢

(٤) تأريخه للأدب ٩٦

(٥) نظراته النقدية ١٠١

الباب الثاني

شعـــره

(١١٣ - ٢٤٣)

الفصل الأول : شعر ابن الجوزى بين القدماء

والمحدثين ١١٤-١٢٢

(١) ماقيل عن نظمه للشعر ١١٥

(٢) شاعريته ١١٧

(٣) ماوصل إلينا من شعره ١٢٠

	الصفحة
الفصل الثاني : ديوان شعره	١٢٣-٢١٩
الفصل الثالث : الخصائص الفنية العامة لشعره ..	٢٢٠-٢٤٣

الباب الثالث

فنونه النثرية وخصائصها

(٢٤٤ - ٤٠٢)

الفصل الأول : نثره الوعظى	٢٤٥-٣١٤
(١) مواعظه	٢٤٦-٢٧١
(أ) تفوقه فى الوعظ	٢٤٦
(ب) وصف ابن جبير لمجالس ابن الجوزى الوعظية	٢٥١
(ج) مصنفاته الوعظية	٢٥٨
(٢) خطبه	٢٧٢
(٣) قصصه	٢٨٣
(٤) مقاماته	٢٩٥
الفصل الثاني : نثره التأليفى	٣١٥-٣٣٦
(١) نثره العلمى	٣١٦
(٢) نثره التوجيهى	٣٢٠
(٣) صيد الخاطر	٣٢٤

الصفحة

الفصل الثالث : مصنفاته الأدبية ٣٣٧-٤٠٢
(١) مصادره الأدبية ٣٣٨
(٢) النصوص الشعرية والنثرية ٣٥٢
(٣) العشق ٣٦٨
(٤) الفكاهة ٣٨٥
(٥) النماذج البشرية ٣٩٨

الخاتمة ٤٠٤
المصادر والمراجع ٤٠٩
فهرس قوافي ابن الجوزي ٤٤٨
فهرس المحتويات ٤٥٢